

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة-1-



كلية اللغة والأدب العربي والفنون
قسم اللغة والأدب العربي



الخطاب الحجاجي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات

إشراف الأستاذ الدكتور:
عز الدين صحراوي

إعداد الطالب:
السعيد حمزة

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	المؤسسة الجامعية	الصفة
أ.د/ بلقاسم ليارير	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	رئيساً
أ.د/ عز الدين صحراوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة 1	مشرفاً ومقرراً
أ.د/ يوسف وسطاني	أستاذ التعليم العالي	جامعة سطيف 2	عضواً
د/ عمار ربيح	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	عضواً
د/ ابتسام بن خراف	أستاذ محاضر	جامعة باتنة 1	عضواً
د/ بقادر عبد القادر	أستاذ محاضر	جامعة ورقلة	عضواً

السنة الجامعية

2017-2016/هـ 1438-1437

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

إهداء

إلى والدي تغمدهما الله برحمته الواسعة

(ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)

سورة إبراهيم : الآية 41.

إلى أم أبنائي : طه عبد الرؤوف وصهيب وإكرام

إلى كل من مد لي يد العون .

أهدي هذا العمل المتواضع

من أقوال ابن عربي

" من حرم الأدب عوقب بالجهل بالعلم اللدني الفتحي فلم يكن على بصيرة من ربه "

ج 4 ، ص 411 .

" فالوجود نور والعدم ظلمة فالشر عدم ونحن في الوجود نحن في الخير " .

ج 4 ، ص 171.

"فأشقى الناس من باع آخرته بدنيا غيره ، ومن هلك فيما لا يحصل بيده منه

شيء فيشهد على نفسه أجهل الناس بغيره وأعلم الناس بنفسه لأنه ما ادعاه

لنفسه "

ج 6 ، ص 91.

مقدمة

الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي واحد من المتصوفة الذين يشهد لهم بغزارة التأليف والإبداع ، والفتوحات المكية من أشهر كتبه التي تتجلى فيها طاقته الإبداعية وفلسفته الصوفية ، وقد قرئ قراءات كثيرة وظل موضوعا مثيرا للبحث في ضوء النظريات الحديثة . ورغم اختلافها إلا أنها تشترك جميعا في الرغبة الهادفة إلى فهم أعمق وأفضل لمدونة تراثية متميزة فكرا وإبداعا ، منها على سبيل المثال الخيال الإبداعي في تصوف ابن عربي (هنري كوربان) ، والتأويل (نصر حامد أبو زيد) و الرمزية عند ابن عربي (محمد أحمد مصطفى).

ولم يدرس الحجاج فيه بشكل كامل حسب علمي إلا بعض الإشارات منها : الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل في مجرى الإشارة والبصر (ابن عربي) وهو الفصل الثالث من أطروحة الدكتوراه لصاحبها علي الشبعان المعنونة : الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل (بحث في الأشكال والاستراتيجيات) . ودرس إدريس مقبول تداولية الفعل الإنشائي عند ابن عربي في أحد مباحث كتابه الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية . وهذه الإشارات على أهميتها لم يكن التحليل الحجاجي فيها خاصا بالفتوحات وإنما كان شاملا لغيرها من مؤلفات ابن عربي في صفحات معدودة . والأمر نفسه بالنسبة لصالح بوترة الذي تناول آليات التواصل التالية عند ابن عربي : الكشف والإلهام والذوق في الفتوحات وفي رسائل ابن عربي وفصوص الحكم . وحظيت مصادر تلقي الكتابة عند ابن عربي وآليات بناء الرسالة كالذوق والشطح والإشارة والخيال بدراسة حسن صوالحية في بحثه " بنية الخطاب الصوفي في الفتوحات المكية " ، علما أن الرسالتين الأخيرتين مقدمتان في جامعة باتنة . وبحث قدور رحمان في "بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي ، وهي أطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة الجزائر مدونتها محصورة في دراسة الشعر دون النثر، درس فيها صاحبها العناصر التي صنعت للخطاب الشعري شعريته وجماليته متحدثا عن المرأة والحب الصوفي والألوهية والمقامات والخيال والإيقاع والتوازي والرمز .

وجميعها دراسة للخطاب ولكن ليس الخطاب الحجاجي ، ولذلك جاءت دراستي للفتوحات المكية من زاوية حجاجية بحثا عن عنوانه " الخطاب الحجاجي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي دراسة لسانية تداولية " ، منطلقا من إشكالية مفادها ما الذي يجعل من الفتوحات المكية خطابا حجاجيا مؤثرا قادرا على النفاذ إلى عالم المتلقي وتغييره ؟. وما طبيعة الحجج التي استند إليها الخطاب واتكأ عليها من أجل إثبات أو دحض فكرة ما ، وإقناع المخاطب أو حمله على الإذعان لموقف معين ؟ . وهذا الإشكال بدوره يقود إلى الأسئلة الجزئية التالية :

- 1- كيف يمكن مخاطبة العقول والأذهان نظريا وإقناعها بحجة المنطق أو شبيهه ؟ .
- 2- كيف يقول المتكلم شيئا ويعني معنى آخر يؤثر به في المتلقي بصورة ضمنية غير مباشرة من خلال الأفعال الكلامية وقوانين الحوار الواردة في الفتوحات ؟.
- 3- وكيف تكون اللغة حجة تسهم في تغيير المخاطبين من خلال الأبنية اللغوية ذاتها انطلاقا من السلاسل والروابط والعوامل الحجاجية ؟.
- 4- وأخيرا هل هناك حجاج أسلوبية ؟ وهل التعابير الأسلوبية المخالفة لما هو شائع عاد في كلام الناس وسائل لتجميل الأسلوب أم أنها تضطلع بدور حجاجي هام لا يقل شأنًا عن الحجج الأخرى ؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعت الخطوات التالية:

أولا : اخترت نصوصا من الفتوحات المكية للأسباب التالية :

- 1- استكمال ما قد بدأته مع ابن عربي في بحثي السابق في مرحلة الماجستير ، وفيه درست الفتوحات في ضوء نظرية الانسجام النصي تمهيدا لدارستها في ضوء نظريات الحجاج والتداولية .
- 2- أهمية كتاب الفتوحات المكية فقد كتبه ابن عربي في مدة ثلاثين سنة في حالة من الإلهام الفني والتوهج الصوفي بلغة مغايرة للمألوف مختلفة عن سائر الكلام ، فهو هبة من الله عندما يقسم أنه أملاه عليه قائلا : " وهذا الكتاب من ذلك النمط عندنا ، فوالله ما كتبت منه حرفا إلا عن إملاء إلهي وإلقاء رباني أو نفت روحاني في روع

الكيان "1 ، وأن الله أمره بتبليغه إلى الناس لإفادتهم ولذلك كثيرا ما يصرح أنه رأى الحق وأطلعته على سر ما أو أنه أمره ليفعل شيئا ما ، أو يبين ما أنطقه الحق في جل أجزاء المدونة².

3- وفي هذه الحالة فالفتوحات أداة تنتقل بوساطتها المعارف الإلهية إلى الناس متمثلة في وحدة الوجود ، نشأة الكون ، ثنائية الله الإنسان والعالم ، الإنسان الكامل المخلوق على الصورة الإلهية بوصفه تجليا للصفات والأسماء الإلهية كلها حقائق يدركها القلب شهودا وإلهاما وكشفا وليس العقل . بالإضافة إلى تأسيس عالم التصوف القائم على القيم الإنسانية والخلقية السامية : من تسامح وصبر وعتو وفعل للخير وزهد وترق من مقام إلى آخر ، ودوام الاعتكاف على باب الحضرة الإلهية لبلوغ الألوهية ذاتها ، ركام من الأفكار والطروحات والمشاهد والرؤى تجاوز فيها ابن عربي الإبلاغ والإخبار إلى الإثارة والتأثير .

4- شكل الخطاب الصوفي عامة والفتوحات خصوصا تجربة متميزة كتابة وفكرا مخالفة نمطية الكتابة والفكر السائدين ، فوحدة الوجود (الله في غيبه هو الموجودات في ظهورها) والعلم الكشفي إلهام محله القلب ، والشطح الصوفي هذيان وسكر جراء الافتنان بجمال أنوار الفيض الإلهي المتجلي في كل مظاهر الوجود ، والهوس بمشاهدة الحضرة الإلهية (تجلي الصفات والأسماء الإلهية وحضورها في الإنسان والكون) جميعها يترجمها لسان ابن عربي بالقول "فما في الوجود إلا الله ، ولا يعرف الله إلا الله ... أنا الله ... و سبحاني " ³ و " أنا من أهوى ومن أهوى أنا " ⁴ جزء من مشروع الفكر الصوفي الذي عارضته فئات كثيرة على رأسها الحكام وعلماء الفقه والحديث إلى حد اتهام ابن عربي بالكفر ، فهو الشيخ الأكبر وليس الأكبر وهو ماحي الدين أو مميت الدين وليس محييه ، فالمعارضة نتيجة للاختلاف

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ضبطه وصححه ووضع فهرسه أحمد شمس الدين ، ج6 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 2006 ، ص 233 .

² المصدر نفسه ، ج 1 ، ص ص 96 ، 97 . ج 4 ، ص ص 481 وما بعدها . ج 5 ، ص ص 166 ، 352 . ج 6 ، ص ص 245 ، 246 .

³ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص ص 410 ، 411 .

⁴ المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 451 .

بين الفقهاء والصوفية ، ومن رحم الاختلاف ينشأ الحجاج . وعلى هذا الأساس كانت الفتوحات مرشحة بقوة لأن تكون مدونة حجاجية جديدة بدراستها من هذه الجانب .

5- تصنف المدونة ضمن تراثنا القابل للقراءة وتجديد القراءة في ضوء المناهج اللسانية والنقدية الحديثة والمعاصرة ، وقراءتها حجاجيا أمر لا مفر منه .

ثانيا : قسمت البحث إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة وتمهيد .

التمهيد : عرفت فيه الخطاب والحجاج ، وبينت أن الخطاب كلام منطوق أو مكتوب صادر من المخاطب المدعي بالحجة ،الموجه إلى المخاطب المعارض ، وأنه أي الخطاب مرادف للحجاج . ثم ذكرت تعاريف الحجاج من خلال النظريات المدروسة في البحث فقط ابتداء بتعريف بيرلمان وتيتكا ثم أوستين وسيرل وأوزلفالد ديكر و أونسكومبر .

الفصل الأول : درست فيه الحجاج المنطقي ، وحاولت تطبيق نظرية بيرلمان وتيتكا (البلاغة الجديدة) أو تقنيات الحجاج على نصوص الفتوحات، وهي استدلالات منطقية تهدف إلى محاورة عقول السامعين ومخاطبتهم نظريا للتأثير فيهم أو تغيير اعتقادهم . وهي تشمل الحجج شبه المنطقية القائمة على البنى المنطقية والمتمثلة في (حجة التناقض - التعريف - التبادلية - التعدية) . والحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية ممثلة في إدماج الجزء في الكل وتقسيم الكل إلى أجزائه ، وجميعها ذات قوة حجاجية تكمن في إذعان العقول إلى صرامة المنطق الذي يحول دون اعتراض المتلقي عليها ، والحجج المؤسسة على بنية الواقع وتضم (حجة التابع - التبذير - الاتجاه - التجاوز - حجة الشخص وأعماله - حجة السلطة) . وهي تستمد شرعيتها الحجاجية بناء على وجود ما يطرحه المتكلم في الواقع . ثم تأتي الحجج المؤسسة لبنية الواقع في نهاية هذا الفصل لتؤسس واقعا غير موجود أو تكمله وتعممه على المخاطبين من خلال دعوتهم إلى الاقتداء بالنماذج والأمثال المضروبة لهم .

الفصل الثاني : تناولت فيه الحجاج التداولي بتطبيق نظرية الأفعال الكلامية ل" أوستين وسيرل " وقوانين الحوار ل" غرايس " ، وبينت أن الأفعال المباشرة وغير المباشرة تؤكدان أن اللغة ليست نقلا للحقيقة أو وصفا لها ، وإنما وسيلة مؤثرة في

الطرف الآخر . وعلى هذا الأساس فإن المعاني الضمنية غير المباشرة التي يدركها المخاطب حجاج . كما تناولت أيضا الافتراض المسبق والإشارات ممثلة في الضمائر وظروف الزمان والمكان .

الفصل الثالث : طبقت فيه نظرية الحجاج اللغوي ل" أوزفالد ديكره " التي ترى أن الحجاج يكمن في بنية اللغة من خلال السلايم الحجاجية التي تترتب فيها الأقوال (الحجج من الأضعف إلى الأقوى) ، بالإضافة إلى الروابط والعوامل الحجاجية التي توجه الأقوال نحو نتائج مضمرة أو مذكورة ، أو تحدد المعنى بدقة متكئة على المواضيع المشتركة بين المتخاطبين .

الفصل الرابع : يمثل الحجاج الأسلوبي من خلال خصائص الأسلوب التي تنشأ عن تكرار الظاهرة اللغوية المتميزة في طريقة التعبير، انطلاقا من أن تكرارها تكرار للمعنى الحجاجي ، ولذلك فإن الكلمات والمصاحبة المعجمية (التضام) وبعض الصيغ الصرفية والحذف والتوازي والتمثيل والاستعارة وبعضها من المحسنات البديعية بوصفها خصائص الأسلوب الشائعة المتكررة ، بما توفره للخطاب من جمالية متميزة في طريقة التعبير ، قدرة على النفاذ إلى عالم المتلقي وإقناعه بفكرة ما خصوصا إذا تضافرت معها حجج أخرى منطقية كانت أو تداولية أو لغوية .

الخاتمة : جاءت خلاصة لأهم النتائج التي توصل إليها البحث .

ثالثا : لأن الحجاج موضوع للتداولية ، واللغة تتفاعل مع المعطى التداولي بعناصره المختلفة من مقام وسياق وظروف الناطقين وأحوالهم ، فإن المنهج بوصفه الطريقة أو الخطوات الإجرائية التي اتبعتها للوصول إلى حل المشكلات السابقة يقوم على توظيف آليات النظريات الحجاجية بوصفها موضوعا للتداولية أو مبحثا من مباحثها . وهو رأي من لهم باع طويل في هذا المجال أذكر منهم دومينيك مونغونو¹ وعبد السلام عشير²

¹ ينظر : دومينيك مونقانو ، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، تر محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ص 93 .

² ينظر : عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006 ، ص 15 .

وأيضاً أميمة صبحي¹ وليس رأيي.

وإذا كان البحث ينجز اعتماداً على عدة مراجع ومصادر، فإنني لا أنكر استفادتي وتأثري بما قرأت، وأخص بالذكر في هذا السياق المراجع التالية أسماءها:

- 1- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية لعبد الله صولة .
 - 2- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية لعبد الهادي بن ظافر الشهري .
 - 3- تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية لعمر بلخير.
 - 4- الحجاج في الشعر العربي القديم لسامية الدريدي.
 - 5- العوامل الحجاجية في اللغة العربية لعز الدين الناجح .
- وأشير في هذا السياق إلى أن هذا الجهد المتواضع يهدف إلى تحقيق الأهداف

التالية

- 1- توضيح أهمية الدراسة الحجاجية للنصوص والخطابات .
 - 2- أن تتجه البحوث والدراسات إلى التحليل الحجاجي للخطابات العربية رغبة في فهم الحجاج والتداولية بشكل أفضل، وفي قراءة أو تجديد القراءة إن كانت الخطابات من التراث العربي .
 - 3- إذا كان مجال الحجاج هو الخطاب، فلا بد أن يتوسع ليشمل الخطاب القانوني والسياسي والفلسفي والديني والمناظرة .
- وإذا كان كل عمل تعترضه عوائق وصعوبات، فإن الصعوبات التي واجهتها عند إنجاز البحث كثيرة منها:

- 1- عدم التحكم في اللغة الأجنبية، والمصادر التي نظرت للحجاج جميعها أجنبية .
- 2 - طول المدونة وصعوبة الإلمام بها - أجبرني على قراءتها لمرات كثيرة بحثاً عن المادة العلمية المطلوبة - باعتبارها موسوعة مكونة من 8 أجزاء وكل جزء في حدود 500 صفحة، ولغتها الصوفية الضاربة في غياهب الغموض والرمز عقبة كبيرة، تجاوزها فرض علي العودة إلى المراجع التي درست الفتوحات، لأقارن هذا بذاك حتى

¹ ينظر: حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيد، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015، ص 280 .

يطمئن قلبي أن ما أذهب إليه قريب من الصواب ، وحتى لا أغامر ولا أقع في مزالق كثيرة .

3 - صعوبة الحجاج وتعدد النظريات والمقاربات ، فالدرس الحجاجي كان موجودا منذ الحركة السفسطائية بوصفها فاتحة الحجاج ، وفي البلاغة القديمة (الأرسطية) وفي صيغتها العربية القديمة وفي البلاغة الجديدة لبيرلمان وتتيكا ، ونظريات التداولية (أوستن وسيرل) والحجاج اللغوي (لأوزفالد ديكرو) ، وبالتالي صعوبة الإمساك به في التطبيق خصوصا أمام مدونة الفتوحات .

ومع ذلك فإنني أحمد الله العلي القدير وأشكر الفتح العليم الذي وفقني على تجاوز هذه المحنة إلى منحة إتمام البحث الذي لم يكن باستطاعتي الإجابة فيه عن كل شيء . فالنقائص أو العيوب التي يمكن أن تشينه كفيل أن يزيلها أعضاء لجنة المناقشة المشكورون على قراءة هذا البحث وتقويمه . ولا يسعني في الأخير إلا أن أوجه خالص شكري إلى أستاذي المشرف الدكتور عزالدين صحراوي الذي أمد لي يد العون منذ تسجيل البحث إلى هذه اللحظة فشكرا مرة أخرى على علمه وحلمه ورحابة صدره.

مدخل

مباحث المدخل

- تعريف الخطاب

أولا : عند العرب

- قانون الانفتاح

- قانون الاستيعاب

- قانون التفاعل

- قانون التحاور

ثانيا : عند العرب

- تعريف الحجاج

1- تعريف الخطاب :

أولاً : عند الغرب :

بظهور البنيوية - و التي مهد لها دوسوسير - dessusure كانت النظرة السائدة إلى النص بأنه بنية مغلقة تتفاعل عناصرها ، والرسالة التي يتضمنها كامنة في نسيجه اللساني¹ ، لأنها تؤمن بالمستوى الصوري المغلق و المجرد * للعبارة اللغوية متبعة بذلك منهجا مميتا في التواصلية اللغوية لإقصائها أحوال التخاطب و المقامات المختلفة التي ينجز ضمنها الخطاب، و استبعادها الدلالة². و مقارنة النص بهذا الشكل يتزامن في الحقيقة مع طبيعة العصر الذي ظهرت فيه، إذ كانت المعرفة الحقيقية تنحصر في العلوم الدقيقة كالرياضيات و غيرها، فكان من الضروري أن يكون النص الأدبي بعلاماته اللغوية أشبه بالمعادلة الرياضية ، و لأن صحته بين ثناياه فلا مجال للبحث عن مرجعيات أخرى لفهمه³.

غير أن اللسانيات المعاصرة تخلت عن الكيان اللغوي بمعناه البنيوي**
الصوري الصارم، و بمعناه التوليدي التحويلي الذهني المجرد*** و اتجهت إلى

¹ ينظر: خديجة غفيري: سلطة اللغة بين فعلي التأليف و النلقي، إفريقيا الشرق، 2012، المغرب، ص20.
* - المستوى الصوري هو الاهتمام بالشكل أو السطح بوصف التراكيب اللغوية وتجاهل دور المعنى في اللغات
ينظر : أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2007 ، ص 204
² ينظر: مسعود صحراوي، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد و تقديم حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن، ط1 ، 2011، ص27.
³ ينظر: خديجة غفيري: سلطة اللغة بين فعلي التأليف و النلقي، ص20.
** - المنهج البنيوي يعنى بدراسة مستويات اللغة بدءاً بالأصوات و الصرف و التراكيب و الدلالة و لا يولي للكلام الفردي أو السياق الذي أنتج فيه النص أي اهتمام . ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، لبنان، ط1، 2004، ص 7 .
*** النظرية التوليدية التحويلية لصاحبها تشومسكي : التوليد يدل على الجانب الإبداعي في اللغة ، أي القدرة التي يمتلكها المتكلم لتكوين وفهم مالا نهاية من الجمل . أما التحويل فهو تحويل البنى العميقة إلى بنى سطحية (قواعد تحويل الجملة إلى عدة جمل عن طريق الحذف و الزيادة و التقديم). و النحو التوليدي يهتم بتفسير الظاهرة اللغوية وملاحظتها ووصفها قبل الإنجاز ولذلك يمنحها طابعها الإبداعي إذ يعتمد في تعيده وتمثله على المنطق والرياضيات ويفترض أن الإنسان ينتج كلامه وفقاً لهذه القواعد الصورية . علماً أن الاتجاه البنيوي والتوليدي يمثلان الاتجاه الشكلي الذي يعنى بدراسة النظام اللغوي معزولاً عن سياق التواصل الاجتماعي ينظر : أحمد مومن ، اللسانيات النشأة والتطور ، ص ص 206 ، 207. وأيضاً عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب ، ص ص 7 ، 8 .

الاهتمام بالكلام و عناصره المتمثلة في "غرض المتكلم" و "حال المخاطب" و سياق الحال" كما يسمى في فكرنا اللغوي القديم، متجاوزة مرحلة ما بعد البنيوية بإبعادها شبح الشكلائية¹ ، لذلك ظهر توجه جديد في النظر إلى النص باعتباره فعالية تواصلية تتكى على اللغة، و لكن تتجاوزها إلى أطراف الفعالية التواصلية المختلفة، وبرز مع هذا التوجه مصطلح جديد بديل للنص هو مصطلح الخطاب"²

يعود الاهتمام بمفهوم الخطاب إلى لسانيات التلفظ، التي أعطت نفسا جديدا لكيفية تناول الخطاب ... وفي ضوءها يرى منظرو التلفظ والتداوليات أن الخطاب مجموع ملفوظات قادرة على التأثير في الآخر ، تتدرج * في مقام تلفظي . وبعبارة أخرى فالخطاب كل تواصل وسائطه : المرسل ، المرسل إليه ، والسياق الخارجي والداخلي ، وبالتالي فإن معنى الخطاب لا تكشف عنه اللغة ، بل يكتشفه المرسل إليه بفضل المعالم العديدة التي يضعها المرسل في خطابه³ . يعرف الفرنسي "إميل بنفست" Emile Benveniste الخطاب بأنه " كل تلفظ يفترض متكلما و سامعا، و عند الأول قصد التأثير على الثاني بطريقة ما"⁴ أي أنه ليس أقوالا أو ملفوظات منجزة و إنما هو عملية نطق الكلام و إنتاجه من متكلم قصد استمالة السامع و إقناعه.

و يبين قاموس اللسانيات "لجون دبوا" أن الخطاب " متتالية من التمشيات الخطابية التي يقصد بها الإقناع أو إثارة العواطف..... و يتركب الخطاب الخطابي من ستة أجزاء - لا تدخل جميعا بالضرورة في خطاب : المقدمة و طرح الموضوع

¹ ينظر: مسعود صحراوي ، في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ضمن كتاب التداوليات علم استعمال اللغة، ص26.

² نوارى سعودي، في تداولية الخطاب الأدبي المبادئ و الإجراءات، بيت الحكمة للنشر و التوزيع، ط 1، 2009، ص14.

*التلفظ: فعل فردي يشغل به المتكلم نظام اللغة بمعنى تحويل اللغة إلى خطاب . ينظر : ألفا أوصمان باري ، تحليل الخطاب أسسه النظرية ، ترجمة لحسن بوتكلاي ، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب ، بني ملال،المغرب ،العدد5 ، 2014 ، ص 135 .

³ ينظر: المرجع نفسه ، ص ص 135 ، 136 .

⁴EmileBenveniste : problèmes de linguistique générale 1966,t1.p240-241.

وسرد الوقائع وعرض الحجج (وسائل الإثبات) و دحض الاعتراضات و النتيجة التي تقنع المتقبل و تثيره" ¹.

وإذا جئنا إلى "باختين" فقد اهتم بلسانيات الكلام، و الكلام البشري عنده ليس

تركيب كلمات و أصوات، و إنما هو فاعلية [مؤثرة] و هذا ما جعله يقدم بديلا لللسانيات "دوسوسير" القائمة على ثنائية اللغة / الكلام و يعوضها بثنائية الكلام/ الخطاب أو الكلام الفاعلية . و الفاعلية هنا هي الجانب الإيديولوجي للكلام لأنه المجال الذي يفتح فيه السياق كإنجاز لساني و كمضمون أخلاقي اجتماعي تمت فيه الاستجابة و إصدار ردود أفعال معينة إزاء هذا المضمون ².

والذي يصدر ردود الأفعال هنا هو السامع ، وبالتالي فإن الخطاب الفاعلية حوار ينشأ بين فردين ، وكل ملفوظ صادر من المتكلم هو موجه لشخص ما حتى ولو كان افتراضيا ليس من أجل التواصل العادي القائم على التبليغ فقط و إنما لإقناعه و التأثير فيه. و النظريات الحجاجية بدءا بالبلاغة الجديدة "لشاييم" -chaim-perlman و زميله " أولبريچ تتيكا Olbrechts tyteca أكدت على أهمية المخاطب الافتراضي من خلال خاصيتي التفاعل interaction و التحوار dialogique في كل خطاب حجاجي يحرص فيه الباث على كونه آرائه و إنسانية نزعت ما دام أنه يفترض أن خطابه موجه إلى المتلقي الخاص و الكوني، ³ إقناعهما يفترض خطابا مؤثرا . حدد "باختين" أربعة قوانين إجرائية للنظر إلى الخطاب الأدبي هي : قانون الانفتاح / قانون الاستيعاب/ قانون التفاعل/ قانون التحوار، ⁴

¹ j. Du bois et al : dictionnaire de de linguistique Larousse, paris, 2001,p150.

² ينظر: عبد الله بن عتو، مقدمة للخطاب الصوفي المغربي الحديث قضايا في المنهج و الرؤية، مطبعة الأمنية، الرباط ، المغرب، 2008، ص50.

³ ينظر : سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته و أساليبه عالم الكتب الحديث اربد.و جدارا للكتاب العالمي عمان، الأردن ، ط1، 2008، صص32 ، 33 .

⁴ ينظر: ميكائيل باختين، شعرية دوستوفيفكي ، ترجمة نصيف التكريتي، دار توبقال الدار البيضاء، ط1، 1986، ص 174 و ما بعده نقلا عن عبد الله بن عتو ، مقدمة للخطاب الصوفي الحديث ، ص50.

جلها كان حاضرا بقوة في الفتوحات المكية بوصفها خطابا حجاجيا كما سيتضح الأمر عند إجراء الدراسة .

1- قانون الانفتاح:

هو التغذية التي يستمدّها الخطاب من أجناس أدبية أخرى مثل انفتاح الرواية المعاصرة على نصوص المقامات ، أو انفتاح الشعر المعاصر على الشعر الجاهلي، أو شعر التصوف في العصر العباسي ، ليعاد إفراغها في مضمون الخطاب . وهو ما يعرف بالتناص أو تشابه المعاني في الدراسات الحديثة .

2- قانون الاستيعاب:

قدرة خطاب ما على احتواء خطابات صغرى، أو أصناف أدبية مغايرة مثل: احتواء الكتابات الصوفية خصوصا صغرى كالأدعية والابتهالات و الصلوات و الأذكار و نصوص الكرامات ، و الحكايات والمغامرات الفردية الغريبة، مع العلم أن الاستيعاب يكون مقصودا خاضعا للترتيب ، و لا بد من علاقة رابطة بين النصوص المستوعبة و الخطاب المستوعب الذي يمكن دراسته من زاوية رصد الخطابات الصغرى كعناصر مكونة و قريبة منه. [وفي المدونة آيات وأحاديث نبوية وأقوال للرسول (موسى وعيسى عليهما السلام) ولكبار المتصوفة والأولياء والصالحين وحكايات غريبة . و هي ذات قيمة أو سلطة *autorité* حجاجية الهدف من كثافة توظيفها إقناع المخاطب بصحة الفكرة التي يدعو إليها المخاطب.

3- قانون التفاعل:

التفاعل حوار بين النص و كاتبه و متلقيه و ما يحملانه من خبرات سابقة ، و الخطاب على ضوء هذا القانون يعبر عن هوية الإنسان و كيانه الحقيقي، و يسمح برصد إنسانية و موطن أفكاره و معانيه ، وبصيغة أخرى فالخطاب "ينضوي تحت اعتبارين :

أ- باعتبار حقول المخاطب (بالكسر) هو بناء من الأفكار والأحاسيس والمشاعر . فهو من هذه الزاوية ، يعكس مدى قدرة صاحبه على البناء واحترامه لقواعده ، حتى يؤدي مهمة الإخبار والإقناع .

ب- باعتبار مقروء القارئ - أو مقول القول - بتعبير المنطقة القدماء ، هو ذلك البناء نفسه وقد أصبح موضوعا لعملية إعادة البناء ، أي نصا للقراءة " ¹

4- قانون التحاور:

لا يمكن للكلمات أن تدل إلا داخل السياق، و هذا يعني أن اللغة وسيلة للتعبير و التواصل الاجتماعيين، [و هي في تحققها التلغفي (فعل اللفظ/ الكلام) في مواجهة و تحاور مستمرين مع غيرها من الكلمات، لأنها تقوم بعملية هدم و بناء الأفكار و رؤى و صور عن الواقع و العالم و الإنسان بشكل دائم لا يتوقف...إنها أداة للدفاع عن / أو دحض لأفكارنا و مواقفنا و تصوراتنا، و لأن هذه الأشياء في صراع واقعي دائما فإن الألفاظ/ اللغة هي الأخرى في تحاور و تفاعل باستمرار .

إذا كان قانون التفاعل حوار بين المتخاطبين ، فإن قانون التحاور حوار بين الكلمات أو عبر اللغة لأنها تؤدي وظيفة حاجية لا تقل شأنًا عن الوظيفة الإخبارية أو الشعرية أو الجمالية . وعليه فالحوار في ضوء القانونين يهدف إلى مخاطبة السامعين والتأثير فيهم وحملهم على الإذعان إلى فكرة أو اعتقاد معين دون فرضه عليهم بالقوة . ومن هنا كان الحوار خطابا حاجيا .

ثانيا : عند العرب :

يرى عبد الهادي بن ظافر الشهري أن الخطاب يحيل في الدراسات اللسانية الحديثة عند العرب على عناصر السياق الخارجي في بنائه اللغوي وتأويله ، وإنتاجه يكون بعلامات لغوية أو غير لغوية كما في التمثيل الصامت ، أو الرسم الكاريكاتوري أو الخطاب الإعلامي التجاري ² وعناصر السياق * هي المتكلم

¹ عبد الله بن عتو ، مقدمة للخطاب الصوفي المغربي الحديث قضايا في المنهج والرؤية ، ص ص. 39 ، 40
² ينظر : عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 39 .
* عناصر السياق هي: المرسل المرسل اليه.....

والسامع والرسالة والظروف المحيطة بهما كالزمان والمكان، وبهذه العناصر فهو أعم من النص المكتفي ببنية اللغوية، والدليل على ذلك أن الخطاب يكون بعلامات لغوية ويكون رسماً أو تمثيلاً صامتاً من دون البنية اللغوية.

ويبدو محمد عبد الباسط عيد متأثراً بفعل التلفظ عند بنفسه، إذ يرى أن ثنائية المتكلم والسامع هي التي تشكل الخطاب المتلفظ بينهما فإذا كانت "اللغة لا وجود لها إلا عبر التلفظ، وإذا كان التلفظ مشروطاً بطرفين، المتكلم والمستمع فإن الخطاب لا وجود له بغيرهما"¹. ويعرف طه عبد الرحمان الخطاب قائلاً "حد الخطاب أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه * مقصوداً مخصوصاً"² أي أنه منطوق الكلام الصادر من أفواه المتخاطبين في تواصلهم و"الكلام أصل في كل تواصل، كائناً ما كان"³.

ونطق الكلام لا يكون بألفاظ مرتبة على مقتضى مدلولات محددة، فقد يحدث النطق في النوم، والترتيب قد يكون صدفة في حال اللغة و الدلالة قد تنزع عنوة كما في حال فلتة اللسان، ولذلك فالكلام في حقيقته ينبني على قصدتين أولهما: أن يتوجه إلى الغير، لأن غياب إرادة توجيه المتكلم مضمون المنطوق به إلى المتلقي لا يجعله متكلماً حقاً حتى ولو صادف كلامه حضور من يلتقطه، مع الإشارة أن الذي يتكلم مع نفسه هو بمنزلة غيره مادام أنه جرد من ذاته الحقيقية ذاتاً أخرى أقامها مقام المستمع، لأن استمرار تواصل الإنسان مع خارجه يجعله يسعى إلى إقامة صلة بداخله "فتكلمه نفسه كما يكلم غيره، ويستمع لها كما يستمع له غيره"⁴ و ثانيهما: ضرورة إفهام غيرنا، وإذا لم تتوفر هذه الإرادة لا يكون الكلام ولا المتكلم حقاً، حتى ولو كان كلامه مفهوماً ممن التقطه لأن السامع "لا يكون مستمعاً حقاً إذا أفهم

¹ محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2013، ص 22 * الإفهام هو الإقناع الذي يحدثه المتكلم في السامع. أما الفهم فهو إقناع السامع بنفسه

² طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 1998، ص 215.

³ المرجع نفسه، ص 213.

⁴ المرجع نفسه، ص 214.

ما فهم ، سواء وافق الإفهام فهمه أم خالفه" ¹ و عملية الإفهام تكون للإنسان نفسه أي أن " المتكلم يولد من نفسه مستمعا يفهمه (بضم الياء) و يفهمه (بفتح الياء)، أي يصير المفهوم و الفاهم مجتمعين فيه تقديرا، لا تحقيقا " ². فإذا توجيه الكلام وإفهامه يكون للسامع بوصفه شخصا ثانيا حاضرا أو سامعا لنفسه وبالتالي فإن حقيقة الكلام تحدده " العلاقة التخاطبية و ليس العلاقة اللفظية وحدها: فلا كلام بغير مخاطب، و لا متكلم من غير أن تكون له وظيفة " المخاطب" (بكسر الطاء) ، و لا مستمع من غير أن تكون له وظيفة المخاطب (بفتح الطاء)" ³.

أما الخطاب فإن حقيقته تتعدى إقامة علاقة تخاطبية بين اثنين فأكثر، لأن قصد التوجه إلى الآخر و قصد إفهامه علاقة يمكن أن توجد، دون أن يوجد طلب إقناعه أو السعي إلى جلب أو دفع انتقاد ما ⁴ ، أي أن الخطاب كلام هادف إلى التأثير في السامع وإقناعه ، كما في كل خطاب يتجاوب فيه متلق ما و يأخذ رده بعين الاعتبار، و صورته المثلى تكون مناقشة بين طرفين أو أكثر أو تعقيبا على صفحات الجرائد أو غيرها من وسائل الاتصال ⁵ و من هنا فالخطاب حوار تواصل استدلالي يفرز التفاعل و ما ينجم عنه من تنازع و تراض و إجماع بين أطراف الخطاب الحجاجي ⁶ ، و حاجيته تقتضي وجود قاصدين هما: قصد الادعاء و قصد الاعتراض، الأول هو استعداد الناطق لإقامة الدليل على اعتقاده و غياب الاعتقاد، يعني أن الناطق ناقل لقول غيره فلا يلزمه اعتقاده، أو كاذب يعبث باعتقاد غيره و عدم وجود الاستعداد للتدليل " يجعل الناطق إما متحكما بقوله ، فلا يتوسل إلا بالسلطان و إما مؤمنا بقول غيره، فلا يحتاج إلى برهان" ⁷ ، و الناطق هنا لا

¹المرجع السابق ، ص 214.

²المرجع نفسه، ص214.

³المرجع نفسه،ص215.

⁴ينظر: المرجع نفسه،ص225 .

⁵ينظر: محمد العمري، دائرة الحوار و مزالق العنف كشف أساليب الإغاثات و المغالطة مساهمة في تخليق

الخطاب، إفريقيا الشرق،2002،ص9.

⁶ينظر: محمد نظيف، الحوار خصائص التفاعل التواصلي دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، إفريقيا الشرق،

2010، ص7.

⁷طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، ص 225.

يعد مخاطبا حتى و لو وجد من يصدق قوله. و الثاني أي قصد الاعتراض، فان المنطوق لا يكون خطابا حقا إلا إذا كان للمنطوق له حق مطالبة الناطق بالدليل على ما يدعيه لأن انعدام هذا الحق يعني تسليمه بما يدعيه الناطق أو أنه عديم المشاركة سلبى لا يتفاعل في الكلام¹. وفكرة الإدعاء والاعتراض شائعة في المدونة إذ كثيرا ما يجرد ابن عربي من نفسه ذاتا معارضة تطالب بالدليل، وهي مؤشر على حاجية الخطاب الناشئ من الاختلاف والتباين.

وإذا لم يقدر المنطوق له طلب الدليل فلا يعد مخاطبا حقا حتى و لو كان اعتقاده يوافق ما يقوله المدعي، لأن الموافقة قد تحدث بالصدفة و بالتالي ضرورة استنادها إلى دليل، و من هنا فالمخاطب لابد أن يعلو إلى رتبة المعترض و المعترض هو المخاطب الذي يقوم بواجب المطالبة على قول المدعي². إن الخطاب حسب طه عبد الرحمان هو الكلام المنطوق الصادر من المخاطب المدعي بالدليل أو الحجة، الموجه إلى غيرنا أي المخاطب المعترض لغرض إقناعه، أي أن الخطاب مرادف للحجاج.

ومن خلال ما سبق فإن التعريفات الغربية والعربية تتفق بأن الخطاب يشمل عناصر إنتاجه ممثلة في المتكلم والسامع والرسالة وسياقها مضافا إليه البنية اللغوية، وأن النص نسق لغوي يتكون من أصوات اللغة وكلماتها وتراكيبها. وتمييز الخطاب عن النص يعود إلى ظهور آليات ومناهج جديدة في الدراسة والتحليل كما أشرت في بداية هذا المدخل، فبظهور البنيوية والمنهج الوصفي كان هدف الدراسة الاكتفاء ببنية النصوص ووصفها وبظهور التداولية وتحليل الخطاب اتجهت الدراسة إلى تجاوز البنية النصية على أساس وجود معان ودلالات غير مصرح بها ولا يمكن إدراكها إلا بدراسة عناصر موجودة خارج النص كالمتكلم والسامع والظروف المحيطة بهما، وأضحى دراسة هذه العناصر ذات أهمية بالغة وهي استكمال لما كان ناقصا في دراسة البنية النصية، وعليه كان الخطاب أعم من النص يتضمنه

¹ ينظر: المرجع السابق، ص 225.

² ينظر: المرجع نفسه، ص ص 225، 226.

ويحتويه . ولذلك فإن تسمية الخطاب الحجاجي بدلا من النص الحجاجي ليس في بحثي هذا وإنما في جل البحوث التي تشتغل على الحجاج هي الأنسب ، وهي آتية من طبيعة الدراسة التي تشمل البنية اللغوية ممثلة في الحجاج اللغوي والأسلوبي وتتخطاها إلى غير البنية لتدرس النظرية التداولية التي تبحث في المتكلم والسامع والمعاني والمقاصد غير المصرح بها بوصفها عناصر خارج النص .

2 - تعريف الحجاج:

تقوم الحياة الإنسانية على التواصل، و التواصل الإنساني في أغلبه، إن لم يكن كله، تواصل إقناعي يسعى فيه كل طرف إلى التأثير في الآخر و جعله يعتقد بصحة آرائه، حتى أصبح الإقناع * إستراتيجية يعتمد عليها رئيس الحزب السياسي، والخطيب في المسجد، و الأستاذ في قاعة الدرس، والقائد الحربي،...و الكاتب، و المغني و الشاعر، و الفيلسوف،¹ و التاجر لبيع بضاعته، وقد يمارسها الطفل مع والديه للحصول على قطعة الحلوى أو السماح له باللعب² .و قد يضيع الحق في كثير من الحالات من أصحابه لضعف الحجة أمام قوة حجة أصحاب الباطل³ .و يفهم من هذا أن الحجاج حاضر في كل أنشطتنا اليومية، إذ نصادفه في الحوارات بين الأشخاص، و في صفحات الجرائد و برامج التلفزيون، و في النصوص الإشهارية وغالبا ما نلجأ إليه لندافع عن قضية، لندين أو لنمدح، أو لنبرر سلوكا، لنقف مع قرار أو ضده.⁴

* الإقناع الحجاجي يصدر عن وسائل منطقية و لغوية، ففي الخطابة العربية يكون النص إقناعيا و لكنه ليس نسا حجاجيا بالضرورة ، لأنه لا يعبر عن قضية خلافية و بالتالي كل نص حجاجي إقناعي، و ليس كل نص إقناعي نسا حجاجيا. ينظر: محمد العبد، النص الحجاجي دراسة في وسائل الإقناع ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، إعداد وتقديم حافظ اسماعيلي علوي، ج4، عالم الكتب الحديث ، الأردن، ط1، 2010، ص7.
¹ ينظر: رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة التوجه التداولي الجدلي، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته دراسة نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة، ج3، ص 197.
² ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 445.
³ ينظر: رشيد الراضي، السفسطات في المنطقيات المعاصرة، ج3، ص197.
⁴ ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص7.

يصعب ضبط و تدقيق مفهوم الحجاج،¹ لأنه عائم داخل ركام كبير من الكتابات و المرجعيات الفلسفية و المنطقية و البلاغية التقليدية، و في الدراسات القانونية و اللسانية و النفسانية و الخطابية المعاصرة² إلا أنه يمكن التمييز بصفة عامة بين ثلاثة مفاهيم رئيسة للحجاج: مفهوم يرادف الجدل عند القدماء و بعض المحدثين العرب*، و آخر جعله قاسما مشتركا بين الجدل و الخطابة** عند اليونان (أرسطو و أفلاطون) و مفهوم ثالث ظهر حديثا عند الغرب و هو أكثر عمقا و وضوحا من المفهومين السابقين، إذ أصبح مبحثا فلسفيا و لغويا مستقلا عن صناعة الجدل و الخطابة³.

و لأن البحث قراءة للفتوحات المكية في ضوء النظريات الحجاجية الحديثة، فإن الاكتفاء بذكر التعريفات التي لها صلة بالموضوع ضرورة لا مفر منها، بدء "بشايام بيرلمان" chaim Perlman، و زميله "أولبريخ تتيكا" olbrechs tyteca ثم "أوستن Austin" و "جون سيرل"، و أخيرا "أوزفالد ديكرت Oswald Ducrot" و "ج أنسكومبر".

¹ ينظر: حبيب أعراب، الحجاج و الاستدلال الحجاجي، مجلة عالم الفكر، العدد 1، المجلد 30، يوليو، 2001، ص 97.

² ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص 6.

* منهم: ابن الحسين إسحاق بن وهب، (ت 337 هـ) عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) حازم القرطاجني (ت 684 هـ). ينظر: محمد العبد، النص الحجاجي العربي دراسة في وسائل الإقناع، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، ج 4، ص 7.

** أوضح وأدق تعريف للخطابة أنها: "فن مخاطبة الجماهير بطريقة إقائية تشمل على الإقناع والاستمالة" ينظر: عبد شلبي عبد الجليل، الخطابة وأعداء الخطيب، دار الشروق، ط 1، 1981، ص 13. أما الجدل فيشبهه أرسطو برياضة المصارعة، فقد يهزم شخص شخصا آخر و المهزوم يستطيع أن ينتصر على خصمه لاحقا. ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008، ص 53.

³ ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 2، 2007، ص 8.

*** شايام بيرلمان من جنسية بلجيكية اعتمد على اللغة الفرنسية في كتابه الموسوم "نظرية الحجاج" الذي ألفه في 1958 و سماه هو "البلاغة الجديدة" la nouvelle rhétorique لحدائثة أبعادها و عمق خصائصها الإنسانية إذ أنها أجريت في قسمي الفلسفة و علم الاجتماع بجامعة بروكسل بلجيكا. ينظر محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 105، 104.

يعرف الباحثان "شايم بيرلمان و تتيكا " الحجاج في كتابهما ^{***} (البلاغة الجديدة) " موضوع الحجاج هو دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد من درجة ذلك التسليم" ¹ و تقنيات الحجاج المدروسة في الخطاب هي أبنية منطقية، أو رياضية تؤدي الوظائف التالية: الإقناع الفكري، و الإعداد لقبول أطروحة ما، و الدفع إلى الفعل ²، و يتحقق ذلك عبر قوة الحجج المعتمدة، و من طريقة انتظام الأبنية الحجاجية و تقنية اشتغالها في الخطاب يجعل المتكلم قادرا على تمرير مقاصده إلى المتلقي و حمله على إنجاز العمل المطلوب أو الكف عنه، و هذا ما يهدف الحجاج إلى تحقيقه ، وبالتالي فإن " غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان" ³.

إذا كان الحجاج عند "بيرلمان" إقناع فكري فهو جدال يهدف إلى " التأثير الذهني في المتلقي و عن تسليمه بما يقدم له و إذعانه لما يعرض إذعانا نظريا مجردا مجاله العقل و الإدراك" ⁴، و هو خطابة في الوقت نفسه لأنه "يأخذ من الخطابة أيضا توجيه السلوك أو العمل أو الإعداد له و الحض عليه" ⁵، بمعنى أنه يجمع " بين التأثير النظري و التأثير السلوكي العملي، فهو خطابة جديدة بالفعل" ⁶، أو بلاغة جديدة تحتوي في بنيتها المنطقية على آليات ووسائل حجاجية، "وبالتالي فلا يركز في الحجاج- إلقاء وتحليلا و كتابته - إلا على الأمور الداخلة في بنيته" ⁷ دون الاهتمام بطريقة التواصل مع الجمهور.

¹-chaim Perlman et Lucie olbrechts tyteca : traite de l'argumentation,(la nouvelle rhétorique), éditions de l'université, 5^{eme} édition, 2000,p :5.

² ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، ص 107 .

³chaim Perlman et Lucie olbrechts tyteca : traite de l'argumentation.p59 .

⁴ عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ،ص 28 .
⁵ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ، ص 22 .

⁶ المرجع نفسه ،ص 22 .

⁷ محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 118 .

إن دراسة البنية تكون باستثمار العناصر الحجاجية و الإمكانيات التقنية التي تمنح للخطاب نفاذيته المطلوبة القادرة على اقتحام عالم المتلقي و التمكّن من تغييره من خلال التفاعل interaction و التحاور dialogique¹ بين الكاتب/المتكلم و جمهوره، إذ يفكر المتلقي فيما يتلقاه، ثم يرد و يناقش و يفند، فينتقل من موقع التلقي إلى موقع الإرسال، و يصبح الطرفان يتبادلان فيما بينهما المواقع²، عبر محاوره يقاسم فيها الخطيب جمهوره أرضية تفاهم و مقدمات و منطلقات * واحدة في الحجاج مثل الوقائع و الحقائق و القيم ** و المواضيع و الأفكار المشتركة³، كمسلمات، كمسلمات مشهورة*، أي أن الخطاب قبل أن يكون كيانا مشكلا من تقنيات أو آليات حجاجية يواجه بها المتكلم المخاطب لإقناعه، له منطلقات يعول الخطيب على تسليم الجمهور بها، لأن الجمهور قد يرفض هذا الذي ينطلق منه الخطيب، أو لأنه يفطن لاختيار المقدمات من طرف واحد أو لكونه يدرك النوايا التي يريدتها الخطيب من وراء هذه المقدمات⁴ فيصبح الحوار تغليطا أو إجبارا على قبول رأي ما .

إن التسليم بالمنطلقات الحجاجية بين طرفي الخطاب هدفها "تخليص الحجاج" من سمات المغالطة و الإقناع القسري، فالحجاج بعبارة أخرى حوار علمي بعيد عن

¹ ينظر: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ببنية و أساليبه، صص 31، 32.

² ينظر: جميل عبد المجيد، البلاغة و الاتصال، دار غريب، القاهرة، (د،ت) 2000، صص 117 .
* هي مقدمات ضرورية تتعلق بالقضايا التي منها يكون الانطلاق proposition de départ، أي إنها نقطة انطلاق الاستدلال، أو منطلقات الحجاج المتفق عليها بين طرفي الخطاب الحجاجي مبدئيا و قبل الشروع في عملية الاحتجاج ذاتها، مع العلم ن الاتفاق المبدئي ليس مؤشرا على صدق المقدمات لأن صدقها و تسليم المتلقي بها كليا يجعلها تخرج من الحجاج القائم على الممكن و الاحتمال إلى البرهنة العلمية الصارمة بمقدماتها الصادقة و نتائجها الضرورية و الملزمة، ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، دراسات و تطبيقات، الشركة التونسية للنشر، ط 2011، ص 1، 24 . و أيضا: سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص 182. الوقائع les effets: مثل أن يعتمد المتكلم على وقائع الثورة الجزائرية كمنطلق حجاجي لإبراز عظمة الشعب الجزائري.

** أما القيم les valeurs: فتكون معنوية مثل: الحق، العدل، الحرية، الخير، و محسوسة مثل الوطن، و هي إنسانية إذا اتفقت الشركة عليها، و خاصة بمجتمع ما.

³ Chaim Perlman et Lucie olbrechts tyteca : la nouvelle rhétorique, traite de l'argumentation, op.cit.p.87.

⁴ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، مسكيلياني للنشر و التوزيع، تونس، ط 1،

العنف"¹ وإذا كان كذلك فهو " معقولية و حرية، و هو حوار من أجل حصول الوفاق بين الأطراف المتحاوره، و من أجل حصول التسليم برأي آخر بعيدا عن الاعتباطية و اللامعقول اللذين يطبعان الخطابة عادة، و بعيدا عن الإلزام و الاضطرار اللذين يطبعان الجدل، و معنى ذلك أن الحجاج عكس العنف بكل مظاهره"². ينطلق الحجاج في هذا المنظور مما هو متفق بين المتخاطبين مشترك بينهم، و هو حوار نظري يخاطب العقول و الأذهان للتأثير فيهم، دون ضغط أو إكراه أو تغليب.

وتتضح هذه الفكرة عند مقارنة الحجاج بالخطابة، فإذا كانت الخطابة خطابا شفويا وجمهورها عاما يلتقي مباشرة مع الخطيب، و رغبة منه في أن يكون خطابه فعلا مؤثرا يضطر إلى تكييف موضوعه وفقا لأهواء الجمهور، فإن الحجاج خطاب مكتوب أو شفوي جمهوره يكون حاضرا أو غائبا، و يكون فردا أو جماعة، أو بين المرء و نفسه، و بذلك تكون العلاقة بين المحاجج و جمهوره ليست مباشرة و هذا ما يجعله يضيف الطابع المنطقي ولا يكون للجمهور بأهوائه و نوازع دخل في تشكيل الحجج و توجيهها³. و على ضوء ذلك فالحجاج في هذا المنظور تنزع نزوعا عقليا ذهنيا، إذ يمكن تحليلها منطقيا، ومعنى هذا أن الخاصية الأساسية للخطابة الجديدة أنها منطقية و ليست تجريبية⁴ تصنف ضمن الحجاج المنطقي والذي سيكون فاتحة البحث في الفصل الأول إن شاء الله.

إذا كانت البلاغة الجديدة لبرلمان اتجهت إلى البحث في الخطاب الذي يهيمن عليه منطق الحجاج بوصفه حوارا عقليا نظريا، فقد ظهر توجه آخر يرى أن منطوق كلام الأفراد لا يمكن عده دائما وصفا و إخبارا أو نقلا للوقائع، و إنما هو أيضا وسيلة للتأثير في المتلقين، إنه اتجاه يعرف بالتداولية .

¹ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص107.
² عبد الله صولة، الحجاج أطره و منطلقاته و تقنياته من خلال "مصنف في الحجاج-الخطابة الجديدة" لبرلمان و تتيكا " ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. إشراف حمادي صمود، كلية الآداب منوبة، تونس(ب، ت)، ص 298.
³ ينظر: المرجع نفسه، ص ص 306، 307.
⁴ ينظر: محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، ص ص14، 15.

يعرفها ج- يول George yule قائلاً: "تختص التداولية pragmatics بدراسة المعنى كما يوصله المتكلم (أو الكاتب) و يفسره المستمع (أو القارئ)، لذا فإنها مرتبطة بتحليل ما يعنيه الناس بألفاظهم أكثر من ارتباطها. بما يمكن أن تعنيه كلمات أو عبارات هذه الألفاظ منفصلة- التداولية - هي دراسة المعنى الذي يقصده المتكلم"¹ ولا يصرح به في بنية النص ، أي أن الكلام ينطوي غالباً على معان غير معلنة متروكة للسامع إدراكها خارج النص لأن "صناعة المعنى تتمثل في تداول négociation اللغة بين المتكلم و السامع في سياق محدد (مادي، و اجتماعي ولغوي، وصولاً إلى المعنى الكامن في كلام ما"² ، بمعنى أن طرفي الخطاب: المرسل و المرسل إليه، و العلاقة القائمة بينهما ومكان تلفظ الخطاب و زمانه، و ما فيه من أشخاص و أشياء و ما يحيط بهما من عوامل اجتماعية أو ثقافية أو سياسية، هي الجو الخارجي الذي يلف إنتاج الخطاب³ ، و معرفة الجو الخارجي السياق يعني "كيفية إدراك قدر كبير مما لم يتم قوله :على أنه جزء مما يتم إيصاله . بإمكاننا القول إنه دراسة المعنى غير المرئي invisible meaning التداولية هي دراسة كيفية إيصال أكثر مما يقال"⁴.

ويعرفها طه عبد الرحمان بالقول " التداولية نظرية استعمالية حيث إنها تدرس اللغة في استعمال الناطقين لها، و نظرية "تخاطبية" تعالج شروط التبليغ و التواصل الذي يقصد إليه الناطقون من وراء هذا الاستعمال للغة"⁵ . و أوجز تعريف للتداولية أنها "دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل"⁶ . فالاستعمال يبين أن معنى الجملة

¹ جورج يول، التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار الغربية للعلوم، بيروت، لبنان ، ط1، 2010، ص 19 .
² محمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2006، صص 10، 11 .
³ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص45.
⁴ جورج يول، التداولية، ترقصي العتابي، ص19 .
⁵ طه عبد الرحمان، اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي ، ص 223.
⁶ محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2006، ص 14.

الواحدة يختلف باختلاف المتخاطبين (المتكلم والسامع) والسياق (الزمان والمكان والبيئة الاجتماعية).

إن الاستعمال التداولي للغة استعمال حوارى يطرح شيئين: أولهما الاتصال المضمّر مع الآخر في مقام تواصلى محدد و ثانيهما: أن الاستعمال للعلامات و المستعملون هم المحددون للمرجعية خلافا للتركيب syntaxe و الدلالة sémantique اللذين يلغيان الاستعمال من مرجعيتها¹. إن استعمال المعاني وتداولها هو الذي يحيل إلى المرجع أو المعنى المقصود عبر المعرفة المشتركة وليس ما تحيل إليه الكلمات في المفهوم البنيوي وعلى هذا الأساس تعد " المعرفة المشتركة من العناصر المؤثرة...و هي الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في انجاز التواصل، إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطابه كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله، و ذلك حتى يتمكننا من الإفهام و الفهم، أو الإقناع و الاقتناع"² كما في المثال التالي: يقول مراسل تلفزيون الشرق الأوسط من القدس الشريف " كان العالم يحتفل بدخول الألفية الثالثة، بينما كان آخرون يؤدون الصلاة"³. تتمثل المعرفة المشتركة للمتخاطبين فيما يلي :

- معرفة الزمان و هو وقت الاحتفال بدخول الألفية الثالثة (1 يناير 2000).
- معرفة خصائص المرجع الزماني، فرمضان شهر عبادة للمسلمين و التراويح صلاة تقام في الليل.
- المشاهدون يعرفون المراجع التي تحيل عليها كلمة: آخرون العالم، فهم ينتمون إلى فئتين: المسلمون و غيرهما من الديانات الأخرى.
- مكان الاحتفال و مكان الصلاة واحد هو القدس، و هو أيضا مكان تتنازع عليه فئتان.

¹ ينظر: محمد نظيف، الحوار و خصائص التفاعل التواصلى دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، ص ص 38 و 39.

² عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 49.

³ المرجع نفسه، ص 49 .

كما أن المتكلم لا يكلم إلا الذي بإمكانه إدراك المرجعية التي يريد بها : والحوار التالي يبين ذلك ¹.

1- (أ) هل ستحضر للندوة غدا؟.

2- (ب) نعم، و سأشارك بمداخلة في موضوع الندوة؟

3- (أ) و لكن لدي ارتباط ضروري.

4- (ب) أعدك بأني سأوافيك بالمعطيات حولها.

5- (أ) شكرا على الخدمة.

فانطلاقا من الملفوظ 4 (ب) نعرف أن (ب) علم تعذر محاوره للندوة عن طريق استدلالات أو معلومات تقتضيها العبارة السابقة، وبناء على هذه المعلومات قدم له الملفوظ 4 - (ب) ². أي أن عبارة لدي ارتباط ضروري يحيل معناها إلى تغييب المعني بالأمر وطلبه من زميله تقديم خلاصة الندوة ولا تعني الإخبار بانشغاله في المفهوم البنيوي .

فاستعمال اللغة إذا يقوم على أطراف الحوار التي تتضمن الفعل ورد الفعل بين المستعملين المتلفظين للفعل ³. والتلفظ كما سبق الإشارة إليه هو فعل الاستعمال الفردي لنظام اللغة ، هو النطق الصوتي لإنتاج الخطاب، وتعدد الناطقين يؤدي إلى تعدد الإنجازات والمعاني للخطاب الواحد بتعدد سياق الاستعمال ⁴ ، فمثلا القول جيد يعني الحكم على جودة الشيء، وفي سياق آخر يستعمله متكلم آخر للدلالة على الرداءة أو السخرية .والقول للطالب في قاعة الامتحان أترى القلم الأحمر ؟ له دلالة الإنذار والجملة ذاتها تكون للتنبيه إلى شراء القلم في مكتبة ما إذا كان المتكلم أبا والسامع طفلا والمكان مكتبة . والآية الكريمة في قوله تعالى : (رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا

¹ ينظر: عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداول مجلة دراسات أدبية، ع 1، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات و الخدمات التعليمية، ع1، ماي 2008 ،ص14.

² ينظر: عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، ص ص 14 ، 15.

³ ينظر: محمد نظيف، الحوار و خصائص التفاعل التواصلي، ص 39.

⁴ ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 28 وما بعدها.

بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" ¹ تنجز فعلين

لغويين هما الأمر والنهي والمتكلم المنجز أو المستعمل للآية في سياقها القرآني ينجز فعلا آخر هو الدعاء ² والقول ابتعد عن الفور لإنجاز فعل الأمر والمتكلم يستعمله لإنجاز فعل التحذير كما ينجز بالفعل احرص أيها المهرج فعل التحقير ³ .

وينجز بالاستفهام: أتعلم ماذا ينتظرك؟ فعل التهديد ⁴ ، فما يتلفظه المتكلمون

هو الأرضية التي بنى عليها أوستن نظرية الأفعال اللغوية التي طورها من بعده سيرل، وبه ينجز المرسل فعلا لغويا ⁵ . والفعل يعني أن اللغة لا تستعمل فقط لتمثيل العالم، أو وصف الأشياء و لكنها تستعمل لإنجاز أفعال لغوية تؤثر في المخاطب وتغير اعتقاده أو أفكاره . و هي الفكرة طرحها أوستن * عندما قال " لقد درست اللغة في ذاتها بكثير من العمق، و هي اليوم ينبغي أن تدرس من أجل حقيقة أخرى هي حقيقتنا كأشخاص نتكلم" ⁶ ، علما أن دراسة اللغة في ذاتها تشير إلى بنية النص ، ودراستها كأشخاص نتكلم هي المعاني غير المعلنة التي يهدف المتكلم إلى إيصالها إلى المخاطب بصورة ضمنية غير مباشرة تمثل تداولية الخطاب التي أبرز معالمها في كتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلمات ، ثم طورها بعده "سيرل" Searle و"اوزفالد ديكرود" Oswald Ducrot و"بروندونز" Berre donner و "غرايس" grice و "اوركيوني" orecchioni و غيرهم، ⁷ .

وعليه فإن موضوعات التداولية هي :

¹ سورة آل عمران ، الآية 8 .

² العياشي أدراوي ، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط1، 2011، ص 96

³ ينظر: علي محمود حجي الصراف ، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، ص ص 174 ، 175 .

⁴ المرجع السابق، ص 175 .

⁵ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية لتداولية ، ص 28 و ما بعدها.

*-أوستن هو أستاذ الفلسفة الأخلاقية بأكسفورد . لم ينشر أي كتاب بل نشر عددا من المقالات بعد موته في فيفري 1960 وكان عمره ثماني وأربعين سنة . ينظر : القول من حيث هو فعل نظرية أفعال الكلام ، ترجمة محمد يحياتن ، عالم الكتب الجزائر ، ط 2 ، 2010 ، ص 8 .

نقلا عن : عبد السلام عشير ، عندما j.ostine.quand dire c(est faire, Ed du seuil, 1970(278 ⁶

نتواصل نغير ،مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج ، ص 62

⁷ ينظر: عبد الحليم بن عيسى، المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ص 12 . و أيضا: عبد السلام اسماعيلي علوي، ما التداوليات ضمن كتاب، التداوليات علم استعمال اللغة، ص17.

-المؤشرات.

- قوانين الحوار .

- الافتراض المسبق .

- الأفعال الكلامية ¹.

وهي تشكل محور الدراسة في الفصل الثاني من هذا البحث .

إذا جئنا إلى "أوزفالد ديكر و OswaldDucrot و زميله ج أنسكومبر j.C

ans-conbre . - وهما امتداد لما جاء به أوستن Austin و جون

سيرل JohnSearle- فإن الحجاج عندهما يكمن في بنية اللغة. يقول ديكر و " و

بخلاف المنظور السابق، فإن البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية و لكنها لغوية

بالأساس داخلة في اللغة: التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحجاج، هذه

المعلومات يمكن تشبيهها وظيفيا بتحديد مسبق للتسلسلات الخطابية"². أي أن الحجاج

ليس شيئا مضافا إلى الملفوظ، و لكنه مسجل في اللغة بوصفها أساس لكل دلالة"³

لأن "اللغة هي محل الاختلافات و تظهرها إنها المرآة العاكسة للآراء المتناقضة و

الفضاء الذي تنبسط فيه الحجج و تنكشف مستويات قوتها وضعفها"⁴.

و يبين ديكر و أن القول اللغوي قول حجاجي لأن " القيمة الحجاجية لقول ما

ليست هي حصيلة المعلومات التي يقدمها فحسب، بل أن الجملة بإمكانها أن تشمل

على مور فيمات و تعابير وصيغ و التي بالإضافة إلى محتواها الإخباري، فهي

تصلح لإعطاء توجيه حجاجي للقول و توجيه المتلقي في هذا الاتجاه أو ذاك"⁵

وعلى ضوء هذه الأقوال فإن اللغة ذات وظيفة حجاجية قبل أن تكون إخبارية كما

¹ ينظر: مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب،ص30 . و أيضا: محمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص15.

² جيل ديكلارك، التداولية و الحجاج مقال ، ضمن كتاب لسانيات الخطاب الأسلوبية و التلفظ و التداولية،ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر و التوزيع، سورية، ط1، 2010،ص245.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 246 .

⁴ عمارة ناصر ، الفلسفة و البلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر و الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2009، ص99.

⁵ Oswald Ducrot : les échelles argumentatives. Edition de minuit, paris, 1980 , p : 18.

يقول : جيل ديكلارك Gilles Declercq: "إننا نريد أن نصل إلى القول أن الإخبارية في الواقع تعد من درجة ثانية بالمقارنة مع الحجاجية. فالزعم بوصف الحقيقة قد لا يكون إذن إقناعاً لزم أكثر جوهرية بممارسة ضغط على آراء الآخر"¹ و يفهم من هذا أننا نتكلم عامة بقصد التأثير و الإقناع" و بالتالي فان اللغة تؤدي وظيفة حجاجية مؤشر لها في بنيتها، في الأقوال و الجمل و المعنى، و في الظواهر الصرفية و التركيبية و الدلالية². حيث" توجد بين بعض ملفوظات اللغة الطبيعية علاقات حتمية، حيث إننا عندما نقبل هذه الملفوظات، نكون مجبرين على تقبل ملفوظات أخرى"³ و هي علاقات استدلالية استنباطية موجودة في بنية اللغة الطبيعية أو مكوناتها دون اللجوء إلى اصطناعها أو صورتها، و يسميها "ديكرو" منطق اللغة⁴.

و لتوضيح الحجاج اللغوي لأبد من مقابلة و مقارنته بالحجاج البرهاني من خلال

المثالين التاليين:

1- كل اللغويين علماء

زيد لغوي

إذن زيد عالم

2- انخفض ميزان الحرارة

إذن سينزل المطر

فالمثال الأول برهان أو قياس منطقي syllogisme لأن استنتاج زيد حتمي

و ضروري منطقياً، أما الثاني فهو حجاج لغوي لأنه استدلال طبيعي لا برهان فيه،

¹ التداولية و الحجاج، ضمن كتاب لسانيات الخطاب الأسلوبية و التلفظ و التداولية، ترجمة صابر الحباشة، ص246.

² ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، 2009، ص19 و أيضاً كتابه: حوار حول الحجاج، الأحمديّة للنشر ط1، 2010، ص83.

³ DucrotOswald, logique structure, énonciation, lectures sur le langage, Ed, minuit, paris 1989.p166, نقلا عن :

عمارة ناصر، الفلسفة و البلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص105

⁴ عمارة ناصر الفلسفة و البلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، ص104 .

القول الأول فيه يؤدي إلى نتيجة و هي احتمال نزول المطر ¹، و ليس ضرورة نزوله. وينفي ديكر و أن يكون الاستدلال البرهاني-القائم على القياس الحملي أو الشرطي -خطابا لأن الملفوظات التي يتركب منها منفصلة و مستقلة عن بعضها، فكل قول يعبر عن قضية أو يصف حالة الأشياء الواقعية أو المفترضة في الكون، و تسلسل الملفوظات لا يتأسس على الملفوظات وحدها، و لكن على القضايا المعبر عنها بواسطة تلك الملفوظات، فهي تتأسس على ما نقوله و نفترضه بشأن العالم ² أما الحجاج [فيعد خطابا] لأنه مؤسس على بنية الأقوال اللغوية و تسلسلها داخل الخطاب ³ و صيغته تكون "بتقديم المتكلم قولاً ق¹ (أو مجموعة أقوال) يفضي إلى التسليم بقول آخر ق² (أو مجموعة أقوال أخرى)" ⁴ فانخفاض الحرارة في المثال الثاني هو ق¹ و هو الحجة، و نزول المطر هو ق² أو النتيجة المسلم بها. و الحجة تأتي ظاهرة أو مضمرة يدل عليها السياق.

و الشيء نفسه بالنسبة للنتيجة و الرابط الحجاجي أيضا يكون ظاهرا أو مضمرا كما في المثالين التاليين ⁵.

أنا متعب، إذن أنا بحاجة إلى الراحة

أنا متعب، أنا بحاجة إلى الراحة.

أنا متعب

أنا بحاجة إلى الراحة

تم التصريح في المثال الأول بالحجة و الرابط و النتيجة ، و ذكرت الحجة و النتيجة ، و أضمّر الرابط في المثال الثاني و لم يصرح إلا بالحجة في المثال الثالث فالنتيجة

¹ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص20.

² ينظر: أوزفالد ديكر، السلام الحجاجية ، ضمن لسانيات الخطاب الأسلوبية و التلفظ و التداولية، ترجمة صابر الحباشة، ص253.

³ ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج، ص22.

⁴ j.C anscombre et OswaldDucrot, l'argumentation dans la langue, édition pierre margada, Bruxelles : p8

⁵ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة و الحجاج ، ص 24.

إذن مضمرة يستنتجها المخاطب من السياق. أما في المثال الأخير فقد ذكرت النتيجة و أضمرت الحجة.

و عليه فالحجة و النتيجة ركنان أساسيان في كل خطاب حجاجي يقول

أوزفالد ديكرود: "الحجاج يقوم على التكامل بين فعلين أساسيين و هما: فعل التصريح بالحجة من ناحية، و فعل الاستنتاج من ناحية أخرى سواء كانت النتيجة مصرحا بها أو مفهومة من القول الأول"¹.

و على ضوء ذلك فإن "التعريف السائد والمعتمد للحجاج ، يتمثل في تقديم مجموعة من الحجج والأدلة والغاية المتوخاة"² والعلامات اللسانية المتجلية في بنية اللغة أو سطح النص قواعد تتحكم في الخطاب أو حجج توجه الأقوال إلى نتائج ظاهرة أو مضمرة تصبح موضوعا للحجاج أو منطق اللغة الحجاجية القادرة على إحداث التأثير والتغيير .

¹J.C anscombe et OswaldDucrot, l'argumentation dans la langue, op.cit., p : 11

²ابو بكر العزاوي، حوار حول الحجاج ، ص 82 .

الفصل الأول

الحجاج المنطقي

مباحث الفصل الأول

- الحجج شبه المنطقية القائمة على البني المنطقية
 - التناقض وعدم الاتفاق
 - التعريف
 - التبادلية
 - التعدية
- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية
 - إدماج الجزء في الكل
 - تقسيم الكل إلى أجزائه
- الحجج المؤسسة على بنية الواقع
 - الحجة السببية
 - حجة التبذير
 - حجة الإتجاه
 - حجة التجاوز
 - حجة التعايش
 - حجة الشخص وأعماله
 - حجة السلطة
- الحجج المؤسسة لبنية الواقع
 - المثال
 - النموذج

الحجج المنطقية:

تكمّن قوتها الإقناعية في مشابهتها للاستدلالات الشكلية formelle، و المنطقية و الرياضية في البرهنة¹ ولأنها منبثقة من المنطق الصوري فهي أكثر دقة من أغلب الحجج الأخرى، إلا أنها قابلة للدحض². وعلى هذا الأساس ف " الحجج شبه المنطقية تتخذ قالباً منطقياً شكلياً فيه تحشر المعطيات وتكيف فتجعلها شبيهة باستدلال منطقي صارم"³. وهي تنقسم إلى حجج شبه منطقية تعتمد على البنى المنطقية مثل التناقض contradiction و التماثل identité و قانون التعديّة la transitivity، وأخرى تعتمد على العلاقات الرياضية مثل علاقة الجزء بالكل وتقسيم الكل إلى أجزائه، بالإضافة إلى الحجج المؤسسة على بنية الواقع (حجة التبذير - الاتجاه - حجة التجاوز - السلطة ...) وأيضاً المؤسسة لبنية الواقع (حجة المثال)⁴.

1- الحجج شبه المنطقية القائمة على البنى المنطقية :

1-1 التناقض contradiction و عدم الاتفاق incompatibilité :

الفرق بينهما هو أن: " التناقض يقابل بين الفكرة و بين نقيضها الخالص"⁵ كأن يقال: المطر ينزل ولا ينزل⁶. و مثل: أبيض و أسود، و هو أمر نادر جداً في الخطاب الحجاجي⁷، في حين أن التعارض أو عدم الاتفاق بين ملفوظين يكون بوضعهما على محك الواقع أو المقام* لاختيار إحدى الأطروحتين و إقصاء الأخرى

¹ ينظر: عبد الله صوله، في نظرية الحجج دراسات و تطبيقات، ص 42 .

² ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص 26.

³ سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص 191.

⁴ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج دراسات و تطبيقات، ص 42 وما بعدها، و أيضاً سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص 192 وما بعدها، و أيضاً محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجج في البلاغة المعاصرة، بحث في بلاغة النقد المعاصر، ص 128 وما بعدها

⁵ ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص 29.

⁶ ينظر: عبد الله صوله، في نظرية الحجج دراسات و تطبيقات، ص 43.

⁷ ينظر: سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم، ص 192.

* يروي الباحث عبد الله صوله مثلاً مفاده: أنه سمع حواراً بين شخصين يرى الأول أن السقوط من على ظهر الحمار أكثر ألماً من السقوط من على ظهر الجمل رغم علوه. و في نظر الثاني يجعل الإنسان يتهدأ للوقوع على الشكل الذي يريده، في حين أن الساقط على ظهر الحمار يكون قريباً و لا يجد الفرصة لاختيار كيفية السقوط.

لأنها خاطئة¹

جاء في المدونة قول النابغة الذبياني من الكامل²:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
لو كان حبك صادقا لأطعته
هذا محال في القياس بديع *
إن المحب لمن يحب مطيع

فعصيان الله لا يتفق مع إظهار حبه ، وبالأحرى يستحيل الجمع بين معصيته
وحبه لأن ذلك يشكل تعارضا صريحا لا يقبله العقل ، وبالتالي التناقض هنا يقوي
إقناع المخاطب بفكرة حب الله دون معصيته . والبيت المشهور لأبي الأسود الدؤلي:
لا تنه عن خلق و تأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

فلا يمكن الدعوة إلى الأخلاق السيئة و إتيان الأخلاق نفسها بحجة تعارض
السلوكين و لقوتها الإقناعية عول عليها ابن عربي كثيرا في الحجاج والحوار،
بدءا بإثبات وحدانية الله و تنزيهه عن الند و الشريك إذ" يحاور من يدعي وجود إله
ثان أو ثالث يشارك الله في ألوهيته فيطلب منه نظم الدليل على ذلك و إقناعا به"
³معتمدا على حجة عدم الاتفاق يقول " و أخذ الله الصورة من ظهر آدم و آدم فيهم
وأشهدهم على أنفسهم بمحضر من الملائكة والصور التي لهم في كل مجلى * *
ألسنت بربكم ؟ قالوا: بلى. فشهد على نطقهم من حضر ممن ذكرنا بالإقرار بربوبيته

وعلق الثالث بان الساقط من اعلى افريكا (اعلى بناية بتونس) يكون اكثر وعلق الساقط وووووو وعلق علق
الثالث بأن الساقط من أعلى أفريقيا (أعلى بناية بتونس) يكون أكثر في النجاة من الواثب في حوض السباحة. و
عليه فالتناقض بين القضيتين داخل النظام المشكلن يؤدي إلى الخور (l'absurde)، أما التعارض بين القاعدتين
في ضوء المقام الذي تقالان فيه فيؤدي إلى الهزء و يدفعنا إلى الضحك مثل ما هو الحال في نجاة الشخص لكون
الجميل عاليا. و من هنا فان الحجاج سبيله إطالة اللثام عن التعارض في أطروحات الخصم. و الخصم الذي يبحث
عادة عن مواطن الهزء في خطاب خصمه، هو في الحقيقة يبحث عن مواطن التعارض . ينظر: عبد الله
صوله، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، صص 43. 44 .

¹ ينظر: عبد الله صوله، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، صص 42.

² الديوان ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر ، بيروت ، دت ، ص 68 .

* هكذا جاء الشطر الثاني في الفتوحات ، وفي الديوان جاء هذا لعمرك في المقال بديع .

³ ساعد خميسي، ابن عربي المسافر العائد، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار العربية للعلوم، بيروت، لبنان،
ط1، 2010، ص 98.

* * يوضح محمد بن الطيب جلاء العالم قائلا: " ذلك أنه لما اقتضت الإرادة الإلهية ظهور العالم أو ظهور مرآة
للوجود يرى الحق فيها نفسه ، اقتضى الأمر جلاء تلك المرآة لتتحقق فيها معاني الرؤية فكان الإنسان (آدم)
عين ذلك الجلاء . إذ لو لاه لظلت مرآة الوجود مظلمة معتمة ، لا تنعكس عليها الكمالات الإلهية ." وحدة الوجود
في التصوف الإسلامي ، في ضوء وحدة التصوف وتاريخيته ، دار الطليعة ، بيروت ، ط، 2008، ص 231 .

عليهم و عبوديتهم له، فلو * كان له شريك فيهم لما أقرروا بالملك له مطلقاً¹ . فالقول بوجود شريك آخر لله ، يتعارض في المقام نفسه مع الاعتراف أو الإقرار بانفراد الله بالملك المطلق . ثم إن الامتناع عن نفي أو رفض الاعتراف بالملك المطلق لله لامتناع وجود شريك له يقوي حجة التعارض في هذا السياق .

و يؤكد على وحدانية الله في مقدمة الفتوحات، و علمه بالأشياء كلها، "يعلم السر و أخفى، يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور، كيف لا يعلم شيئاً هو خلقه، ألا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير"² فالوجود إذن كان موجوداً في علمه مسبقاً ، و الحجة أن عدم علمه لا يتفق مع خلقه للأشياء و الدليل على ذلك أن الأسماء الإلهية كالسمع والقدرة و البصر والكلام الموجودة في علم الله هي ذاتها المتجلية في الإنسان " فكل اسم فهو حي قادر سميع بصير متكلم في أفقه وفي علمه ، وإلا فكيف يصح أن يكون ربا لعباده " ³ فنفي الوجود العلمي للأسماء يتعارض مع وجودها الحسي ، وبالأحرى فإن إنكار وجود الله لا يتفق مع القول بوجود الإنسان الذي تجلت فيه صفات الله و اسمائه .

ويؤكد للمخاطب بأن علم الله وجود سابق على وجوده الظاهر بحجة عدم الاتفاق عندما يقول " فلو رآها أولاً في نفسه ثم رآها في العالم ربما تحيل أن نفسه رأى في العالم فرفع الله عنه هذا الإشكال بأن قدم له رؤية الآيات في العالم كالذي وقع في الوجود فإنه أقدم من الإنسان ، و كيف لا يكون أقدم و هو أبوه؟ "⁴ .

يوصف الإنسان بالظاهر و الباطن، و باطنيته يستمدّها من الأسماء الإلهية

مجتمعة

* لو لها معان كثيرة فهي تدل على التقليل - التمني - العرض - وهي هنا حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط غير الجازم (أي امتناع حصول النتيجة لامتناع السبب) ينظر محمد محمد حسن شراب ، معجم الشوارد النحوية و الفوائد اللغوية ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سوريا ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1990 ، ص 519 ، 520 .

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 5، ص 35.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 3.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 157، 156.

⁴ المصدر نفسه، ج 3، ص 226.

ممثلة في الألوهة* التي توحدت على إيجاده¹، و الألوهة من حيث باطن الذات الإلهية قديمة، و من حيث ظهورها و تعلقها بإيجاد أعيان الممكنات** محدثة، و الأمر نفسه بالنسبة للعالم فهو محدث من حيث ظهوره، و قديم من حيث بطونه في العلم الإلهي. و المثال الذي يوضح هذه القضية، الابن قبل ولادته يكون حكمه ضمنيا باطنا باعتباره إمكانا، و حين ولادته يتحقق الباطني الضمني و يتحول إلى حكم واضح ظاهر². و على ضوء ذلك فإن أسبقية الإنسان بوصفه صورة محدثة ظاهرة، يتعارض مع الألوهة الباطنية القديمة التي أوجدها.

ويواصل الإقناع بنفي التشابه بين القديم (الله) و المحدث (الإنسان) بحجة التعارض قائلا: " و إلا فأي نسبة بين المحدث و القديم؟ أم كيف يشبه من لا يقبل المثل من يقبل المثل؟ " ³ فالقول بأن الوجود القديم (الله) واحد ليس كمثلته شيء لا يتفق في المنطق مع المحدث الإنسان المتعدد المتشابه الأشكال والصور. و القول بأن الله ليس له مثل و لا صورة له في الذهن، يتعارض مع إدراكه بالدليل العقلي التجريبي ويتفق مع الدعوة إلى إدراكه بالعلم الكشفي القلبي . يقول ابن عربي: " فلما عرفنا أن ثم موجودا ليس له مثل و لا يتصور في الذهن و لا يدرك فكيف يضبطه العقل؟ هذا ما لا يجوز مع ثبوت العلم بوجوده، فنحن نعلم أنه موجود واحد في ألوهيته"⁴ و السبيل الصحيح إلى ذلك، الإلهام أو العلم الرباني المقذوف في قلب العارف الصوفي و ليس عقله " فلننتظر بما وصف نفسه وتساءل الله تعالى إن يفهمك ذلك فستقف على علم إلهي لا يبلغ إليه عقل بفكره آبد الآبأد"⁵.

*الالوهة اسم مرتبة جامعة لمراتب الأسماء والصفات الإلهية ، والله اسم لهذه المرتبة . ينظر : عبد المنعم الحفني ، المعجم الصوفي ، دار الرشاد ، القاهرة ، مصر ، 1997 ، ط1 ، ص 31 .
¹ ينظر: نصر حامد أبو زيد، هكذا تكلم ابن عربي، المركز الثقافي العربي، المغرب، لبنان، ط3 ، 2006 ، ص 23.

**هي الأشياء المرئية التي أوجدها الله ومنها الإنسان
²ينظر: نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، المركز الثقافي العربي، المغرب و لبنان، ط5، 2003، ص 61.
³ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص 144.
⁴المصدر نفسه، ج 1 ، ص 145.
⁵المصدر نفسه، ج 1، ص 144.

إن رؤية الذات الإلهية أمر مستحيل البحث فيه ، وابن عربي ظل يحاول إثبات هذه الاستحالة قائلاً : " نعم يا ربنا ما نبصر و لا نبصر الحجب، فنحن خلف حجاب، الحجب و أنت منا بمكان الوريد أو اقرب إلينا منا، و هذا القرب سبب عدم الرؤية منا أن نتعلق بك الإنسان لا يرى نفسه فكيف يراك و أنت أقرب إلينا من أنفسنا"¹.
وعدم رؤية الذات الإلهية أو تحديدها دفع ابن عربي إلى البحث عنها عبر صورها و تجلياتها من خلال إيجاد العالم" فلو كان العالم موجودا ما طلب وجوده، فالأسماء له كالعائلة، و رب العيال يسعى على عياله، و الخلق عيال الله الأبعد، و الأسماء الآل الأقرب ، فسأله العالم لإمكانه، و سأله الأسماء لظهور آثارها "²
فالأسماء الإلهية أو أسماؤها كالقادر، و الحي، و الرحيم ... قامت بإيجاد العالم و أظهرت آثارها فيه، و بالتالي فالمحاجج هنا يدافع عن فكرة أن العالم لم يكن موجودا بحجة أن طلب وجوده العيني الظاهر يتعارض و لا يتفق مع القول بوجوده سابقا*.
تسري حجة التعارض في خطابات أخرى غير التي موضوعها إثبات وحدانية الله، لقوتها الحجاجية في التأثير و الإقناع، كما في قول ابن عربي و هو يحاور المتكبرين و يحثهم على التواضع " و إذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفا من تراب فإنك منها خلقت و فيها تعود، و متى أردت أن تنظر ما أنت فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء، فمن كان حاله كذا فلا يجوز له أن يتناول أو يتكبر على من هو مثله "³ فعدم الاتفاق حاصل بين قيمتين : بين من كانت قيمته حفنة تراب خلق منها، و يخرج منه الذي يخرج في بيت الخلاء وقيمة التعالي و التكبر على الناس، وهو تعارض ساخر، و سخريته هادفة للتأثير في المخاطبين و إقناعهم بعدم التعالي على غيرهم .

¹ المصدر السابق، ج3، ص239.

² المصدر نفسه، ج6، ص 36 .

* ليس المقصود أن العالم قبل وجوده في الأعيان كان معدوما في علم الله، لان ذلك يتنافى مع علمه الأزلي. و يعرف ما سيكون قبل أن يكون، و إنما المقصود أن الله أحب أن يعرف بغيره فأوجد العالم لتتم له المعرفة القديمة و الحديثة، و بالتالي فالحب هو علة وجود العالم و الجمال هو الصورة التي ظهر عليها بعد أن كان ثابتا في العدم و يستند ابن عربي في هذا المعنى إلى تأويل الحديث المشهور: " كنت كنزا مخفيا فأحببت أن اعرف فخلقت الخلق و تعرفت إليهم فعرفوني" ينظر: محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصرف الإسلامي في ضوء وحدة التصوف و تاريخيته، ص 253. وأيضاً نصر حامد أبو زيد ، في هكذا تكلم ابن عربي، ص 13.
³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 377.

و يعتمد على الحجة ذاتها لنفي الكبرياء و العظمة على القلوب الضعيفة إذ يثبت ساخرا التعارض الموجود بين من يتألم لقرصة البرغوث و ألم البول و يبيت جائعا ليل نهار و يبين ادعاء الكبرياء و العظمة عندما يقول: "...و هو في قلبه معصوم من ذلك الكبرياء و الجبروت لأنه يعلم عجزه و ذلته و فقره لجميع الموجودات ، و أن قرصة البرغوث تؤلمه و المرحاض يطلبه لدفع ألم البول و الخراءة عنه، و يفتقر إلى كسيرة خبز يدفع بها عن نفسه ألم الجوع، فمن صفاته هذه كل يوم و ليلة كيف يصح أن يكون في قلبه كبرياء و جبروت؟ و هذا هو الطبع الإلهي على قلبه فلا يدخله شيء من ذلك" ¹ فعدم الاتفاق إذا حاصل بين صفتين متعارضتين لا تلتقيان هما الضعف و القوة كحجة لإقناع ذوي القلوب الطاهرة الضعيفة بالتواضع ورفض إدعاء القوة و الكبرياء .

2-1-التعريف:

" يمثل التعريف في الغالب مقدمة للحجاج ، مادام الحجاج يبحث ،بتحديده للمفاهيم ، عن اتفاق المتحاجين حول أسس مشتركة ، رغبة في إقناع جيد " ² . مع العلم أن التعاريف تدعي قيامها بدور الضبط و التحديد رغم افتقارها إلى الدقة و الوضوح" ³ .

اعتمد ابن عربي على حجة التعريف في الأجزاء الثمانية كلها، مهيمنة على أبوابها و فصولها .

¹ المصدر السابق، ج3، ص512.

² ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص26.
* للتعريف أصناف كثيرة يمكن إيجازها فيما يلي: للتعريف بالإحاطة / التعريف بالتحديد، الأول يقوم بتحديد الخصائص المميزة للشيء بالتمثيل المجرد، و الثاني يقوم بتعداد العناصر المكونة للشيء بالتمثيل الملموس (2) التعريف الوصفي : و يترك الخصائص الجوهرية للشيء و يعوضها بإطلاق المفردات الوصفية (3) التعريف التفسيري: يبحث في الخصائص الجوهرية للشيء و يحيل على مفاهيم و مرادفات معروفة . (4) التعريف التعاقدى: يبدع مفهوما بابتكار عبارة جديدة، أو إعطائها معنى جديدا عبر اتفاق المتحاورين (5) التعريف الموجه يتم فيه توجيه المتلقي نحو موقف معين في سياق حجاجي جدلي أو مواجهة كلامية.(6) التعريف المكتف يصاغ في عبارات و جمل قصيرة و هي ذات قيمة حجاجية فعالة في التوجه و الإثارة، لذا يعتمد عليها رجال السياسة و الإشهار.

³ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص200.

والبداية ما جاء في مقدمة الفتوحات " عندما فرق بين المقام و الحال بتعريفهما " فالمقام منها كل صفة يجب الرسوخ فيها و لا يصح التنقل عنها كالتوبة، و الحال منها كل صفة تكون فيها في وقت دون وقت كالسكر و المحو و الغيبة و الرضا، أو يكون وجودها مشروطا بشرط فتتعدم لعدم شرطها كالصبر مع البلاء و الشكر مع النعماء"¹.

ويعتمد على التعريف التفسيري مؤكدا "أن الله تعالى إله واحد، لا ثاني له في ألوهيته منزله عن صاحبة و الولد، مالك لا شريك له ملك لا وزير له.....خلق الخلق، و اخلق الذي خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمناء....."² . إن الخصائص المذكورة هنا مفاهيم معروفة ووضوحها يزيد في الإقناع بجوهر الذات إلهية. و يرى في تعريف العلم أن تحصيله يكون بالقلب و ليس العقل "اعلم أيدك الله أن العلم تحصيل القلب أمرا ما... فالعلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب و العالم هو القلب، و المعلوم هو ذلك الأمر المحصل"³ و التحديد بهذا المفهوم هو حجة الصوفيين بصفة عامة للدفاع عن أطروحاتهم القائلة بأن العلم الحقيقي إلهام و نور يختص الله به القلوب الصافية المحبة لله من العارفين الصوفيين.

وخصص حيزا هاما لتعريف الحروف، و لأنها كثيرة فان البحث سيقصر على بعضها يقول ابن عربي معرفا الألف: ".....و مقام الألف مقام الجمع له من الأسماء اسم الله، و له من الصفات القيومية، و له من أسماء الأفعال: المبدئ و الباعث و الواسع و الخالق.....و ظهوره في المرتبة السادسة و ظاهر سلطانه في النبات"⁴.

ويعرف الهمزة بأنها " من الحروف التي من عالم الشهادة و الملكوت لها من المخارج أقصى الخلق.....و ظهور سلطانها في الجن و النبات و الجماد.....و تختص من أسماء الصفات بالقهار و القاهر و المقندر و القوي، و طبعها الحرارة و

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص58.

² المصدر نفسه، ج1، ص62.

³ المصدر نفسه، ج1، ص142.

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص106.

اليبوسة و عنصرها النار...." ¹ . و يواصل تعريف بقية الحروف كما هو الشأن بالنسبة للهاء" اعلم أن الهاء من حروف الغيب لها من المخارج أقصى الحلق... و ظهور سلطانها في النبات... و لها من أسماء الصفات : المقتدر و المحصي، و لها من أسماء الأفعال: اللطيف و الفتاح و المبديء و المجيب...." ² .

ويقول عن العين" اعلم أن العين من عالم الشهادة و الملكوت، و له من المخارج وسط الحلق.... و ظهور بسلطانه في البهائم... و هو من عالم الإنس الثنائي... و له من الأسماء الذاتية: الغني و الأول و الفاخر... له من أسماء الصفات: القوي و المحصي و الحي... " ³ .

ويذكر صراحة بعد إنهاء تعريف الحروف الثمانية و العشرين الوظيفة الحجاجية لهذه التعريفات " و أما قولنا الذي ذكرناه بعد كل حرف فأريد أن أبينه لكم حتى تعرفوا منه ما لا ينفعم عما لا تعلمون، فأقل درجات الطريق التسليم فيما لا تعلمه، و أعلاه القطع بصدقه" ⁴ ، وهي أي الحروف تدرج ضمن التعريف التعاقدية القائم على ابتكار عبارات جديدة ، وإعطائها مفاهيم جديدة عبر اتفاق المتحاورين (المتكلم و السامع كلاهما صوفي حتى يحصل الإقناع بتعريف الحروف هنا) . وبالتالي فإن ما دونه ابن عربي من علم الحروف في مؤلفاته موجه لأهل الإشارات ، أي للخاصة لا العامة ⁵ .

و المفاهيم الجديدة تتمثل في أن الموجودات هي كلمات الله التي تكونت من الحروف، و الحروف أصلها النفس الإلهي أو العماء، و العماء أصل الحروف و الموجودات ⁶ . أي أن "الحروف أول اللغة و أول الكلام و أول الشعر و أول الكون" ⁷ على أساس أن " عالم الكتابة عالم قديم وهو الأصل . و عالم الشهادة عالم

¹ المصدر السابق ، ج1، ص 106 .

² المصدر نفسه، ج1، ص 106 .

³ المصدر نفسه، ج1، ص 107 .

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص 124 .

⁵ ساعد خميسي، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، أطروحة دكتوراه الدولة مخطوطة بجامعة قسنطينة، 2005 / 2006، ص 79 .

⁶ ينظر: نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، ص 331 .

⁷ سحر سامي، شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص 87 .

حديث وهو صادر عن الأول بدليل أن القرآن كان قديما في اللوح المحفوظ"¹، المقصود ليس حروف لغتنا الإنسانية، وإنما حروف اللغة الإلهية*، بوصفها تحفظ الأسماء الإلهية و أيضا مراتب الوجود، و هي باطن الأسماء و المراتب. فالأسماء و المراتب هي ظاهر أرواح الحروف، أما حروف لغتنا فهي أجساد هذه الحروف الأرواح و صورها الظاهرة² و الربط بين مراتب الوجود الموازية لحروف اللغة** ليس للتوضيح، و إنما هو الحقيقة التي تعتمد على إيمان كشفي، الصوفي وحده هو الذي يدرك هذه الحقيقة و يربط بين الظاهر و الباطن، و "علم الحروف هو من علم الأسرار الذي هو بدوره جزء من علم الباطن الذي لا يمكن دركه بالنظر أو باعتماد قواعد العقل المعهودة ، فهو لا يدرك إلا من خلال الرمز والإشارة وضرب الأمثلة "³. أما غير الصوفي فيصعب إقناعه بل و يعارضها ومن ثم كان خطاب ابن عربي في التعاريف السابقة "باستعمال فعل أمر من قبيل" (واعلم أن) ...لدحض أي حجاج لا ينتسب إلى مرسل معين، و لكنه حجاج متوقع"⁴. و توقع اعتراض مفهوم ابن عربي للغة والحروف جعله يعرف بعض المصطلحات، معتمدا على الوقفة أو بنية الحوار، إذ أقام حوارا حقيقيا بينه و بين ذاته التي جرد منها ذاتا أخرى أقامها مقامع المستمع، باعتماد علامات لغوية من مثل: قال...فقلت، إن قلت...قلنا، فإن قيل...قيل. علما أن توقع اعتراض المخاطب يقتضي توفر قصد الادعاء والحوار بهذه الشروط (المتكلم ، السامع ، الادعاء ، الاعتراض) خطاب حجاجي إقناعي بمفهوم طه عبد الرحمان .

¹ حسن صوالحية، بنية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لحي الدين بن عربي ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير ،مخطوطة بجامعة باتنة ،2010/2011،ص60.

²* يرى ابن عربي أن الموجودات ظهرت عن الأمر الإلهي أو الكلمة الإلهية"كن " وأصلها كون والتي تعكس جدلية الظاهر والباطن من خلال وسيط برزخي هو الواو المحذوفة والتي تربط بين الكاف والنون كما يربط عالم الخلق بين عالمي الغيب والشهادة أو بين الظاهر والباطن ، ينظر : نصر حامد أبو زيد ،فلسفة التأويل ، ص 331 . وما بعدها .

³ينظر : نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، ص303. ** عدد الحروف هو 28 ممثلة في الهمزة الهاء العين إلى غاية الواو، و الأسماء الإلهية هي : اليبديع- الباعث- الباطن- الحكيم- الغني..... وغيرها. و المراتب الوجودية مرتبة بحسب ترتيب الحروف أولها: العقل الأول/ القلم ثم اللوح المحفوظالعرش-زحل-المشتري و آخرها الجن و البشر.

⁴ساعد خميسي، الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية، ص 78 .
⁴عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص ص 474، 475.

يقول ابن عربي: "فإن قلت: و ما التصوف؟ قلنا الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا و باطنا و هي مكارم الأخلاق، و هو أن تعامل كل شيء بما يليق به مما يحمده منك و لا تقدر على هذا حتى تكون من أهل اليقظة. فإن قلت: و ما اليقظة حتى أكون من أهلها؟ قلنا: اليقظة الفهم عن الله في زجره فإذا فهمت عن الله انتبهت فإن قلت: فما الانتباه؟ قلنا: هو زجر الحق عبده على طريق العناية، و هذا لا يحصل إلا لأهل العبودة. فإن قلت: و ما العبودة؟ قلنا نسبة العبد إلى الله لا إلى نفسه، فإن انتسب إلى نفسه فتلك العبودية لا العبودة"¹.

و في السياق ذاته يواصل قائلا "فإن قلت: و العبد؟ قلنا ما يعود عليك في قلبك من التجلي يعود الأعمال و هو قوله صلى الله عليه و سلم: "إن الله لا يمل حتى تملا فطوبى لأهل القدم" فإن قلت و ما القدم؟ قلنا: ما ثبت للعبد في علم الحق به، قال تعالى (أَنْ لَّهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ) ² أي سابق عناية (عِنْدَ رَبِّهِمْ ³) في علم الله و يتميز ذلك في الكرسي. فإن قلت: و ما الكرسي؟ قلنا: علم الأمر و النهي فإنه قد ورد في الخبر أن الكرسي موضع القدمين قدم الأمر و قدم النهي الذي قيده العرش. فإن قلت :وما العرش ؟ قلنا : مستوى الأسماء المقيدة و فيه ظهرت صورة المثل من (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) ⁴ و هذا هو المثل و هذا هو المثل الثابت. فإن قلت: و ما المثل؟ قلنا: المخلوق على الصورة الإلهية الواردة في قوله صلى الله عليه و سلم: "إن الله خلق آدم على صورته" و قال تعالى فيه (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ⁵) و هو نائب الحق الظاهر بصورته (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ) ⁶ أظهره النائب و مشهد هذا النائب حجاب العزة....فإن قلت و ما حجاب* العزة؟ قلنا :العمى

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 191.

² سورة يونس، الآية 2.

³ سورة يونس، الآية 2.

⁴ سورة الشورى، الآية 11.

⁵ سورة البقرة، الآية 30.

⁶ سورة الزخرف، الآية 84.

* حجاب كل شيء لا يواصلك صلة بالله تعالى، و العارف بالله يرى الله في كل شيء يحتجب فيه . و حجاب العزة بمعنى لا تأثير للإدراكات الكشفية في كنهه (داخل) الذات ، فعدم نفوذها فيه حجاب . ينظر : عبد المنعم الحفني ، المعجم الصوفي ، ص 74 .

و الحيرة* فإنه المانع من الوصول إلى علم الأمر على ما هو عليه في نفسه ولا يقف على حقيقة هذا الأمر إلا أهل المطلع. فإن قلت : وما المطلع؟ قلنا الناظر إلى الكون بعين الحق ومن هنالك يعلم ما هو ملك الملك . فإن قلت : وما هو ملك الملك ؟ قلنا هو الحق في مجازة العبد¹ .

يلاحظ أن آخر مصطلح في كل تعريف يجيب عن الأسئلة المتوقعة اعتراضها يفتح سؤالاً جديداً يتطلب التعريف بالنزول إلى موقع المتلقي و توقع جميع ما يطلب معرفته أو تعريفه يكون عبر كثافة التعريفات بوصفها "مواجهة كلامية" افتراضية هي جدال حجاجي "لا يقود إلى أعمال الفكر، بل لتسخير الأذهان، و إثارة الاستجابة، أو صناعة سلوك"²، وإثارة الأذهان يعني تهيئتها ودفعها إلى ما هو محدد في التعريف المتفق عليه المشترك بين المتخاطبين حتى يحصل الإقناع بالمفاهيم الصوفية التي حددها ابن عربي و جاءت الحجة بالتعريف مع حجج أخرى يأتي الحديث عنها لاحقاً- لتهيمن على الجزأين الثالث و الرابع، إذ عرف فيهما صاحب المدونة المقامات و الأحوال مثل: التوبة-المجاهدة-الورع-الزهد-الصمت-السهر. الرجاء التوكل.

يقول معرفاً الزهد: " الزهد* * لا يكون إلا في الحاصل في الملك، و الطلب حاصل في الملك، فالزهد في الطلب زهد"³. و يعرف مقام ترك اعلم أن ترك الترك إمساك، و الزهد ترك، و ترك الزهد ترك الترك، فهو عين رجوعك إلى ما زهدت فيه"⁴. و يقول في مقام الحزن " الحزن مشتق من الحزن و هو الوعر الصعب، و الحزونة في الرجل صعوبة أخلاقه، و الحزن لا يكون إلا على فائت، و الفائت

* الحيرة: بديهية على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم ، تحجبهم عن التأمل والفكرة ، المعجم الصوفي ص، 84. أما العماء: ما فوقه هواء وما تحته هواء ،يعني لاحق ولا خلق ، ص 180.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص ص 191، 192 .

² محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية، ص 28 .

* الزهد أن تترك الدنيا لا تقول أبني بيتاً أو مسجداً . والزهد في الحرام أي تركه لأن الحلال مباح وهو في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة . وزهد الصوفية وخلوتهم يحصل عنها الإشراق (المعرفة الربانية) في قلوبهم . ينظر عبد المنعم الحفني ، ص 117 .

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج3 ، ص 267 .

⁴ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 268 .

الماضي لا يرجع لكن يرجع المثل،....." ¹ "و ترك الحزن هو" حال و ليس بمقام، و هو مؤد إلى خراب القلوب، و في طيه مكر إلهي إلا للعارض فإنه لا يخرج عن مقام الحزن إلا من أقيم في مقام سلب الأوصاف عنه،" ² و مقام الجوع" هو للسالكين جوع اختيار لتقليل فضول الطبع و لطلب السكون عن الحركة إلى الحاجة" ³ أما "ترك الجوع عند القوم ليس الشبع، و إنما هو إعطاء النفس حقها من الغذاء...." ⁴.

بلغت المقامات المعرفة 112 مقاما في الجزء الثالث و البقية في الجزء

الرابع، الغرض من تعريفها إقناع سالك الطريق الصوفي وليس عوام الناس بالمجاهدات والصبر على الطاعات التي تمكنه من شهود حقيقة الصفات الإلهية شهودا مباشرا، و تمكنه من المراق التي يجب سلوكها لبلوغ مرتبة الألوهية ⁵ أي أن ابن عربي عند تعريف المقامات* والأحوال " كان يتوجه بمثل هذا النوع من الخطاب إلى متلق مخصوص ، وإما إلى متلق ذهني وافتراضي " ⁶ و يلاحظ أن تعريف المقام يقابله ترك المقام ذاته، و الترك يرتبط بالتجدد المستمر و السفر اللانهائي نحو المطلق أو الوصول إلى الحضرة الإلهية عبر المقامات والأحوال ⁷.

3-1 التبادلية:

تتأسس على معالجة وضعيتين متماثلتين معالجة واحدة، و تماثلهما ضرورة لتطبيق قاعدة العدل *la règle de justice* التي تقوم على معاملة واحدة لكائنات أو

¹ المصدر السابق، ج3 ، ص 280.

² المصدر نفسه، ج، ص 281 .

³ المصدر نفسه، ج3، ص 282 .

⁴ المصدر نفسه، ج3، ص 283 .

⁵ ينظر: عبد الجليل بن عبد الكريم سالم، وحدة الوجود عند ابن عربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص26.

* المقامات هي مجاهدات شخصية أو مكاسب تحصل ببذل المجهود، و سمي المقام كذلك لثبوته و استقراره، و يجب أن يبقى مع المتصوف من بداية الطريق حتى نهايته، و لا ينتقل من مقام إلى آخر إلا إذا استوفى أحكام ذلك المقام أما الأحوال فهي شعور روحي أو حالة نفسية يفيضها الله على قلب الإنسان مثل: القرب-المحبة-الخوف-الشوق..... و سمي الحال حالا لتحوله ينزل في القلب فلا يدوم و السالك في طريق التصوف يجب أن يمر بالمقامات و الأحوال لكي يكون عارفا يصل إلى اليقين. ينظر: صهيب الرومي، التصوف الإسلامي، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام، بيروت(لبنان)، ط1، 2007، ص95 و ما بعدها.

⁶ قدور رحمانى ، بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي ، أطروحة معدة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي ، مخطوطة بجامعة الجزائر ، 2005 ، 2006 ، ص84 .

⁷ ينظر: خالد بلقاسم، الكتابة و التصوف عند ابن عربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء(المغرب)، ط1، 2000 ، ص188.

وضعيات تنتمي إلى مقولة واحدة¹. و غالبا ما يتسلح بها الجمهور لغرض الفصل بين قضية مرفوضة و أخرى مقبولة² بالقول : لا تفعل بغيرك ما لا تحب أن يفعل بك³ أو بالمثل الشائع في حياتنا اليومية "ضع نفسك مكاني".

ومن السياقات التي تجلت فيها هذه الحجة الخطاب المعبر عن الرؤيا أو الإسراء و المعراج * ثم عرج بي إلى السماء الثالثة إلى يوسف عليه السلام فقلت له بعد أن سلمت عليه فرد و سهل بي و رحب: يا يوسف لم لم تجب الداعي حين دعاك و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول عن نفسه أنه لو ابتلي بمثل ما ابتليت به و دعي لأجاب الداعي و لم يبق في السجن حتى يأتيه الجواب من الملك بما تقوله النسوة، فقال لي: بين الذوق * و الفرض ما بين السماء و الأرض كثير بين أن تفرض الأمر أو تذوقه من نفسك لو نسب إليه صلى الله عليه و سلم ما نسب إلي لطلب صحة البراءة في غيبته فإنها أدل على براءته من حضوره⁴.

يبين ابن عربي أن حجة النبي يوسف عليه السلام عندما برأ نفسه مما نسب إليه من الإعجاب بامرأة عزيز مصر (التحرش الجنسي بمفهومنا الحاضر) تبادلية إذ لو وضع الرسول صلى الله عليه و سلم نفسه مكان يوسف فإنه يرفض الخروج من السجن مثلما رفض يوسف الصديق دعوة رسول الملك القاضية بخروجه من السجن ذوقا أو معرفة ربانية مقذوفة في قلبه رغبة أو طلبا في تبرئته للتفريق بين الحق والباطل ، مع التذكير أن هذا المعراج إسراء بالروح يحاكي فيه ابن عربي معراج

1 ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص 45
2 ينظر: علي الشعبان، الحجاج و الحقيقة و آفاق التأويل (بحث في الأشكال و الإستراتيجيات)، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 141 .

3 ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 31 .
* المعراج إسراء بالروح للمتصوفة لا الجسد " يشاهدون فيها معاني متجسدة في صور محسوسة للخيال ... ولهم الإسراء في الأرض وفي الهواء . غير أن ليس لهم قدم محسوسة في السماء . ولهذا زاد على الجماعة رسول الله عليه وسلم بإسراء الجسم، واختراق السماوات والأفلاك حسا ". الفتوحات المكية، ج 5، ص 342، 343 .

* نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره . وأول التجليات الذوق، الشرب، فإذا بلغ النهاية يسمى ربا. ينظر المعجم الصوفي، ص 100
4 ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 6، ص 79.

الأنبياء والرسل ، أي أنه وضع نفسه في مرتبته ، وما جاء فيه خيال يعكس الرغبة في الإقناع أي كانت الحجة .

و بالتبادلية يحاجج لدحض توقع حجاج معارض يتساءل فيه صاحبه عن عقابه و حسابه رغم قضاء الله و قدره له على تلك الصورة " فلو احتج أحد على الله بأن يقول له: علمك سبق في بأن أكون على كذا فلم تؤاخذني يقول له الحق: هل علمتك إلا بما أنت عليه؟ فلو كنت على غير ذلك لعلمتك على ما تكون عليه و لذلك قال: حتى نعلم، فارجع إلى نفسك و أنصف في كلامك، فإذا رجع العبد على نفسه و نظر في الأمر كما ذكرناه علم أنه محجوج و أن الحجة له تعالى عليه، أما سمعته تعالى يقول: (وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ)¹ (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ)² وقال (وَلَيْكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ)³.

في الخطاب حجتان : الإنسان هو المسؤول عن فعل الشر وفعل الخير، وعلم الله بهذا القدر قاعدة واحدة عادلة للحالتين . والثانية بوضع هذا العلم في نفس السائل ذاته حجة تبادلية هدفها دفعه إلى الإقرار بمسؤوليته بأفعاله شرا أو خيرا . والاستشهاد بالآيات القرآنية الثلاثة حجة جاهزة تكمن قوتها الحجاجية في صدورها من سلطة مقدسة لا يمكن الاعتراض عليها ، فهي إذا تعضد الطاقة الحجاجية للتبادلية .

والحجة ذاتها يعتمد عليها لمن يريد أن يعرف منزلته أي ضمن الإنسان الكامل* أم الحيوان " فإن قلت : بماذا أعلم من نفسي هل أنا من الكمل أو من الحيوان الذي يسمى إنسانا ؟ قلنا : ما سألت عنه فاعلم أنك لا تعلم أنك على

¹سورة النحل، الآية 33.

²سورة النحل، الآية 118.

³ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج7 ، ص 24.

*يعرف ابن عربي الإنسان الكامل قائلا : " فظاهر الإنسان خلق وباطنه حق ، وهذا هو الإنسان الكامل المطلوب وما عدا هذا هو الإنسان الحيوان " ، ج6، ص7.

الصورة * ما لم تعلم قوله صلى الله عليه وسلم " المؤمن مرآة أخيه " فيرى المؤمن نفسه في مرآة أخيه ويرى الآخر نفسه فيه " ¹ .

فالتبادلية هنا تقوم على وضع السائل في صورة أو مكان أخيه لملاحظة ما يتصف به من سمع وقدرة وبصر وقوة وحلم وعزة فيقتنع أن هذه الصفات الإلهية متجلية فيه أيضا ويعرف بأنه إنسان كامل بهذه الصورة الإلهية .

وجاء في المدونة أيضا " كن رداءا وقميصا لأخيك المؤمن وحطه من ورائه وأحفظه في نفسه وعرضه وأهله وولده فإنك أخوه بنص الكتاب العزيز ، واجعله مرآة ترى فيها نفسك ، فكما تزيل عنك كل أذى تكشفه فإن نفس الشيء وجهه وحقيقته " ² إن كراهية الإنسان الأذى لأخيه وإزالته عنه كما يكرهه ويزيله عن نفسه حجة لإقناع المخاطبين بحب الخير لإخوانهم بناء على قاعدة (لا تفعل بغيرك ما لا تحب أن يفعل بك) .

ولقوة التبادلية وقدرتها على الإقناع شاعت حتى بين عوام الناس " مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة و هي تصرخ على ولد لها مات فأمرها أن تحتسبه عند الله و تصبر و لم تعرف أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي، فقل لها هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت تعتذر إليه مما جرى منها... " ³ تدافع المرأة عن صراخها و بكائها ، وتقع المخاطب بذلك استنادا إلى حجة التبادلية بالقول :

(ضع نفسك مكاني) فلو أصبت بالمصيبة نفسها لبكيت مثلي .

تتخذ التبادلية أحيانا منحى عكسيا كما في الخطاب التالي: " و ذلك أن الذي يغار لله دينا إنما يغار لانتهاك محارم الله على نفسه و على غيره، كما يغار على أمه أن يزني بها أحد كذلك يغار على أم غيره أن يزني بها هو " ⁴

* الصورة هي الصفات الإلهية كالسمع والقدرة والعفو والحلم . وهي متجلية في الإنسان

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج6 ، ص 113 .

² المصدر نفسه ، ج8 ، ص 263 .

³ المصدر نفسه ، ج 8 ، ص 304

⁴ المصدر نفسه ، ج8 ، ص 305 .

المثل الذي اعتمدت عليه التبادلية سابقا (ضع نفسك مكاني) وفي حالة التبادلية العكسية (أضع نفسي مكانك) وعلى ضوءها فإن الذي لا ينتهك ما حرم الله لا يقبل غيره أن ينتهكها والمثال المضروب عن رفض المتكلم الزنا لأمه رفض أيضا للزنا لأم غيره .

1-4 حجة التعدية: Argument de transitivité

و هي ذات خاصية شكلية لأنها تتيح لنا المرور من العلاقة الموجودة بين أ و ب و بين ب و ج كعلاقة واحدة إلى استنتاج العلاقة نفسها بين أ و ج¹. كنتيجة منطقية نهائية تدل على صدق أ و ب و اختصارا تصاغ في المعادلة التالية : [إذا كانت أ=ب و كانت ب=ج ، نستنتج أن أ=ج] و على ضوءها تكون القاعدة الحجاجية=(أصدقاء أصدقائي أصدقائي)².

يبين ابن عربي هذه الحجة قاعدة و تمثيلا عندما يقول: " فإن العالم على صورة الحق و الإنسان على صورة العالم، فالإنسان على صورة الحق، فإن المساوي لأحد المتساويين مساو لكل واحد من المتساويين فإنه إذا كان كل ألف باء و كل باء جيم فكل ألف جيم فليُنظر جيم من حيث هو ألف لا من حيث هو باء كذلك ينظر الإنسان نفسه من حيث هو على صورة الحق لا من حيث هو على صورة العالم و إن كان العالم على صورة الحق³."

وتوضيح هذه الحجة في شكل استدلال قياسي يكون كما يلي :

الإنسان (أ) على صورة العالم (ب)

العالم (ب) على صورة الحق (ج)

الإنسان (أ) على صورة الحق ** (ج)

¹ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج دراسات و تطبيقات، ص46.

² ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص31.

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج6، ص74.

* اسم من أسماء الله تعالى وهو كل ما فرض على العبد من جانب الله ، وكل ما أوجبه الله على نفسه . والحق هو الله سبحانه وتعالى ينظر : المعجم الصوفي ، ص 78 .

** الصورة هنا ليست الصورة بالمعنى الحسي وإنما الحقائق الإلهية أو الصورة الأزلية للإنسان في علم الله القديم ممثلة في حقائق الأسماء الإلهية القائمة على الاختلاف والتضاد ، وهي أصيلة في الألوهة ، مستعارة في الإنسان ، الفرق بينها كالفرق بين الصورة والأصل أو بين الإنسان والألوهة . ينظر محمد بن الطيب ، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي ، ص 241 وما بعدها . وأيضا نصر حامد أبو زيد ، فلسفة التأويل ، ص 185.

فإذا كان العالم على صورة الحق (موجود في علم الله قبل إيجاده) والإنسان على صورة العالم (موجود حسا) . فالنتيجة المذكورة أو لم تذكر هي الإنسان على صورة الحق . والمخاطب يدرك منطقيا علاقة المقدمة 1 بهذه النتيجة وبالتالي فالاستدلال القياسي لإقناعه بأن الإنسان والعالم موجودان في مرتبة علم الله قبل إيجادهما في مرتبة الحس .

في المدونة أمثلة كثيرة والبدائية تكون بيتا شعريا ضربه ابن عربي للاستدلال على فعل الحب في ضوء علاقة التعديّة جاء من الوافر :

أحب لحبها السودان حتى أحب لحبها سود الكلاب¹

"قيل : كانت الكلاب السود تناوشه و هو يتحبب إليها...فهل هذا إلا من صدق الحب و ثبوت الود في النفس"².

إن الشاعر أحب المرأة، و هي أحبت اللون الأسود فتعدى حبه إلى اللون ذاته، بل و تعدى إلى الكلاب السوداء وهي تتبج عليه. و التعدي هنا إلى حب الكلاب السوداء بوصفه نتيجة ثانية هو الحجة الأقوى مقارنة بالنتيجة الأولى (حب اللون الأسود) في السلم الحجاجي على الاستدلال بصدق الشاعر في حبه للمرأة أو صدق المقدمتين (أ ب) و (ب ج) .

ولكي يثبت الحب أو العشق الصوفي، و يقنع المخاطب بممارسته استند إلى علاقة التعديّة "قال المحب: و كل ما يفعل المحبوب محبوب . فإذا فعل البعد * كان محبوبه البعد عن المحبوب ، فإنه أحب لحب المحبوب لا بنفسه، و لا يحبه بحب المحبوب لا بنفسه حتى يكون المحبوب صفة له"³ ، فإذا كان المحب (العارف

¹ ابن أبي حجلة المغربي التلمساني ، الديوان ، تحقيق محمد زغلول ، مطبعة الإسكندرية ، مصر 1987 ، ص 13 .

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص300.

* البعد بعد العبد عن المكاشفة والمشاهدة ، الإقامة على المخالفة . أما القرب هو حال يقتضي حال المحبة والخوف وقرب العبد من الحق للمكاشفة والمشاهدة . وقيل الدنو من المحبوب بالقلب ، والمشاهدة هي رؤية الحق ببصر القلب كأنه رآه بالعين . أما المحبوب فهو الحقيقة الروحية التي هي ذات الحق . يتكلم المحب بنفسه بخصائص المحبوب . وبالتالي كل محب محبوب وكل محبوب محب ينظر عبد المنعم الحفني ، المعجم الصوفي ، ص44 و ص201 .

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج3 ، ص 528 .

الصوفي) يحب محبوبه (الله)، و المحبوب يحب البعد، فإن المحب يتعدى حبه إلى الصفة التي أحبها المحبوب و هي البعد رغبة في المحبوب .

وإذا كان المحبوب يحب الهجر، فإن المحب يتعدى حبه إلى صفة الهجر رغبة في المحبوب و ليس الهجر في ضوء علاقة التعدية دائما " أن يحب حب المحبوب للهجر لا الهجر...، و لا تخرج هذه المسألة على أكثر من هذا كالراضي بالقضاء فيصح له اسم الرضا بالقضاء مع كونه لا يرضى بالمقضي إذا كان المقضي به كفرا" ¹ و التشبيه المضروب في هذا السياق يقوي علاقة التعدية بوصفها حجة شكلية، قوتها تكمن في صرامتها التي تقطع الطريق على المخاطب من الاعتراض على نتائجها أو مقدمتها .

و في سياق الحب دائما فإن المحبوب(الله) محسن و جميل يحب الجمال، و حب الإنسان لصفتي الإحسان و الجمال يغدو حبا للمحبوب(الله) في ضوء علاقة التعدية "فإن أحببت للإحسان فما أحببت إلا الله فإنه المحسن، و إن أحببت للجمال فما أحببت إلا الله تعالى فإنه الجميل" ².

ونظرا إلى استحالة الوصول إلى المحبوب ، فإن ابن عربي كان مهووسا بالاستدلال على وجوده و إيجاده للعالم معتمدا على علاقة التعدية: " فهذا واحد أحب واحدا و ذلك الواحد المحبوب موجود في كثيرين فأحب الكثير لأجل ذلك" ³ بمعنى عرف ذاته بذاته، و لما أحب أن يرى نفسه في صورة غير ذاته أوجد الخلق و تجلى في كثرتهم استنادا إلى الحديث القدسي كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف ، فخلقت الكون فبي عرفوني ⁴. وعليه فإن حبه لذاته يتعدى إلى حب (إيجاد الكثرة) والقياس التالي يوضح هذه العلاقة :

هذا واحد (الله) أحب (أوجد) محبوبا واحدا (الكون)

¹ المصدر السابق، ج3، ص490 .

² المصدر نفسه ، ج3 ، ص 479 .

³ المصدر نفسه، ج3، ص 494 .

⁴ ينظر: محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص ص 253، 254. وأيضا : ناصر حامد أبو زيد ، هكذا تكلم ابن عربي ، ص 213 .

المحبوب (الله) موجود يتجلى في كثرة الموجودات
الله أحب (أوجد) كثرة الموجودات.

ويجب التذكير في هذا المقام أن الحب هو علة وجود العالم، و الله هو الذي تجلى بالكثرة التي أوجدها، فالموجد الذي أوجد العالم هو الموجود، و المحب هو المحبوب" و ما أحب الله إلا الله" ¹ أو هكذا يعتقد ابن عربي ما أوجد الله إلا الله في الظاهر .

و يواصل الاستدلال على الفكرة ذاتها، و بالحجة نفسها عندما يقول "فما أحبوا إلا الله مع كونهم يحبون أرواحهم و أهليهم، و أصحابهم فاعلم ذلك، حتى أن بعض الصالحين حكى لنا عنه أنه قال: إن قيسا المجنون كان من المحبين لله و جعل حجابة ليلي" ² فتوجيه الخطاب بصيغة الأمر إلى المخاطب بأن الذين يحبون أرواحهم و أصحابهم - والأصحاب والأرواح أوجدها الله - إنما يحبون الله بحكم علاقة التعدي بما في ذلك حب المجنون - الفاقد لعقله - لليلى .

والقياس التالي يوضح ذلك :

يحب الناس الأهل والأصحاب

الأهل و الأصحاب أوجدها الله

الناس يحبون الله.

وبالمقابل فإن إهانة الأشياء التي أوجدها الله يتعدى إلى إهانة الله " و أما عند أهل الكشف و الوجود فكل جزء في العالم بل كل شيء في العالم أوجده الله لا بد أن يكون مستندا في وجوده إلى حقيقة إلهية، فمن حقره أو استهان به و مظهره و كل ما في الوجود" ³. وهو موضح على النحو التالي :

الإنسان يحتقر أو يهين الأشياء

الأشياء من خلق الله

الإنسان يهين الله

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص1.

² المصدر نفسه، ج3، ص ص 527، 528.

³ المصدر نفسه، ج6، ص338.

وتسري حجة التعدية في أمثلة عديدة منها :

مثال1: "وكل من عرف نفسه عرف ربه ، ومن عرف ربه عبده بأمره " ¹

وتمثيلها عن طريق القياس :

من عرف نفسه عرف ربه .

من عرف ربه عبد بأمره .

من عرف نفسه عبد ربه .

مثال2: "المحب عبد والعبد من وقف عند أوامر سيده وتجنب مخالفة أوامره ونواهيه

" ²

المحب عبد .

العبد من وقف عند أوامر سيده (الله) .

المحب من وقف عند أوامر سيده .

مثال3: "فالكلمات عن الحروف ، والحروف عن الهواء والهواء عن النفس الرحماني

" ³

الكلمات عن الحروف

الحروف عن الهواء

الهواء عن النفس الرحماني

فالكلمات عن النفس الرحماني

ومن خلال ما سبق فإن علاقة التعدية حجة شكلية رياضية صارمة اعتمد

عليها ابن عربي في سياق إثبات ثنائية الله / الإنسان والصفات الإلهية ، وأيضا الحب

الإلهي بمعناه الواسع من أجل حمل المخاطب على الإذعان لهذه الفلسفة الصوفية

دون الاعتراض عليها أو رفضها .

¹ المصدر السابق، ج3 ، ص 464 .

² المصدر نفسه ، ج3 ، ص 530 .

³ المصدر نفسه ، ج1 ، ص 257 .

2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية:

1-2 إدماج الجزء في الكل:

تقوم قاعدته الحجاجية على : "ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء" .¹ و لأن الكل يتضمن الجزء و يحتويه، فإن استنتاج حكم على أحد العناصر يأخذ حكم الكل لا يشذ عن النوع أو يخرج عن القاعدة² مثل القاعدة الفقهية: " ما أسكر كثيره فقليله حرام"³.

ويعرف ابن عربي قاعدة إدماج الجزء في الكل قائلاً : " الجزء ما له حكم الكل و الكل له حكم الجزء لأنه بما يحمله من الأجزاء كان كلا " ⁴، و يمثل لها بالقول : " أما النسوان فنظر العارفين فيهن و في أخذ الإرفاق منهن، فحنين العارفين إليهن حنين الكل إلى جزئه كاستيحاش المنازل لساكنيها التي بهم حياتها، و لأن المكان الذي في الرجل الذي استخرجت منه المرأة عمره الله بالميل إليها فحنينه إلى المرأة حنين كبير و حنوه على الصغير" ⁵. إذا كان حنين العارفين إلى المرأة هو حنين الكل الكبير إلى جزئه الصغير، فإنه من المنطقي أن يكون حنين المرأة إلى الرجل في حقيقته هو حنين الفرع إلى أصله، و الاستدلال بهذه الحجة غرضه إثبات أن حواء جزء من آدم خلقت من الضلع المليء بالحنان .

وإدماج الجزء في الكل يستدل على حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على دعوة النساء "حين أمرهن أن يتصدقن لأنه يسعى في خلاصهن لما رآهن أكثر أهل النار فأشفق عليهن حيث كن منه فهو شفقة الإنسان على نفسه" .⁶ فالرسول يهتل الكل، و النساء جزء منه، وشفقته عليهن شفقة له.

ويوضح دواعي خفض الصلوات إلى خمس بعدما كانت خمسين معتمدا على حجة إدماج الجزء في الكل . يقول في أحد معارجه الروحية: " ثم ودعته و نزلت

¹ عبد الله صولة ، في نظرية الحجج، دراسات و تطبيقات، ص47 .

² المرجع نفسه، ص47.

³ المرجع نفسه ،ص ص 47، 48 .

⁴ ابن عربي، الفتوحات المكية ، ج 5 ، ص 147 .

⁵ المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 285.

⁶ المصدر نفسه ، ج 3 ، ص ص 285 ، 286 .

بموسى عليه السلام فسلمت عليه فرد و سهل و رحب فشكرته على ما صنع في حقنا مما اتفق بينه و بين نبينا محمد صلى الله عليه و سلم في المراجعة في حديث فرض الصلوات...قلت: ما زلت تسعى في حق الغير حتى صح لك الخير كله، فقال: "سعي الإنسان في حق الغير إنما يسعى لنفسه في نفس الأمر" ¹. إن تخفيض الصلوات للناس تيسيرا لهم ، يعود بالخير على النبي موسى عليه السلام بوصفه من سعى إلى ذلك وهو جزء منهم .وبالتالي هذه الحجة تهدف إلى إثبات وإقناع الإنسان بضرورة عمل الخير للناس لأنه جزء منهم يصيبه ما يصيبهم من خير أو شر. و بالحجة نفسها يقول أن الرحمة التي ينالها الذاكرون للقرآن ،ينالها من يجلس معهم بوصفه جزءا منهم" و من جلس إلى قوم يذكرون الله فإن الله يدخله معهم في رحمته فهم القوم الذين لا يشقى جليسه فكيف يشقى من كان الحق جليسه" ². وإذا كان الذي يذكر الله إنما يستحضره في مجلسه ، فإنه لا يشقى بحجة أن شقائه يتعارض مع حضور الحق ،ونفي الشقاء يقوي إثبات الرحمة السابقة .

إن اختيار الحجة المناسبة لمقام الخطاب يسهم لا محالة في الإقناع، ولذلك خاطب أحد الحكام المسلمين إلى التزام العدل و الإنصاف بحجة الجزء الكل " و أنت يا هذا بلا شك من أئمة المسلمين و قد قلدك الله هذا الأمر و أقامك نائبا في بلاده و متحكما بما توفق إليه في عبادته، و وضع لك ميزانا مستقيما تقيمه فيهم،...على هذا الشرط ولاك و عليه بايعناك فإن عدلت فلك و لهم و إن جرت فلهم و عليك" ³. فللجور بعواقبه والعدل بفوائده ، يعمان الناس كلهم و الحاكم جزء منهم.

2-2 تقسيم الكل إلى أجزائه: argument de division

يجتنب المعالجة الكلية لفكرة مركبة ، و يتناول أجزاءها ⁴ ، و من الأجزاء تبنى طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم division أو التوزيع partition كقولنا: الكلام اسم و فعل و حرف.

¹المصدر السابق، ج6، ص82.

²المصدر نفسه، ج8، ص258.

³المصدر نفسه، ج8، ص379.

⁴ينظر : محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص 32.

وغاية هذا الحجاج حسب بي لمان البرهنة على وجود الشيء، و إشعار غيرنا بوجود المجموع موضوع التقسيم¹. و هو إجراء شكلي يعمق الاعتقاد في حجية الكل، لأن الأجزاء ترد إليه و تنضوي تحته²، كالبرهنة على هدم مدينة لشخص ينكر هدمها يكون بتعداد الأحياء المتضررة و إذا كان المخاطب لا ينكر خبر الضرر فإن التعداد يكون لتقوية حضور الأشياء la présence و ليس للبرهنة على صحة تضرر المدينة³.

اعتمد ابن عربي على حجة الكل / الجزء في سياقات كثيرة منها الحديث عن ثنائية الله الإنسان قائلاً: " فكما نحن به وله فهو بنا ولنا وإلا فليس لنا برب ولا خالق وهو ربنا وخالقنا ، فبنا لكونه به ولنا لكونه له ، إلا أن له الإمداد فينا الوجودي ولنا فيه الإمداد العلمي ، فتكليفه إيانا تكليف له فبنا تكلف للتكليف فما كلفنا سوانا ولكن به لا بنا فتدخلت المراتب " ⁴.

فنحن إذا بوصفنا أجزاء للواحد الكل (الله) وهو بنا ولنا ، فإن وجودنا دليل على وجود الله وغيابنا ينفي ألوهيته علينا ، و يصبح تكليفه للناس (الجزء) تكليف له أو للكل والاستدلال بهذه الحجة يهدف إلى إثبات وحدة الوجود التي لا تفصل بين الموجودات (الأجزاء) والله (الكل) .

وجاء في مقدمة الفتوحات أن الأخلاق:"على ثلاثة أنواع: خلق متعد، و خلق غير متعد، و خلق مشترك. فالمتعدي على قسمين: متعد بمنفعة كالجود و الفتوة و متعد بدفع مضرة كالعفو و الصفح و احتمال الأذى مع القدرة على الجزاء و التمكن منه ، و غير المتعدي كالورع و الزهد و التوكل " ⁵. فبعد أن قسم الأخلاق، شرع في تقسيم المقسم و تفريعه لإثبات وجودها بدليل التمثيل لكل قسم منها حتى يحصل الإقناع.

¹ ينظر: عبد الله صولة في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص 78.

² ينظر: علي الشبعان، الحجاج و الحقيقة و أفاق التأويل (بحث في الأشكال و الإستراتيجيات)، ص 148.

³ ينظر: عبد الله صولة في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص 48.

⁴ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 7 ، ص 96 .

⁵ المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 58 .

وفي المقدمة نفسها عرف ابن عربي الذات الإلهية، بذكر خصائصها، وخصائصها أقسام لإشعار المخاطب بأن الأجزاء دليل على وجود المجموع(الكل)(الله) بأنه " إله واحد، لا ثاني له في ألوهيته منزه عن الصحابة و الولد، مالك لا شريك له ملك لا وزير له ... و خلق الخلق، و أخلق الذي خلق، أنزل الأرواح في الأشباح أمنا و جعل هذه الأشباح المنزلة إليها الأرواح في الأرض خلفاء..."¹.

ثم يذكر الصفات الإلهية و الموجودات الكثيرة، و هي أجزاء لإثبات وجود الذات الإلهية (الكل) قائلا: "لم تتعلق قدرته بشيء حتى أراد، كما أنه لم يرد حتى علمه إذ يستحيل في العقل أن يريد ما لا يعلم، أو يفعل المختار المتمكن من ترك ذلك الفعل ما لا يريد، كما يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق في غير حي، كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها، فما في الوجود طاعة و لا عصيان، و لا ربح و لا خسران، و لا عبد و لا حر، و لا برد و لا حر، و لا حياة و لا موت و لا حصول و لا فوت، و لا نهار و لا ليل ... و لا صحة و لا مرض. و لا فرح و لا ترح ... و لا أرض و لا سماء ، و لا بياض و لا سواد ، و لا متحرك و لا ساكن، و لا يابس و لا رطب، و لا قشر و لا لب، و لا شيء من هذه النسب المتضادات منها و المختلفات و المتماثلات إلا و هو مراد للحق تعالى"².

و القول بأن الصفات أجزاء موجودة بإرادة الله يتعارض أو يتناقض منطقيًا في العقل مع القول بعدم وجودها في علمه .كما أن وجود الصفات ذاتها لا يتفق أيضا مع القول بعدم وجود ذات إلهية صادرة منها، ومعنى هذا أن إثبات الصفات بحجة التعارض يؤكد حجة التقسيم ويقوي طاقة الخطاب حجاجيا .

ويثبت في سياق آخر وجود الله وهو يمثل الواحد الكل بذكر صفاته الإلهية قائلا: "وهذا الذي أوجب أن يكون الحق سمع العبد وبصره وعين مشيئته ، فبه يسمع ويبصر ويتحرك ويشاء فسبحان من خفي في ظهوره وظهر في خفاء في نفسه بما

¹المصدر السابق، ج1، ص 62.

²المصدر نفسه ، ج1، ص 63 .

يقال فيه أنه صمد لا إله إلا هو يصورنا في الأرحام كيف يشاء، ويقلب الليل والنهار، وهو معنا أينما كنا، وهو أقرب إلينا منا، فكثرتنا بنا ووحدناه به، ثم طلب منا أن نوحده بلا إله إلا الله فوحدناه بأمره وكثرتنا بنا¹. فالسمع والبصر والحركة والمشية المتجلية في الإنسان أقسام كثيرة وجودها يثبت وجود الواحد الكل الله عز وجل . وإنكارها إنكار الله .

وفي باب المجاهدة*، بعد تعريف المجاهدين يذكر أقسامهم قائلا²: "و اعلم أيدك الله أن المجاهدين هم أهل الجهد و المشقة و المكابدة و هم أربعة أصناف: مجاهدون من غير تقييد بأمر و هو قوله تعالى: (وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ)³ و الصنف الثاني: مجاهدون بتقييد في سبيل الله و هو قوله:

(وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)⁴، و الصنف الثالث: المجاهدون فيه و هو قوله (وَالَّذِينَ

جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَهُمْ سُبُلَنَا)⁵، أي نبين لهم حتى يعلموا فيمن جاهدوا فيجاهدون

عند ذلك أو لا يجاهدون. و الصنف الرابع: (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ)⁶.

و جاء في باب السالك** و السلوك" اعلم وفقك الله أن السلوك انتقال من منزل عبادة إلى منزل عبادة بالمعنى... و المنتقل هو السالك و هو صاحب مجاهدات بدنية و رياضات نفسية"⁷ و " أن السالكين في سلوكهم أربعة أقسام: منهم سالك يسلك بربه، و سالك يسلك بنفسه، و سالك يسلك بالمجموع، و سالك لا سالك. فأما السالك الذي يسلك بربه...

¹ المصدر السابق، ج 6، ص 17 .
* المجاهدة صدق الافتقار إلى الله بالانقطاع عن كل ما سواه أو نزع القلب عن الشهوات . ينظر المعجم الصوفي ص 70 .

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 218.

³ سورة النساء، الآية 95.

⁴ سورة النساء، الآية 95.

⁵ سورة العنكبوت، الآية 69.

⁶ سورة الحج، الآية 78.

** السالك هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه وتصوره . ينظر المعجم الصوفي، ص 121 .

⁷ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج4، ص 15.

و أما السالك بالمجموع...

و أما القسم الرابع و هو سالك لا سالك¹

اعتمد المحاجج صراحة على حجة تقسيم المجاهدين بعد تعريفهم، معززا خطابه بحجة جاهزة تتضمن آيات من القرآن الكريم بوصفها سلطة مقدسة للدفاع عن فلسفته الصوفية القائمة على المجاهدات والانتقال في سلوك الطريق الصوفي من مقام إلى آخر. و في الخطاب الثاني ذكر أقسام السالكين إجمالاً، ثم شرع في تفصيل كل قسم معتمداً على أما التفصيـلة التوكيدية لإقناع من يرفض سلوك الطريق الصوفي و مجاهداته عبر المقامات و الأحوال. و الدليل على ذلك أن صيغة الأمر "اعلم أن" مؤشر لغوي على توقع اعتراضات أي مخاطب و دحضها بحجة التقسيم السالفة الذكر.

امتدت حجة التقسيم إلى موضوعات كثيرة منها: التأكيد على زوال الدنيا بزوال أجزائها: "ألا إن الدنيا بقاؤها قليل و عزيزها ذليل و غنيها فقير و شابها يهرم و حيها يموت.... أين سكانها الذين بنوا مدائنهم و شققوا أنهارها و غرسوا أشجارها"². إن تعداد الأجزاء (عزيزها، غنيها، شابها، حيها، مدائنهم) والقول بعدم بقائها استدلال على فناء الدنيا (الكل) لمن ينكر و يرفض ذلك.

إذا كانت الأجزاء أقسام تكون الكل و تؤسسه، فإن هذه الأجزاء تكون منسجمة مترابطة ذات وحدة عضوية وحذف أي جزء منها يؤدي إلى اختلال المعنى "إن نسقط عند تعدادنا الأجزاء فرضية واحدة يهوي صرحنا الحجاجي كله"³. ومن المدونة "سأل إبراهيم الأحميمي ذا النون* أن يوصيه بوصية يحفظها عنه قال: وتفعل؟ قال إبراهيم قلت: نعم إن شاء الله، فقال يا إبراهيم إحفظ عني خمسا فإن أنت حفظتهن لم تبال ماذا أصبت بعدهن، قلت: و ما هن رحمك الله، قال: عانق الفقر، و

¹المصدر السابق، ج4، ص 15.

²المصدر نفسه، ج8، ص 364.

³عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص 48.

* هو أبو الفيض، نوبي من أحميم بصعيد مصر توفي سنة 245 هـ / 859 م، كان فائق الشأن، وجعل وقته علما وورعا وحالا وأديبا. من أقواله مدار الكلام على أربع، حب الجليل وبغض القليل وإتباع التنزيل وخوف التحويل. ينظر: صهيب الرومي، التصوف الإسلامي، ص 673.

توسد الصبر، و عاد الشهوات، و خالف الهوى، و افزع إلى الله في أمورك كلها"¹ فالأجزاء هنا تقوم على الكم و العد، و إلغاء أي جزء منها يؤدي إلى انهيار الكل أو سقوطه متمثلاً في الزهد ، فالفقر يتطلب الصبر، و الصبر يكون بترك الشهوات، و تركها يكون مخالفة الهوى و الخوف من الله . فالأجزاء هنا تقوم على الكم و العد، و إلغاء أي جزء منها يؤدي إلى انهيار الكل .

les argument bases sur la structure : الحجج المؤسسة على بنية الواقع : du réel

إذا كانت الحجج شبه المنطقية تهدف إلى صحة الموضوع و مشروعيتها نظراً إلى بعدها العقلاني² القائم على افتراضات المنطق³، فإن الحجج المؤسسة على بنية الواقع تقوم على الربط بين أحكام مسلم بها في الواقع و أخرى يسعى الخطاب إلى تأسيسها و جعلها مقبولة ، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون الآخر⁴.

1-3 الحجج السببية: التابع:

لها ثلاثة ضروب من الحجج، حجج يربط بين أحداث متتابعة بواسطة ربط سببي مثل: اجتهد فنجح. و حجج يقوم على استخلاص نتيجة ما بسبب حصول حدث أدى إليه مثل: نجح لأنه اجتهد. و حجج يهدف إلى التكهن بما سيقع أو ينجر عن حدث ما من نتائج مثل: هو يجتهد فسينجح⁵.

فمن الضرب الأول قول ابن عربي "خلق سبحانه الخلق ليسجوه فنطقهم بالتسبيح له و الثناء عليه"⁶، بحيث ربط بإلغاء السببية بين حدثين متتابعين الأول هو التسليم بخلق الله للناس و على ضوئ يتأسس التسبيح و الثناء بوصفه الحدث الثاني . وخلق الناس في خطاب آخر نتيجة مؤسسة على حجة وجود حب الله معرفة ذاته

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 8، ص 338 .

² ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجج دراسات و تطبيقات، ص 49.

³ ينظر : سامية الدريدي، الحجج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، ص 214 .

⁴ عبد الله صولة، في نظرية الحجج دراسات و تطبيقات، ص 49.

⁵ ينظر: المرجع نفسه ، ص 50 .

⁶ ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج 3، ص 491.

بغيره من الخلق "أحببت أن اعرف فخلقت الخلق فتعرفت إليه فعرفوني، فما خلقنا إلا لنفسه حتى نعرفه"¹. و السبب نفسه - الحب الإلهي (الخلق) - المسلم به يؤدي إلى تأسيس نتيجتين أخريين: أحدهما معرفة الله للخلق و الأخرى معرفة الخلق لله و الرابط بينهما الفاء .

وفي سياق الحب الإلهي دائماً فقد ربط النتيجة صورة الإنسان الكامل على سبب وجودها أو تأسيسها المتمثل في أن الله خص الإنسان بالحب دون الموجودات الأخرى "المحب الله أثر الإنسان من كونه محبوبه على جميع العالم فأعطاه الصورة الكاملة"². و من الضرب الثالث قول ابن عربي: "فمن جعل الله آيته في قلبه** و كان على بينة من ربه في قربه فقد ملأ يديه من الخير كله"³ فالخير نتيجة تأسست بناء على السبب المسلم به في الواقع وهو وجود العلم الكشفي الذي ألهم به الله قلب صاحبه .

و يستدل بالحجة السببية على دخول الجنة أو النار قائلاً: " فتنزل كفة عمله تطلب النار و ترتفع الكفة التي هو فيها لخفتها فيدخل الجنة لأن لها العلو، و الشقي تثقل كفة الميزان التي هو فيها و تخف كفة عمله فيهوي في النار"⁴. فالجنة نتيجة حاصلة بحجة وجود السبب وهو ارتفاع كفة الميزان ، و السقوط في النار بسبب خفة كفة ميزان الأعمال ، و الرابط بين النتيجة و السبب الفاء دائماً .

تبين النماذج المدروسة أن الربط بين الحدث و نتيجته يسري على الخطابات التي تتحدث عن سبب خلق الإنسان و الدخول إلى الجنة أو النار و ما يتعلق بالحب الإلهي.

¹ المصدر السابق ، ج3 ، ص 491 .

* الصورة الكاملة :صورة الإنسان الكامل .سبق التعريف بها

² ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج3 ، ص 532 .

** يعني دليله و علمه معرفة كشفية في قلبه

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج7 ، ص 74 .

⁴ المصدر نفسه ، ج7 ، ص 51 .

2-3 حجة التبذير: l'argument de gaspillage

وهي تقوم "على ضرورة استكمال ما بدئ فيه وإتمام ما شرع بعد في القيام به"¹ والاستمرار فيما تم تحقيقه سابقا حتى لا يضيع ما تم اكتسابه. يدافع ابن عربي في الفتوحات عن الاستمرار في الطريق الصوفي بحجة التبذير قائلا: "و لما دخلت هذا المنزل * عليه بأعلامه حتى وصلت إليه بعدما قاسيت مشقة و طالت علي الشقة فلما دخلته صعب علي التصرف فيه لما فيه من المهالك و هو منزل مظلم لا سراج فيه، فكنت أمشي بحس الرجل... فإذا ثبت قدمي * * في موضع أحس به و لا أبصره حينئذ شرعت في نقله اطلب موضعا أنتقل إليه، فإذا وقعت قدمي بفرغ علمت أن هناك مهلكا... أنا في ظلمة على كل حال فسواء علي قعدت أو تصرفت، فإني إذا قعدت لم آمن أن يأتيني حيوان يؤذيني * * *، وإن تصرفت لم آمن أيضا من حيوان يؤذيني أو مهلك أقع فيه، فالتثبت في التصرف أرجى لي فرجحته على القعود طلبا للفائدة، فبينما أنا كذلك إذ فجئني نور الشرع من خارج بصورة مصباح لا تحركه الأهواء"². فسالك الطريق الصوفي هنا لا مفر له من الاستمرار في سلوك الطريق الصوفي بحجة عدم تبذير (تضييع المقامات والأحوال) التي قطعها وحتى لا يبقى في طريق مظلم محفوف بمخاطر الجهل .

و يحتاج في العبادات مستندا إلى حجة التبذير يقول عن الحج " و إذا أردت الحج فاحرم بالحج أو قارن بين الحج و العمرة إن كان لك هدي، و إن لم يكن لك هدي فاحرم بعمرة... و إن جهلت و أحرمت بالحج و ما معك هدي فأفسخ و ردها عمرة"³. فالدعوة إلى الاستمرار في الحج واستغلاله وتحويله إلى عمرة جاء بحجة الحفاظ على ما تم إنجازه ، وعدم خسارة الجهد والأجر والمال . ويحذر الصائم من

¹ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص224.

* المنزل : منزل المتصوفة وما يتطلبه من مقامات وأحوال يكابد فيها المشقة والصبر
* * * القدم : هو العلم والمجاهدات التي يقطع بها الصوفي المقامات ويصل إليها : ينظر عبد المنعم الحفني ، المعجم الصوفي .

* * * الحيوان : رمز لأعداء الصوفية.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج6، ص93.

³ المصدر نفسه، ج8، ص319 .

ارتكاب الذنوب والرد على شتائم الناس بحجة الحفاظ على الصوم وعدم إفساده (خسارته) "إياك أن تقترف ذنبا وأنت صائم فإنه يبطل صومك فالصوم لله،... وإن شاتمك أحد أو قاتلك فقل إنني صائم فلا تجاز به فعله"¹.

و بيرر دعوة المصلين إلى التزام الصمت أثناء خطبة الجمعة بحجة عدم تضييع أجزائها "و إذا سمعت أحدا يوم الجمعة يتكلم و الإمام يخطب فلا تقل له أنصت فإن قلت له ذلك فأنت ممن لغا في جمعته"²، و من لغا فلا جمعة له. و الصدقة الجارية على طائفة من المسلمين دون غيرها حرام، و صاحبها غير مأجور، و استنادا إلى حجة عدم خسارة المال و الأجر معا لا بد من تعميمها على المسلمين كلهم "و إن كان لك مال فأجهد أن تكون لك صدقة جارية توقفها على الناس لا تخص بها طائفة من طائفة بل على المسلمين الذين تلفظوا بالشهادة أو ولد وافي الإسلام فإن هذه الأوقاف إن لم تكن على حد ما ذكرتها لكم و إلا أكل الناس حراما و يكون الواقف هو الذي أساء في حقهم"³.

بحجة التبذير يخاطب سالك الطريق الصوفي قائلا: "فهذا الشخص الماشي في هذه الطريق إن لم يحفظ سراجيه من الأهواء أن تطفئه بهبوبها و إلا هبت عليه رياح زعازع فأطفأت سراجيه و ذهب نوره"⁴. يقوم إقناع المخاطب هنا بالابتعاد عن رياح أهواء النفس وشهواتها على حجة عدم انطفاء (تضييع) نور علمه أو إشراقه الصوفي

3-3 حجة الاتجاه: l'argument de direction

تعني "رفض أمر ما حتى و إن اعترفنا بأنه في ذاته أمر مقبول أو جيد لأنه سيكون الوسيلة التي تقودنا إلى غاية لا نريدها"⁵. وهي تقوم على التحذير من انتشار ظاهرة ما بحجة أنها قد تصيب ما يجاورها بالعدوى، و يكثر هذا النوع الحجاجي في القيم الأخلاقية، لأن إدخال ما ليس منها فيها سيجيب المنظومة القيمة كلها

¹ المصدر السابق، ج8، ص 320 .

² المصدر نفسه، ج8، ص319.

³ المصدر نفسه، ج8، ص 319 .

⁴ المصدر نفسه، ج4، ص 473 .

⁵ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الرابع للهجرة، ص 225 .

بالفساد.¹ ومن المدونة قول ابن عربي : " كن في كل حال ذاتية حميدة مع الله
يرضاها، و لاسيما إذا كثر الفساد في العامة ، فما تدري لعل الله يرسل عليهم عذابا
يعم الصالح و الطالح"².

يهدف هذا الخطاب إلى إقناع المخاطب بترك الفساد بحجة أنه يتجه إلى تسليط
العذاب عليهم، و الذي يتجه أو ينتشر ليشمل الناس جميعا صالحهم و فاسدهم . و
يحذر من السخرية و الاستهزاء بأهل الله بحجة أنهما يتجهان إلى الاستهزاء بدين الله
، و أن السخرية تتجه إلى جعل الإنسان يتعرض إلى الاستهزاء يوم القيامة " و إياك
و الاستهزاء و السخرية بأهل الله استهزاء بدين الله و لا تتخذهم ضحكة فإنه وبال
يعود عليك يوم القيامة فيسخر الله منك و يستهزئ بك و هو أن يريك بالفعل ما فعلته
أنت هنا أعني في الدنيا بالمؤمن"³.

و يقنع المخاطب بعدم إطلاق العنان للجوارح لتفعل ما تشاء ، بحجة اتجاهها
بأن تشهد ضده يوم القيامة " و ما من جارحة منه إذا أرسلها العبد جبرا في مخالفة
أمر إلهي و هي تناديه: لا تفعل لا ترسلني فيما حرم عليك إرسالي إني شاهدة
عليك"⁴ و يقنعه محذرا إياه من مغبة عدم العمل للأخرة و الزهد عن الدنيا في الفترة
المتبقية من حياته بحجة الاتجاه إلى الندم في الآخرة" يا ابن آدم لو رأيت يسير ما
بقي من أجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك و قصرت من حرصك و حيلك و
ابتغيت الزيادة من عملك و إنما تلقى الندم لو قد زلت بل القدم و أسلمك الأهل و
الحشم و انصرف عنك الحبيب و أسلمك القريب فلا أنت إلى أهلك عائد و لا
في عملك زائد فاعل ليوم القيامة يوم الحسرة و الندامة"⁵.

و يقنع المخاطب بعدم سب المؤمنين و الريح" و إياك و سب المؤمنين و
لاسيما الصحابة على الخصوص فإنك تؤذي النبي صلى الله عليه و سلم في

¹ ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص130.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج8، ص320 .

³ المصدر نفسه، ج8، ص289.

⁴ المصدر نفسه، ج5، ص5 .

⁵ المصدر نفسه، ج8، ص363.

أصحابه، و لا تسب الريح فإن الريح من نفس الرحمان و لكن سل الله خيرها و خير ما أرسلت به"¹، و حجته أن سب المؤمنين إيذاء يتجه إلى صوب النبي(ص) ،وسب الريح يتجه إلى سب نفس الرحمان، لأن الريح جند من جنود الله .

و يحذر من عواقب التملق إلى الناس و خدمتهم بما يخالف الشرع بحجة اتجاهه إلى نتيجة لا نريدها ،" فأشقى الناس من باع آخرته بدنيا غيره"² . فالتصرف بهذا الشكل - كما في شهادة الزور مثلا- يتجه إلى خسارة الآخرة. والتحذير نفسه للإنسان من عبادة غير الله " فمن لم يرد أن يكون عبدا لي كما هو في نفس الأمر فإنه سيكون عبدا لطبيعته التي هي جهنم ويذل تحت سلطانها ، فلو علم لكان عبدا لي وما دعا غيري "³. والحجة أن هذا السلوك يتجه بالإنسان إلى عبادة طبيعته البشرية التي تقوده إلى النار .

و حجة الاتجاه تقود أحيانا إلى غاية لا يريدها صاحبها حتى و لو كانت حسنة " فلو فارق النار أهلها لتعذبوا عما أهلوا له"⁴ . فمفارقة النار أمر ينشده الإنسان و يحرص عليه، و لكنه بالنسبة لأهل النار يقودهم إلى العذاب لشعورهم بالاغتراب كما يعتقد ابن عربي .

3-4حجة التجاوز: argument de dépassement

إذا كانت حجة الاتجاه تتجه نحو الأسوء ، فإن حجة التجاوز عكسها إذ تتجه نحو مستقبل أفضل⁵ وتجعل من العقبة أو الإشكال وسيلة لبلوغ الهدف المنشود⁶. ومن المدون ما جاء في قول: "عمر بن الخطاب ما ابتلائي الله بمصيبة إلا رأيت الله علي فيها ثلاث نعم : إحداها: أن لم تكن في ديني، الثانية: حيث لم تكن أكبر منها، الثالثة: ما وعد الله عليها من ثواب ...، فانظر إلى معرفة عمر رضي الله

¹المصدر السابق، ج8، ص314.

²المصدر نفسه، ج6، ص91.

³المصدر نفسه ، ج7 ، ص30

⁴المصدر نفسه: ج5، ص97.

⁵ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، ص34.

⁶ينظر: سامية دريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص226.

عنه...وانظر إلى ما فيها من الأدب حيث عدل عن النظر فيها من كونها مصيبة إلى رؤية النعم فتلقاها بالقبول"¹.

وابن عربي إذ يتبنى قول عمر فإنه يدعو بناء على واقع المصيبة على تجاوزها و تأسيس واقع جديد هو النعم الثلاثة المذكورة وهي أن المصيبة ليست في الدين ، وليست كبيرة ، والثواب الذي ينتظر صاحبها في الجنة .

ويخاطب الناس بتجاوز المحن والعقبات بفضل قراءة سورة يس "استكثر من قراءة يس فإن في قراءة يس عشر بركات ما قرأها قط جائع إلا شبع ، ولا قرأها ضمآن إلا روي ، ولا عار إلا اكتسي ... ولا مسافر إلا أعين على سفره ولا قرأها أحد ضلت له ضالة إلا وجدها " ².

فحجة التجاوز تقوم على تحويل الجوع إلى شبع ، والضمأ إلى ارتواء ، والعري إلى كسوة ، والسفر إلى راحة . وهي مؤسسة على واقع تزايد مطرد في قيمة قراءة سورة يس ، فكلما أكثر القارئ من فعل القراءة كلما تجاوز العقبات ليلا نهار " ومن قرأها صباحا كان في أمان حتى يمسي، ومن قرأها مساء كان في أمان حتى يصبح " ³.

وبحجة التجاوز يقنع سالك الطريق الصوفي أن ما يقاسيه من شدائد ومكاره جراء ترك الشهوات والصبر على العبادات والطاعات في الدنيا ، يتم تجاوزه نحو الأفضل وهو السعادة في الآخرة " فلقد خلقنا لأمر عظيم ، ولكن إذا اقتحمنا هذه الشدائد وقسينا هذه المكاره حصلنا على أمر عظيم وهو سعادة الأبد التي لا شقاء فيها " ⁴. ولا شك أن التأثير في المخاطب وحمله على السعي نحو حياة أفضل يعود إلى إنغراس هذه الفكرة في الواقع المعاش فمنه تستمد الحجة طاقتها التأثيرية .

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج5، ص23.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 322 .

³ المصدر نفسه ، ج 8 ، ص 322 .

⁴ المصدر نفسه ، ج4، ص 473 .

3-5-5 التعايش:

3-5-1 حجة الشخص و أعماله:

يعد الإنسان في الحجاج ذا صفات معينة، منشأ لأعمال و أحكام معينة و هو موضوع تقويم للآخرين¹، فعلم الأخلاق و القضاء يحكمان على الشخص في ضوء أعماله باعتباره جزءا لا يتجزأ منها² يقول ابن عربي من الطويل³.

سل الخير أهل الخير إن كنت سائلا و لا تسل المعروف من محدث المال

فإن اليد الجوعاء تبخل بالذي أصابته من خير على الكاسف البال

و إن اليد الشبعاء جادت بما تجد على طيب نفس في سرور و إقبال

وقبل هذه الأبيات قال " أطعمتك يد شبعاء جاعت و لا أطعمتك يد جوعاء

شبعت "⁴. يأمر المتكلم طالب الخير بالتوجه إلى فاعله بحجة أنه شخصية معروفة

بالخير متأصل عليها منذ القديم وستبقى تتصف بالجوهر على الناس حتى لو كانت

فقيرة جائعة . وبالمقابل نهى طلب الخير من غير أهله والحجة أن الشخصية الفقيرة

البخيلة على نفسها وعلى غيرها منذ القديم ستستمر على ذلك حتى ولو كانت غنية

مترفة . ومن هنا فـ "الصلة وثيقة بين أي شخص و أعماله و خاصة على مبدأ ثبات

الشخصية"⁵.

ويضرب مثلا عن الرسول (ص) و آخر عن عمر بن الخطاب رضي الله

عنه يبين فيهما أن أعمالهما وصفاتهما حجة على عدالتهما "يقول رسول الله (ص)

في حق ابنته فاطمة و مكانتها التي لا تجهل: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت قطعت

يدها..." و جلد عمر بن الخطاب ابنه في الزنا فمات و نفسه بذاك طيبة ، و جاد ما

عز بنفسه و المرأة في إقامة الحد عليهما، فمن أحكم هذه الأركان التي هي من أعظم

¹ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص51.

² المرجع نفسه، ص 51 .

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج8، ص384.

⁴ المصدر نفسه، ج8، ص384.

⁵ سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص299.

الفتن و أكبر المحن و أثر جناب الحق و رعاها فيها فذلك الرجل الذي لا أعظم منه في جنسه "1.

يمكن لهذه الحجة أن تشمل أعمال و صفات فئة من الناس ينتمون إلى مذهب أو ديانة ما، يقول ابن عربي: "... قال الراهب للجنيد: مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا صلى الله عليه و سلم ... فقال له الجنيد: بم عرفت أنني صادق؟ قال : لأنني قرأت في الإنجيل المنزل على المسيح ابن مريم خواص أمة محمد صلى الله عليه و سلم يلبسون الخرقة و يأكلون الكسرة و يرضون بالبلغة و يقومون في صفاء أوقاتهم بالله يفرحون و إليه يشتاقون و فيه يتواجدون إليه يرغبون و منه يرهبون، فبقي الراهب معنا ثلاثة أيام على الإسلام ثم مات رحمه الله" 2 . فصفات الزهد المعروفة عند المسلمين وهي التواضع في الملبس و الأكل (الكسرة) و الرضا و الشوق إلى الله تمتل و اقعا يتأسس على ضوءه حجة صدق الرسالة النبوية المؤثرة في الراهب بدليل أنه غير عقيدته و دخل في الإسلام . إن ربط الصفات بالذات حجة تفود إلى التنبؤ بصفة أخرى " و كذلك القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامة الدين و لم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو، و كذلك الإنسان في نفسه إذا اجتمع في نفسه على إقامة دين الله لم يغلبه شيطان من الإنس و لا من الجن" 3 . إن التنبؤ بحصول قهر العدو هي الصفة التي يسعى الخطاب إلى الإقناع بها بناء على تأسيسها في الواقع المتمثل في وجود صفات التعاون و الاجتماع لدى الناس فعلا . كما يتنبأ بالتغلب على الشيطان بناء على وجود الإرادة عند الإنسان و توحيد قواه النفسية و تحكمه فيها في الواقع .

إذا كانت الأعمال تجلو جوهر الشخص، فإن ما تعرفه من الشخص يمكن أن يفسر⁴ ما غمض من أعماله "أوحى الله لنبيه داود أن يبني له بيتا يعني بيت المقدس فكلما بناه تهدم فقال له ربه فيما أوحى إليه أنه لا يقوى على يدك فإنك سفكت

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج8، ص ص 249، 250.

² المصدر نفسه، ج8، ص 382.

³ المصدر نفسه، ج8، ص 235.

⁴ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص51 .

الدماء،... فلا يقوم هذا البيت إلا على يد مطهرة من سفك الدماء فقال: يا رب اجعله مني، فأوحى الله إليه أن يقوم على يد ولدك سليمان فبناه سليمان عليه السلام¹. إن عدم بناء بيت المقدس إذا يعود إلى حجة منغرسه في الواقع تتمثل في شخصية داوود التي سفكت الدماء، بدليل أن بناءه كان على يد ولده سليمان المطهرة من الدماء وبالتالي جاءت الحجة حسب عبد الله صولة وفق مسار شخص _ عمل وبصيغة أخرى لا يستقيم الظل والعود أعوج _ إعوج الظل لأن العود معوج².

3-5-2 حجة السلطة: ARGUMENT DAUTORITÉ

يكتسب القول قيمته من سلطة قائله و مكانته و قيمته³. فالحديث عن الشرف مثلا يأتي على لسان شخص ما و يتوقف على قيمة هذا الشخص بوصفه شاهد إثبات في نظر الناس، وإذا لم يتحقق الإقناع فإن المثال [modèle] سلطة الشخص أو غيره] ليس له من الهيبة ما يجعله قادرا على النفوذ و التأثير⁴. " و تختلف السلطة في حجة السلطة و تتعدد فقد تكون "الإجماع" أو "الرأي العام" أو "العلماء" أو "الفلاسفة" أو "الكهنوت" أو "الأنبياء"، وقد تكون هذه السلط غير شخصية impersonnelle مثل "الفيزياء" أو "العقيدة" أو "الدين" أو "الكتاب المقدس" و قد يعمد في الحجاج بالسلطة إلى ذكر أشخاص معينين بأسمائهم على أن تكون سلطة هؤلاء جميعا معترفا بها من قبل جمهور معين في المجال الذي ذكرت فيه⁵. يقول صاحب الفتوحات في المقدمة: "قلنا: وربما وقع عندي أن أجعل في هذا الكتاب أولا فصلا في العقائد المؤيدة بالأدلة القاطعة و البراهين الساطعة، ثم رأيت ذلك تشغيب على المتأهب الطالب للمزيد،..... فإن المتأهب إذا لزم الخلوة و الذكر،..... حينئذ يمنحه الله و يعطيه من العلم به و الأسرار الإلهية و المعارف الربانية التي أثنى الله سبحانه بها على عبده خضر فقال: (عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج3، ص514 .

² ينظر : عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، ص 52.

³ ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص 131 .

⁴ عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص52 .

⁵ المرجع نفسه ، ص ص 52، 53 .

رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا¹... قيل للجنيد*: بم نلت ما نلت؟ فقال:

بجلوسي تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة، وقال أبو يزيد*: أخذتم علمكم ميتا عن ميت و أخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت² . يدافع ابن عربي عن المعرفة الصوفية لأنها إلهام يقويه الله في قلب الصوفي العارف الذي يتلقى العلم مباشرة من الله كما أخذ الخضر من موسى عليه السلام ، وحثته في ذلك سلطة علمية موجودة في الواقع إذ استند إلى اسمين مشهورين بالعلم اللدني الكشفي وهما الجنيد وأبو يزيد البسطامي وقبلهما الخضر الذي أخذ العلم مشافهة وإلهاما من موسى عليه السلام ، فهذه الأسماء تمثل سلطة كبار المتصوفة اختيارها مقصود لإقناع المخاطب بحقيقة العلم الكشفي . بالإضافة إلى الآيات القرآنية وهي سلطة مقدسة لا تقبل الشك أو الاعتراض على ما تدعو إليه .

وفي سياق آخر ينتقد علماء الفقه أو الرسوم كما يسميهم لتلقيهم العلم من البشر. و البشر مخطئون و ميتون، في حين أن المعرفة الصوفية. مأخوذة من الحي الذي لا يموت، فكيف لا تكون على جادة الصواب، مستدلا من الواقع بسلطة قطبين من أقطاب الصوفية و هما: أبو يزيد البسطامي و الشيخ أبو مدين" قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه في هذا المقام و صحته يخاطب علماء الرسوم*: أخذتم علمكم ميتا عن ميت، و أخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، يقول أمثالنا: حدثني قلبي عن ربي، و أنتم تقولون: حدثني فلان و أين هو؟ قالوا: مات وكان الشيخ أبو مدين** رحمه الله إذا قيل له : قال فلان عن فلان عن فلان يقول : ما نريد أن نأكل قديدا هاتوا إئتوني بلحم طري يرفع هم أصحابه ، هذا قول فلان أي شيء

¹ سورة الكهف ، الآية 65 .

* أبو القاسم الجنيد سيد الصوفية وإمامهم كان أبوه يبيع الزجاج وكان فقيها ، وكان يجلس للفتوة في حضرته وهو ابن العشرين . ومات سنة 297هـ / 909 م .

** أما أبو يزيد طيفور البسطامي فقد كان جده ماجوسيا وأسلم ، وكانوا ثلاث أخوة (آدم وطيفور وعلي) كلهم كانوا زهادا ، وكان أبو يزيد أرفعهم حالا . قيل توفي سنة 261هـ / 304 م . ينظر : صهيب الرومي ، التصوف الإسلامي ، ص 664 وما بعدها .

² ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 1 ، ص 54 .

قلت أنت ما خصك الله به من عطاياه من علمه اللدني أي حدثوا عن ربكم أتركوا فلانا وفلانا فإن أولئك أكلوه لحما طريا"¹.

و إذا جننا إلى الجزء الثامن من الفتوحات و في بابه الأخير الموسوم "وصية حكميه ينتفع بها المرید السالك و الواصل" فإن حجة السلطة جاء حضورها قويا و متنوعا، تشمل الكتاب المقدس/ القرآن، و الأنبياء، و سلطة العارفين من أقطاب الصوفية، و أحيانا تكون السلطة دون تعيين مصدرها.

بالنسبة لسلطة القرآن فإن ابن عربي في الحقيقة حشد آيات من القرآن الكريم في جميع أجزاء المدونة فالأمثلة السابقة والأمثلة الآتية في الفصول المتبقية تؤكد أنه لا يخلو الخطاب من الاستدلال بالقرآن بوصفه حجة جاهزة ذات سلطة مقدسة قوية لا يمكن الاعتراض عليها أو الشك فيها .

بالنسبة للأنبياء يأتي على صدارتها سلطة الرسول (ص) يقول ابن عربي "

وصية نبوية قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر، و أقلل من الذنوب يسهل عليك الموت"² و في " وصية نبوية تحرض على صفات سنية: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "أيها الناس إن هذه الدار دار التواء لا دار استواء، و منزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء و لم يحزن لشقاء.." ³ و يقول في سياق آخر " وصية نبوية و ترغيب: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم" ارغب فيما عند الله يحبك الله، و ازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس"⁴. و يقول: " وصية بموعظة و ذكرى: قال الرسول صلى الله عليه و سلم: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل و عد نفسك من الموتى، و إذا أصبحت فلا تحدثها في المساء، و إذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح"⁵.

* علماء الرسوم هم علماء الأشكال والخطوط الكتابية وهم الفقهاء وعلماء النظر العقلي .

** أبو مدين من أعيان مشايخ المغرب.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص 423.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 370 .

³ المصدر نفسه، ج8، ص376.

⁴ المصدر نفسه، ج8، ص 376 .

⁵ المصدر نفسه، ج 8، ص 331.

جاء الترغيب في الأخلاق الصوفية المتمثلة في الزهد ، وترك شهوات النفس ، وخشية الله وتذكر الموت بحجة وجودها في الواقع استنادا إلى وجودها في وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم ، ليقين المخاطب أن الرسول سلطة دينية وعلمية مقدسة ، أقوالها مؤثرة لا يرددها ولا يعترض عليها إلا جاحد أو كافر ، مع العلم أن صيغ الأمر فيها أفعال كلامية مباشرة موجهة للمخاطب للتأثير فيه بإنجاز الأفعال المطلوبة في الوصية وهي التقليل من الشهوات " أقلل " والزهد " ازهد " والترغيب والأفعال هنا تعضد ها حجة السلطة وتقوي طاقاتها الحجاجية .

يوصل استحضار أقوال الرسول مسبوقه بكلمتي التحريض و الترغيب و التحذير في خطابات تتعلق بالزهد و ترك الدنيا و خشية الله و الحث على الأخلاق الصوفية، ليقينه أن شخصية الرسول صلى الله عليه و سلم سلطة قادرة على تغيير اعتقاد المخاطب وإقناعه بالفكرة المطروحة .

تشمل حجة السلطة أيضا الأنبياء و الصالحين: " قال عيسى عليه السلام في بعض مواظمه لبني إسرائيل: أيها العلماء و أيها الفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فلا أنتم تسيرون فيها فتدخلون الجنة و تتركون أحدا يجوزكم إليها" ¹ والسلطة نفسها يستحضرها قائلا : وصية نبوية روحية : قال عيسى عليه السلام لبعض أصحابه بوصية : صم عن الدنيا و اجعل فطرك الموت و كن كالمداوي جرحه بالدواء خشية أن ينغل * عليه، و عليك بكثرة ذكر الموت فإن الموت يأتي إلى المؤمن بخير لا شر بعده و إلى الشرير بشر لا خير بعده" ².

جاءت الدعوة إلى ترك الدنيا والعمل للآخرة في الخطابين بناء على وجودها في الواقع ، استنادا إلى سلطة نبوية مقدسة معروف عنها الزهد في الدنيا وهي شخصية النبي عيسى عليه الصلاة والسلام . وصيغ الأمر (كن) ، (صم) أفعال مباشرة لإنجاز المطلوب في الوصية على وجه الإلزام .

¹المصدر السابق ، ج8، ص 331.

*بمعنى يتعفن

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج8، ص 328 .

وفي ضوء هذه الوصايا يبرز اسم النبي لقمان يوصي ابنه و هو يعضه بأن يزاحم العلماء طلبا للعلم بوصفه نورا أو حكمة إلهية " وصية لقمانية : قال لقمان لابنه جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإن الله جل ثناؤه يحيي القلوب الميتة بنور العلم كما يحيي الأرض بوابل السماء، وإياك و منازعة العلماء فإن الحكمة نزلت من السماء صافية فلما تعلمها الرجال صرفوها إلى هوى نفوسهم" ¹ . فإقناع المخاطب بطلب العلم جاء بحجة وجوده في واقع الأنبياء من خلال اختيار اسم لقمان الحكيم وهو يقنع ابنه بأن يحشر نفسه في مجالس العلماء . و لأن الصالحين في الثقافة الإسلامية رمز للزهد و التقوى، فإن الاستشهاد بنصوصهم يشكل سلطة حجاجية قادرة على إحداث التغيير المنشود في المخاطب.

يقول ابن عربي: " و قال بعض الصالحين: من ترك الشغل بفضول الدنيا فهو زاهد، و من أنصف في المودة و قام بحقوق الناس فهو متواضع، و من كضم الغيظ واحتمل الضيم والتزم الصبر فهو حلِيم، و من تمسك بالعدل و ترك فضول الكلام و أوجز في المنطق و ترك ما لا يعنيه و اقتصد في أموره فهو عاقل" ² فالعدل والمودة وكضم الغيظ والصبر على الظلم هي القيم التي يسعى الخطاب إلى الإقناع بها ،مستدلا على وجودها في واقع حياة الصالحين .

ويعتمد على سلطة الصالحين دائما : "وصية من رجل صالح ناصح لعباد الله و قد قال له من حضر من أصحابه: أوصنا بوصية لعل الله ينفعنا بها، فقال رضي الله عنه، آثروا الله على جميع الأشياء و استعملوا الصدق فيما بينكم و بينه و أحبوه بكل قلوبكم و إلزموا بابه و اشتغلوا به و توسدوا الموت إذا نمتم و اجعلوه نصب أعينكم إذا قمتم، و كونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا و لا بد لكم من الآخرة" ³ يهدف الخطاب إلى الإقناع بالأحكام التالية : عبادة الله و حبه ، و الصدق و التفكير في الموت ، بحجة صدورها من رجل صالح أو وجودها واقع معاش لديه . و القول

¹المصدر السابق ، ج8،ص ص 330 ، 331.

²المصدر نفسه، ج8،ص 331.

³المصدر نفسه، ج8،ص 331.

(كونوا كأنكم لا حاجة لكم إلى الدنيا ولا بد لكم من الآخرة) فعل غير مباشر يستلزم حواريا من المخاطب أن يدرك أن المتكلم يأمره بعبادة الله . وبقية أفعال الأمر مثل (استعملوا ، اشتغلوا ، توسدوا) أفعالها غير المباشرة* هي التوجيه والإرشاد .

ويحذر من عدم الاتكال على الله مستندا إلى السلطة نفسها قائلا: " وصية : قال بعض الصالحين يوصي انسانا: احذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا قال له: كيف يكون ذلك؟ قال: لأن المخدوع من ينظر إلى عطاياه و ينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطاياه، ثم قال: " تعلق الناس بالأسباب و تعلق الصد يقون بولي الأسباب، ثم قال علامة تعلقهم بالعطايا طلبهم منه العطايا، و من علامات تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصباب العطايا عليه و شغله عنها به، ثم قال: ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال، ثم قال: اعقل فإن هذا من صفوة التوحيد"¹ فالأحكام التي أسسها الخطاب هي النظر إلى الله لأنه مصدر العطايا والأسباب ، وليس العطايا في حد ذاتها بناء على حجة وجود هذا الاعتقاد في واقع الصالحين علما أن الأفعال اللغوية تراوحت معانيها بين التخويف (احذر) والتوجيه والنصح (اعقل) إن التعويل على سلطة الصالحين حجاجيا ، يعود إلى أن هذه الفئة معروفة بالصلاح ، آراؤها سديدة ، أخلاقها تتمثل في كضم الغيظ ، والعفو عن الناس والزهد في الدنيا ، ولأن هذه القيم مثالية منغرسه في واقع أخلاقهم ، فإن ذلك كفيل بجعل الصالحين سلطة حجاجية من أجل تحويل قيمهم وتأسيسها من جديد. ومن ثم جاء الاستشهاد بنصوصهم لإقناع المخاطب بهذه الأخلاق الصوفية .

ويمثل الخلفاء الراشدون احدى السلط الحجاجية المعول عليها في الفتوحات " يقول عمر بن الخطاب: " ما ابتلائي الله بمصيبة إلا رأيت الله علي فيها ثلاث نعم: إحداهما: أن لم تكن في ديني، الثانية حيث لم تكن أكبر منها، الثالثة: ما وعد الله عليها من الثواب...فانظر إلى معرفة عمر رضي الله عنه كيف أوجب على نفسه

* الأفعال الكلامية المباشرة و غير المباشرة هي موضوع الدراسة في الفصل الثاني.
¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج8، ص 328 .

مثل هذا... فكان له مقام التفويض و الصبر و الاعتماد على الله، و أين الناس من هذا الذوق الشريف"¹.

يدعو ابن عربي إلى تحويل المصيبة إلى نعمة والتخلي بالصبر والاعتكاف على الله وتفويض الأمر له ، وحثه في ذلك أن هذه القيم واقع معاش منغرس في حياة عمر بن الخطاب الخليفة الثاني صاحب السلطة السياسية والحجاجية معا والاستفهام (وأين الناس من هذا الذوق الشريف) فعل لغوي غير مباشر يدل على إنكار أو عدم وجود القيم السابقة في حياة الناس ومن هنا فالمخاطب يدعو إلى الاتصاف بما اتصف به عمر . ولإقناع السامعين بالاستعداد للرحيل و الخوف من الله ، اتكأ على سلطة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي بكى خوفا من الله " وصية اعتبار لأحد الأبرار: بلغني أن عمر بن عبد العزيز شيع جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر و أصحابه عن الجنازة فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها و تركتها فقال: نعم ناداني القبر من خلقي يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت بالأحبة؟ قلت: بلى ، قال : حرقت الأكفان و مزقت الأبدان و مصصت الدم و أكلت اللحم،... ثم بكى عمر ثم قال: ألا إن الدنيا بقاؤها قليل و عزيزها ذليل و غنيها فقير و شابها يهرم،... أين سكانها الذين بنوا مدائنها و شققوا أنهارها و غرسوا أشجارها"² فهذا الخطاب يهدف إلى الإقناع بترك غرور الدنيا و العمل من أجل الآخرة مستندا إلى واقع معاش من حياة عمر بن عبد العزيز . و حجاجية الاستفهام الإنكاري هنا ستحضى بالدراسة في الفصل الثاني إن شاء الله .

تتنوع السلط وتتعدد إلى درجة الاعتماد على سلطة الرهبان بانتقاء أقوالهم بوصفها تمثل ما هو موجود في الواقع ويتماشى مع ما يهدف إليه ابن عربي كما في المثال التالي: " أوصى بها راهب عارفا من المسلمين: اجتاز بعض العارفين في سياحته براهب في صومعة على رأس جبل فوقف به فناداه: يا راهب فأخرج الراهب رأسه من صومعته و قال: من ذا؟ قال: رجل من أبناء جنسك الأدميين، قال

¹المصدر السابق ، ج5 ، ص 23 .

²المصدر نفسه ، ج8، ص 324 .

: فماذا تريد؟ قال: كيف الطريق إلى الله؟ قال الراهب في خلاق الهوى، قال: فما خير الزاد؟ قال: التقوى، قال: فلم تبعدت عن الناس و تحصنت في هذه الصومعة؟ قال مخافة على قلبي من فنتهم" ¹. إن الحديث عن التقوى وترك هوى النفس وشهواتها، والعزلة خوفا من الفتنة، وهي تمثل واقعا موجودا في حياة الراهب استمده المتكلم بوصفه سلطة حجاجية واقعية لحمل المخاطب على الالتزام بهذه القيم.

ويتكى على سلطة أحد الرهبان المتحصنين في صومعته قائلا: "قال بعض السياح...مررت بنهر يقال له نهر الذهب فرأيت في ظهر قرية من قرى ذلك النهر صومعة فيها راهب فناديته: يا راهب أجبني فلم يجبني، فناديته الثانية:...فلم يجبني، فناديت الثالثة: يا رباني فاطلع فرأني فقال لي: ما حاجتك و ما الذي تريده؟ فقلت له: عظة أو وصية أنتفع بها، فقال لي: أو تركت الدنيا؟ قلت: نعم، فقال لي: كل القوت و إلزم السكوت و علل النفس فإنك تموت و ذكرها الوقوف بين يدي الحي الذي لا يموت"² إن الأوامر الصادرة من سلطة الراهب تمثل الواقع / الحجة الذي تتأسس عليه إقناع السامعين، بوصفه مصدرا يستمد منه شرعيته أو سلطته الحجاجية.

كما أن سلطة الأقباط (من اليهود) حاضرة هي الأخرى في سياق الدعوة إلى الزهد من خلال الاستشهاد بما جاء في التوراة "وصايا إلهية من التوراة: رويانا من حديث كعب الأقباط أنه قال:...يا ابن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك و بدنك و أنت محمود، و إن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركز فيها ركض الوحش في البرية، ثم وعزتي و جلالتي لا تتال منها إلا ما قدرت لم....يا ابن آدم خلقتك من تراب ثم من نطفة و لم يعينني خلقك أفيعيني رغيف أسوقه إليك في حين..."³ إن حجة إقناع المخاطب بقضاء الله والرضا بالرزق مؤسسة على الواقع، موجودة في الكتاب المقدس (التوراة) مستمدة منه،

¹المصدر السابق، ج8، ص 328.

²المصدر نفسه، ج8، ص 343.

³المصدر نفسه، ج8، ص 351.

علما أن ما ورد في التوراة يتماثل مع القيم الإسلامية .و معنى هذا أن الحجاج سلطة أجنبية جيئ بها لإقناع المتلقي الكوني، و التمثيل في هذا الخطاب (التشبيه) وسيلة حجاجية هامة تسهم في التأثير أو زيادته .

وكثيرا ما يحشد ابن عربي عدة سلطات في خطاب واحد عندما يتوقع عدم إذعان المخاطب لما يقول : " وصية من زاهد يحوي على فوائد: رويانا عن الشبلي *أنه قال في وصيته: إذا أردت أن تنتظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا، و إذا أردت أن تنتظر إلى نفسك فخذ كفا من تراب فانك منها خلقت و فيها تعود، و متى ما أردت أن تنتظر ما أنت فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء، فمن كان حاله كذا فلا يجوز له أن يتناول أو يتكبر على من هو مثله. و قال بعضهم: من كانت همته ما يدخله في جوفه فقيمه ما يخرج منه. و كتب إبراهيم بن أدهم * إلى أخ له: بسم الله الرحمان الرحيم أما بعد: فإني أوصيك بتقوى الله من لا تحل معصية و لا يرجى غيره و لا يدرك الغنى إلا به. فإنه من استغنى عز و شبع و روى و انتقل عندما أبصر قلبه عما أبصرت عيناه من زهرة الدنيا فتركها و جانب شبهها، فارض بالحلال الصافي و أخشنه و السلام. و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم "حسب ابن ادم لقيمات: يقمن صلبه" و روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جيئ إليه قبل الخلافة بحلة بثلاثة ألف درهم فاستحسنها، ثم جيئ إليه في خلافته بثوب ليشتريه فيلبسه بثلاثة دراهم فقال: عسى خشن من هذا فإن هذا رقيق . فانظر يا أخي أين هذا من ذلك رضي الله عنه، مثل هذا يلي أمور عباد الله . و كتب ابن السماك إلى أخ له و قد سأله أن يصف له الدنيا: أما بعد فإن الله حفيها بالشهوات ثم ملأها آفات مزج حلالها بالرزيات و حرامها بالتبعات فحلالها حساب و حرامها عقاب"¹.

* أبو بكر الشبلي بغدادى المولد والمنشأ ، كان شيخ وقته حالا وظرفا وعلما ، وصاحب الجنيد ، وكان يباليغ في مجاهدته ، مات سنة 334هـ / 945م ، ومن أقواله خير كسب المرء عمل يميته .ينظر : صهيب الرومي ، التصوف الإسلامي ، ص 679 .

** من أبناء الملوك والمياسير . خرج متصيذا فهتف به هاتف أيقضه من غفلته ، فترك طريقته في التزيين بالدنيا ، ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع ، مات بالشام . ينظر : صهيب الرومي ، التصوف الإسلامي ، ص 663 .

يهدف الخطاب إلى إقناع السامعين بعدم التعالي على الناس والزهد في اللباس والمعيشة بناء على وجودها في الواقع من خلال الاستشهاد بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم والخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز وأقطاب الصوفية كالشبل وإبراهيم بن أدهم وجميع هذه السلط مصدر قوي يثبت صحة ما يريد المتكلم إيصاله إلى السامعين .

ويأتي أخيرا الرمز وهو سلطة أدبية حجاجيته تقوم على الوصل بين الرمز وما يرمز إليه ، كانتقال العلم إلى الوطن والصليب إلى المسيحية ، وعلاقة الانتقال هذه مبررة تثير العاطفة الدينية أو الوطنية . ومن هنا كان للرمز دورا كبيرا في التأثير، بالنسبة للذين يقرون بالاتصال الموجود بين طرفيه، و لا يؤثر في الذين لا يدركون تلك العلاقة، فهو خاص بثقافة أو قوم، و لا يصلح لمخاطبة جمهور عام¹ لأن "مؤسس الخطاب الحجاجي...يعرف ضرورة الرموز المعبرة عن انتماء متلقيه الثقافي و الاجتماعي فيوظفها بطريقة ذكية تمكن من الإقناع و الحمل على الإذعان"².

تعج المدونة برموز كثيرة، اقتصر البحث فيها على دراسة ماله علاقة بالحجاج كقول ابن عربي³ من الرمل :

مذ تأهت رجعت مظهرا و كذا كنت فبي فاعتصموا
و إذا قلت هويت زينبا أو نظاما أو عنانا فاحكموا
أنه رمز بديع حسن تحته ثوب رفيع معلم
و أنا الثوب على لابسه و الذي يلبسه ما يعلم
ليس في الجبة شيء غيرما قاله الحلاج* يوما فانعموا

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج8، ص 377 .

¹ ينظر: عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص ص 53 ، 54 .

² سامية الدريدي، في نظرية الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص 237 .

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 481.

* هو الحسين بن منصور وكنيته أبو مغيث من أهل بيضاء فارس ، نشأ بوسط العراق وصاحب الجنيد وأبا الحسن النووي وغيرهم .وقتل ببغداد سنة 309هـ/921م . ينظر : صهيب الرومي ، التصوف الإسلامي ، ص ص 668 ، 669 .

و في أبيات أخرى يقول: ¹.

غزال من الفردوس جاء منقبا من أجلي و ما يخفى على الله ما يجري
فقلت له أهلا و سهلا و مرحبا بمن و حياة الحب قد ضمه صدري

إذا كان " حب المرأة معبر إلى حب الله " ² عند الصوفية ، فإن الحب الإلهي إذا تأسس على حب زينب أو نظام أو غزال. و العلاقة بينهما مبررة بالجمال، جمال الأنوثة و جمال الألوهة، و هي فراغ ملؤه و استكماله من المتلقى يعني التأثير فيه و حمله على ممارسة الحب الإلهي الراقي بالعبادات والمجاهدات للوصول إلى باب الحضرة الإلهية .

وينتقي من الطبيعة النخلة رمزا لحواء " اعلم أن الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الذي هو أول جسم إنساني تكون و جعله أصلا لوجود الأجسام الإنسانية و فضلت من خميرة طينته فضلة خلق منها النخلة فهي أخت لآدم عليه السلام و هي لنا عمة...." ³، و علاقة الإنتاج و التكاثر بينهما فراغ يمل و ه المتلقى لإيصال الرمز بمدلوله لإثبات أننا أبناء حواء و آدم بالتناسل و التكاثر .

ويكتف الرموز لإيصال أفكاره إلى المخاطب: " و اعلم أن المشي في الظلمة بغير سراج و ضوء في طريق كثيرة المهالك و الحفر و الأوحال و المهاوي و الحشرات المؤذية التي لا يتقى شيء من هذا كله إلا أن يكون الماشي فيها بضوء يرى به حيث يجعل قدمه و يجتنب به ما ينبغي أن يجتنب مما يضره من مهواة يهوي فيها أو مهالك يحصل فيه أو حية تلد غه و ليس له ضوء سوى نور الشرع الذي قال فيه تعالى (نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) " ⁵.

يدرك المخاطب أن السراج رمز للعلم و العلاقة بينهما هي الإضاءة و التوضيح، لإثبات وجود معرفة ربانية إشراف قية مقذوفة في قلوب الصوفيين. أما

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص392 .

² عبد الرحمان بدوي، شطحات الصوفية، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1978، ج3، ص17.

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص195

⁴ سورة الشورى ، الآية 52 .

⁵ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج4 ، ص ص 472 ، 473 .

الحشرات و الحيات فهما رمزان يؤكدان وجود أعداء الصوفية من العلماء والفقهاء .
و العلاقة الجامعة بينهما لإثبات خطورة هؤلاء الأعداء و التصدي لهم بنور الشرع
(العلم الصوفي)، و الآية القرآنية أيضا حجة جاهزة تقوي سلطة الرمز هنا.
تبدو هذه الرموز متداولة مشتركة بين المتخاطبين، موجودة في بنية ثقافتهم و
قيمهم ، تربطها علاقة مقصودة غير مصرحة بما تدل عليه، وإدراك المخاطب لهذه
العلاقة يعني حصول الإقناع والتأثير بسلطة الرمز .

4- الحجج المؤسسة لبنية الواقع: les argument quifondent la structure du reel

إذا كانت الحجج السابقة تتأسس على بنية الواقع فإن حججا أخرى " تؤسس
هذا الواقع و تبنيه أو على الأقل تكمله و تظهر ما خفي من علاقات بين أشياءه أو
تجلي ما لم يتوقع من هذه العلاقات و ما لم ينتظر من حالات بين عناصره و
مكوناته"¹. فإن " منتهى الحجج الناجح بناء واقع جديد يقنع به المحاج جمهوره
ويرسم من خلاله معالمه الرؤيوية وهيئاته التصورية " ². أي أنها تتصور وتقتض
ما سيكون .

1-4 تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:المثال

هو استدلال بالمثال المفرد المعزول لتعميم حكم أو فكرة . ³ يوضح فليب
بروطون philippe breton هذه الحجة ويمثل لها قائلا " إذا كنت أعضد القول
"بإمكان كل الناس في أمريكا اكتساب ثروة " ، أستطيع لأجل الإقناع ، استعمال
الحجة بالمثال التي تنص هنا على أن بيل جايط bill gates (الذي يمثل احدى
أكبر الثروات الأمريكية) أو سطيف جوبس stev jobs " وهما شخصان شابان
انطلقا من لا شيء وأصبحا الآن من أصحاب المليارات " .

¹ سامية الدريدي، في نظرية الحجج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، ص 242 .
² علي الشبعان ، الحجج والحقيقة وأفاق التأويل بحث في الأشكال والإستراتيجيات ، ص 165 .
³ ينظر: سامية الدريدي ، الحجج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ، ص 243 .

ويمثل كل من بيل جايط وسطيف جوب مثالين بالإمكان تعميمهما (الأمر الذي لا يعني أن كل الناس سيصبحون من أصحاب المليارات ، ولكن يعني أن كل الناس يمكنهم أن يصبحوا كذلك ، وهو ليس الشيء نفسه) . في الوهلة الأولى نستدعي حدثا معروفا (هذان الرجلان من أصحاب المليارات) ثم نضعه "في مقدمة التعميم " إن كونهما من أصحاب المليارات ، يفيد أن الحجة تستلزم القول بأن ما قام به يمكن أن يقوم به الآخرون " ¹ . وحين رفع بعض النواب الاشتراكيين دعوة قضائية على جاك شيراك دافع عن حصانته محاميه باتريك ديفجيان patrick devedjian بحجة المثل قائلا: " في كل الديمقراطيات يستفيد أصحاب الحق التنفيذي من مساطر خاصة . وكان هذا حال الرئيس كلينتون Clinton في قضية ليوينسكي lewinsky ، يعد بيل كلينتون bill clinton مثلا (لا سلطة) ، وليس هنا موضع الاقتداء " بالمثل " ، فالأمر يتعلق بالربط بين تهمة جاك شيراك المحتملة وبين العلاقات خارج الزواج لرئيس الولايات المتحدة الأسبق " ² .

والقول بأن زيدا الملك جنح للطغيان لأنه طلب أن يكون له حرس خاص هو حالة خاصة. يتم دعمها بمثل ملكين سابقين هما عمر و الحارث فقد طلب حرسا و أصبحا طاغيتين. ففي هذا المثل تم المرور من حالة خاصة (زيد) إلى حالة خاصة أيضا هي (عمر و الحارث)، و منه يمكن بناء القاعدة أو القانون العام التالي:

طلب الملوك حرسا جنوح للطغيان، و تقوية درجة التصديق به يكون بالبينة أو الاستشهاد بوصفة حالة خاصة توضح القول ذا الطابع العام. و عليه فالمثل أسبق من القاعدة العامة و الاستشهاد لاحق للمثل ³ .

إن المثل يهدف إلى إثبات تأسيس القاعدة ،والاستشهاد بحالات خاصة يأتي بعده لتقوية درجة التصديق بتلك القاعدة العامة . ومن ثم كان المثل أسبق من القاعدة والاستشهاد يأتي بعدهما بنصوص ذات قيمة سلطوية على المخاطب كالمقولات

¹ فليب بروطون ، الحجاج في التواصل ،تر محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،ط1 ، 2013 ،ص 120 .

² المرجع نفسه ،ص 130 .

³ ينظر : عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات، ص ص 54 ، 55 .

الدينية أو كلمات القادة الخالدين لأن قيمة الشخص المعترف عليه سلفا من قبل السامعين يكون منطلقا حجاجيا مهما لتحقيق الإقناع¹.

تسري حجة تأسيس الواقع على حالات خاصة (المثال) في الخطابات القيمية الهادفة إلى إقناع المخاطبين ببناء القيم الأخلاقية السامية في نفوسهم . يقول ابن عربي : "فلا ترد سائلا ولو بكلمة طيبة والقه طلق الوجه مسرورا به ، فإنك إنما تلقى الله ، وكان الحسين أو الحسن عليهما السلام إذا سأله السائل سارع إليه بالعطاء ويقول : أهلا والله وسهلا بحامل زادي إلى الآخرة لأنه رآه قدم حمل عنه فكان له مثل الراحلة"² .

يفهم المخاطبون بهذا المثال أن ما قام به الحسن والحسين يمكن أن يقوموا به أيضا، وبالتالي فالمثال المضروب هنا حالة خاصة تهدف إلى تعميم إقناع المخاطبين بقدرتهم على السرعة في الترحيب بذوي الحاجة والبشاشة في وجوههم وإعطائهم ما يسألونه أو يطلبونه ولو بالكلمة الطيبة وهو الواقع أو العالم الذي يتم بناءه بحجة المثال السابقة ، علما أن الأفعال الكلامية (فلا ترد و القه) تصنف ضمن التوجيهيات التي ينجز بها المتكلم فعل العطاء للمحتاجين . وهذا ما يقوي الطاقة الحجاجية للمثال .

وبالمثال يحاجج ابن عربي في الدعوة إلى الغيرة على الدين " فإنه ليس بذوي دين ولا مروءة ، من يكره لنفسه شيئا ولا يكرهه لغيره فليس بذوي غيرة إيمانية ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم في سعد والحديث مشهور : " إن سعدا لغيرور وإنني لأغير من سعد وإن الله أغير مني ومن غيرته حرم الفواحش " ولقد مات رسول الله عليه وسلم وما مست يده يد امرأة لا يحل له لمسها وهو رسول الله، وما كانت تبايعه النساء إلا بالقول وقوله للواحدة قوله للجميع ، فاجعل ميزانك في الغيرة للدين هذا ، فإن وفيت به فاعلم أنك غيرور للدين والمروءة"³ .

¹ محمد سالم محمد الأمين الطالبة ، الحجاج في البلاغة المعاصرة ، ص ص 131 ، 132 .

² ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 8 ، ص 244 .

³ المصدر نفسه ، ج 8 ، ص 305 .

الحالات الخاصة هنا هي سعد الغيور على الدين والرسول الذي لم يلمس يد امرأة أجنبية عنه طوال حياته غير أنه على الدين والنساء أيضا إذ كن يبايعن الرسول بالقول وليس المصافحة. وتعميمها على المخاطبين إقناع للقول ضمنا أن ما قام به سعد والرسول صلى الله عليه وسلم والنساء يستطيع أن يقوم به المخاطبون الغيرون على الدين الرافضون مصافحة النساء . وفعل الأمر (فاجعل) يوجه المخاطب إلى إنجاز الغيرة أو تأسيسها ، وفي هذا تأكيد لحجاجية المثال .

ويدعو إلى الدفاع عن عرض المسلم وعدم خذلانه عندما يقول : " ادفع عن عرض أخيك المسلم ما استطعت ولا تخذله إذا انتهكت حرمة فإنه ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما من امرئ مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص به من عرضه إلا خذله الله في موضع يحب نصرته " وما رأيت أحدا تحقق بمثل هذا في نفسه مثل الشيخ أبي عبد الله الدقاق بمدينة فاس من بلاد المغرب ما اغتاب أحد قط ولا اغتیب بحضرته أحد قط وكان هذا عن نفسه وربما كان يقول : لم يكن بعد أبي بكر الصديق صديق مثلي ويذكر هذا وكان نعم السيد " ¹ . ما قام به الشيخ عبد الله الدقاق الفاسي ليس أمرا مستعصيا على المخاطبين إذ بإمكانهم أن يقوموا بما قام به مدافعين عن شرف المسلمين وعدم خذلانهم وهو الواقع السلوكي الخلقى الذي يهدف المثال إلى بنا حجة ، علما أن الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف في هذا الخطاب أو الخطابات التالية له يهدف إلى تخليد السلوك الصوفي " وتخليد السلوك الصوفي يعني لديهم تخليدا لسلوكات نبوية ، وكذا إحياء للسيرة المحمدية في صورها البهية " ² . كما أن فعل الأمر (ادفع) أنجز به المتكلم فعل الدفاع عن الشرف وبالتالي فالحديث وصيغة الأمر يقويان الطاقة الحجاجية للمثال .

ويقنع المخاطب بالكرم قائلا: " واحذر يا أخي أن تكون من شرار الناس فيتقي الناس لسانك فإن من شرار الناس الذين يكرمون اتقاء ألسنتهم وأنت اعرف بنفسك

¹ المصدر السابق ، ج 8 ، ص 316 ، 317 .

² عبد الله بن عتو ، مظاهر الاتساق في الخطاب الصوفي ، ص 74 .

في ذلك : أقبل رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله عليه وسلم فيه قبل أن يصل إليه وقد رآه مقبلا : " بنس ابن العشييرة " فلم وصل إليه بش في وجهه وضحك له فلما انصرف قالت له عائشة : يا رسول الله قلت فيه ما قلت ثم بششت في وجهه فقال: " يا عائشة إن من شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره " فاحذر أن تكون ممن هذه صفتهم فتكون من شر الناس بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم¹

يتضح من خلال المثال المضروب عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه حجة لإقناع الناس بأن إكرام الرسول للرجل الشرير والبشاشة في وجهه خوفا من شره ومداراة له مثال حجاجي يهدف إلى إقناع المخاطبين بأنهم قادر ون على الكرم نفسه والبشاشة ذاتها . وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم و فعل الأمر (احذر) الذي تكرر مرتين لإنجاز فعل النصيح والتنبية يعضدان الطاقة الحجاجية للمثال ما دام أنهما يقنعان بالفكرة التي أراد المتكلم الإقناع بها بحجة المثال .

وبحجة المثال يرغب السالكين في مكارم الأخلاق دون سفا سفا قائلًا : "وأما الأخلاق التي تحتاج إلى معرفتها أهل السلوك وكلنا سالك ... وهو أن نقول : إن العرف والشرع قد وردا بمكارم الأخلاق وسفاساف الأخلاق وأمرنا بإتيان مكارمها واجتناب سفاسفها . ثم إن الشرع قد نبه على أنها على قسمين : من الأخلاق ما يكون في جنة الإنسان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشج أشج عبد القيس : "إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله : الحلم والأناة " وفي لفظ آخر لغير مسلم : " فقال الرجل : يا رسول الله أشيء جبلت عليه ؟ قال : نعم ، قال : الحمد لله الذي جبلني عليهما ... ومنها مكتسبة ، فالمكتسب هو الذي يعبر عنه بالتخلق وهو التشبه بمن هي فيه هذه الأخلاق الكريمة "2 .

يدرك السامعون أن المثال الذي ضربه المتكلم في هذا السياق حجة تؤثر فيهم ، إذ تخاطبهم ضمنيا بالقول أنهم يستطيعون الاتصاف بالحلم والأناة الذين اتصفا

¹ ابن عربي ،الفتوحات المكية،ج8، ص 290 .
²المصدر نفسه ،ج3، ص 366 .

بهما عبد القيس أو الرجل غير المسلم فكيف لا يتصف بهما المسلم . والحديث النبوي الشريف دائما شاهد يؤكد على صحة ما يريد المتكلم تأسيسه وتعميمه على الناس . ويدعو الناس إلى التسامح وترك الأحقاد عندما يقول : "فاهجر ما نهاك الله عنه وقد نهاك عن أذى الجار فاهجر أذاه (أَدْفَعْ بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقِبَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلقَبَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ)¹

وفيما روينا من الأخبار في سبب نزول هذه الآية أن أعرابيا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين من فصحاء العرب وقد سمع أن الله قد أنزل عليه قرآنا عجز عن معارضته فصحاء العرب فقال له : يا رسول الله هل فيما أنزل عليك ربك مثلما قلته ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وما قلت ؟ " فقال الأعرابي: قلت : من الطويل²

وحبي ذوي الاضغان تسبي عقولهم
تحيتك القربي فقد ترفع النفل
وإن جهروا بالقول فاعف تكرما
وإن ستروا عنك الملامة لم تبل
فإن الذي يؤذيك منه استماعه
وإن الذي قد قيل خلفك لم يقل *

فانزل الله تعالى : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۗ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا

الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) ³ فقال الأعرابي : هذا والله هو السحر

الحلال ، والله ما تخيلت ولكان في علمي أنه يزداد أو يؤتى بأحسن مما قلته ، أشهد أنك رسول الله ...فمثل هؤلاء عرفوا إعجاز القرآن⁴.

يفهم السامعون أن المثل الذي استدل به المتكلم عن الأعرابي الذي دعا إلى ترك الأحقاد والعفو عن الحساد والظالمين -وهو الذي عرف إعجاز القرآن - حالة خاصة لتغيير اعتقاده ، أي أن عامة الناس يمكنهم أن يكونوا مثل الأعرابي في العفو والصفح ، والآية الكريمة هنا شاهد يعزز حاجية المثال ، بل إنها حجة جاهزة لا

¹سورة فصلت ، الآيتان 34 ، 35 .

² جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار الشافعي ، ط4 ، 2001 ، ص17 .

* الأبيات للعلاء بن الحضرمي كان صحابي للرسول صلى الله عليه وسلم .

³سورة فصلت ، الآية 34 .

⁴ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج3 ، ص ص 233 ، 234 .

تقبل المعارضة أو الرفض من لدن السامعين وفعل الأمر أيضا (اهرج) لإنجاز العفو والتسامح برفض إيذاء الجار أو الإساءة إليه .

ويأمر إلى حسن اختيار الصديق معتمدا على حجة المثال بالقول : " حكاية :

نزل ضيف من غير ملة إبراهيم عليه السلام بإبراهيم عليه السلام فقال له إبراهيم عليه السلام : وحد الله حتى أكرمك وأضيفك ، فقال : يا إبراهيم من أجل لقمة أترك ديني ودين آبائي فأنصرف عنه ، فأوحى الله إليه يا إبراهيم صدقك . لي سبعون سنة أرزقه وهو يشرك بي فتريد أنت منه أن يترك دينه ودين آباءه لأجل لقمة ، فلحقه إبراهيم عليه السلام وسأله الرجوع إليه ليقربه واعتذر إليه فقال له المشرك : يا إبراهيم ما بدى لك ؟ فقال : إن ربي عاتبني فيك وقال لي : أن أرزقه منذ سبعين سنة على كفره بي وأنت تريد أن يترك دينه ودين آباءه لأجل لقمة ، فقال المشرك : أوقد وقع هذا ؟ مثل هذا ينبغي أن يعبد فأسلم ورجع مع إبراهيم عليه السلام إلى منزله ، ثم عمت كرامته خلق الله من كل وارد ورد عليه فقيل له في ذلك فقال : تعلمت الكرم من ربي رأيت لا يضيع أعداءه فلا أضيعهم ، فأوحى الله إليه : أنت خليلي حقا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " قال الشاعر من الطويل¹

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه وكل خليل بالمقارن مقتد

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

قيل لبعضهم من أحب الناس إليك قال : أخي إذا كان خليلي ، علامة الخليل أن يسد خلة صاحبه بما أمكنه فإذا لم يستطع قاسمه في همه² .

قصة إبراهيم عليه السلام إن كانت هذه الحكاية صادقة مثال لإقناع المخاطبين باحترام وإكرام غيرهم من الديانات الأخرى التي تدين بغير الإسلام والمشرك أيضا مثال لإقناع بقية المشركين بالدخول في الإسلام فهم يستطيعون أن يفعلوا ما فعله وأن يعترفوا بفضل الله عليهم وكرمه مثل ما اعترف المشرك . والقول بأن المشرك

¹ طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق محمدي محمد نصر الدين ، دار الكتب العلمية ، ط3 ، 2002 ، ص 32 .
² ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 3 ، ص 543 .

هو خليل الله للصفات السابقة إنما لإقناع المرء بأن يكون على أخلاق صاحبه ،
وصاحبه من خيار القوم وليس أردلهم ، وبحكم العلاقة المتعدية يكون المرء كذلك
من خيار الناس . والأوامر (فليُنظر - سل - فصاحب) والنواهي (لا تسأل - لا
تصحب) الواردة - في الحديث النبوي والبيت الشعري باعتبارهما يعززان حجة
المثال - توجيهات تتضمن إرشاد المخاطب إلى حسن اختيار أصحابه والتحذير من
الوقوع في مغبة سوء الاختيار.

ومن الأمثلة التي جاء الحجاج فيها عن طريق المثال قول ابن عربي : " فكان
قبول الإنسان الأمانة اختياراً لا جبراً فخاف فيها لأنه وكل إلى نفسه، و كان حمل
الأرض و السماء لها جبراً لا اختياراً فوفقهما الله إلى أدائها إلى أهلها و عصما من
الخيانة و خذل الإنسان ، قال : رسول الله صلى الله عليه و سلم: " من طلب الإمارة
و كل إليها و من أعطيها من غير طلب بعث الله أو وكل الله به ملكاً يسدده" و من
شرف الأرض و السماء و الجبال على الإنسان قوله الله فيهم : (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا

الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) ¹.... ألا تراه عز و جل

يقول لنا في هذه الآية: (وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ² فإنهم

إذا تفكروا في ذلك علموا شرف غيرهم عليهم" ³ فقد مثل للحالة الخاصة بالإنسان
الخائن للأمانة التي اختارها جهلاً للإقناع بتعميم حصول الخيانة والجهل والظلم لدى
الناس . وتوفيق السموات والأرض للأمانة جبراً وانعدام الظلم والخيانة لديها يؤكد
حجاجة المثال الأول . وتأويل الآيات الكريمة والحديث النبوي الشريف من طرف
المتكلم ليوافق ما ذهب إليه بالمثال الحجاجي الأول .

¹سورة الحشر، الآية 21.

²سورة الحشر، الآية 21.

³ابن عربي، الفتوحات المكية، ج5، ص 4 .

ويمثل بأقطاب الصوفية قائلًا: " و رأينا من هؤلاء جماعة مثل عبد الله بن تاخمست و مثل ابن جعدون الحناوي و هو من الأوتاد كان كبير الشأن،...و صاحب هذا المقام قد خلع الله عليه من أوصاف السيادة و قواه بحيث أن يقول للشيء كن فيكون ذلك الشيء لمكانته من ربه، فكان من قوته أنه ملك نفسه فلم يظهر عليه من ذلك شيء لا في أقواله و لا في أفعاله و لا عبادته، و هو ممن نص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الحسن الغريب: " حين خلق الله الجبال عند ميد الأرض فرست و سكن ميدها فقالت الملائكة: يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد، قالت: يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الحديد؟ قال: نعم النار، قالت: يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من النار؟ قال: نعم الماء، قالت: يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الماء؟ قال: نعم: الهواء، قالت: يا ربنا هل خلقت شيئاً أشد من الهواء؟ قال: المؤمن يتصدق بيمينه لا تعرف بذلك شماله...فهم على الطريقة المثلى التي اختارها الله لعباده و لهم المكانة الزلفى بثبوتهم عليها مكرمون عند الله،...و أعطى صاحب هذا المقام من القوى المؤثرة في العالم الأعلى و الأسفل ألفا و مائتي قوة، قوة واحدة منها لو سلطها على الكون أعدمته"¹.

المثال المضروب بالشخصيتين عبد الله بن تاخمست و ابن جعدون وهما من أوتاد* الصوفية لإقناع المخاطب بإمكانية أن يكون وتدا كبير الشأن ذا مقام كبير بعيدا عن الرياء يكرمه الله بقوى مؤثرة واحدة منها بإمكانها سحق العالم . والحديث الشريف جاء مضمونه مطابقا لما يريد المتكلم إقناعه بحجة المثال مؤكدا لها .

و من الصوفية الذين مثل بهم أيضا: أبو يزيد البسطامي لسلطته الحجاجية القادرة على بناء الواقع الذي يفترضه المتكلم " قال أبو يزيد عند ذلك أنا الله يعني ذلك المتلفظ به في الدلالة على هويته،يقول رضي الله عنه: أنا أدل على هوية الله من كلمة الله عليها و لذلك سماه كلمته، و قال عليه السلام: " إن أولياء الله هم الذين إذا رؤوا ذكر الله

¹ المصدر السابق، ج5، ص 22.

* الأوتاد هم الرجال الأربعة الذين على منازلهم الجهات الأربعة من العالم أي المشرق والمغرب والجنوب والشمال ، بهم يحفظ الله تلك الجهات لكونهم محل نظره تعالى . ينظر: المعجم الصوفي ، ص 256 .

...لأن الإحسان أن ترى ربك في عبادتك فإن العبادة لا تصح من غير شهود*"
¹فالمثال المضروب عن أبي يزيد بأنه هو الله، لأنه وصل إلى مرتبة الألوهية
بالعبادات ، وحديث الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد يؤكد ذلك يؤسس القاعدة
التي يهدف الخطاب إلى الإقناع بها وهي : لا تصح عبادة الله دون رؤيته أو شهوده
بالعلم والعبادات . ويعتمد على حجة المثال في سياق الدعوة إلى الزهد : "وصية
عليك بالبذاعة فإنها من الإيمان وهي عدم الترفه في الدنيا وقد ورد قوله :

" اخشوشنوا " * وهي من صفات الحاج و صفة أهل يوم القيامة فإنهم شعث غبر
حفاة فإن ذلك كله أنفى للكبر و أبعد من العجب و الزهو و الخيلاء...و هي مذمومة
في العرف عند الناس و عند الله، ولذلك جعل النبي صلى الله عليه و سلم البذاعة من
الإيمان و ألحقها بشعبه فإن النبي صلى الله عليه و سلم يقول: الإيمان بضع و
سبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله و أدناها إمطة الأذى عن الطريق" و لا شك أن
الزهو و العجب و الكبر أذى في طريق سعادة المؤمن و لا يماط هذا الأذى إلا
بالبذاعة فلهذا جعلها رسول الله صلى الله عليه و سلم من الإيمان"².

استدل المتكلم بمثالين : الأول اتصاف الحاج بالزهد ، والثاني أهل يوم القيامة
وهما حجة لتغيير اعتقاد المتكلم ضمنيا ودفعه إلى حب الزهد على أساس أنه يمكن
أن يكون زاهدا مثل الحاج أو أهل يوم القيامة . وما يعزز ذلك حديث الرسول
صلى الله عليه وسلم الذي أوله المتكلم بما يوافق ما يريد الإقناع به ، إذ يرى أن
البذاعة (الزهد) هي التي تميط أذى الكبر والزهو من الطريق ، طريق المتصوفة في
الحديث المستشهد به .

ليس ضروريا أن يكون المثال متبوعا بالشواهد دائما خصوصا إذا كان
المخاطب من عوام الناس، إقناعه يكون بوسيلة حجاجية واحدة دون غيرها " أوصى

*شهود : هو رؤية الحق بالحق . وقيل الشهود أن يرى العبد حظوظ نفسه وتقابله الغيبية وهي أن يغيب عن
حظوظ نفسه فلا يراها . وشهود المجل في المفصل هو رؤية الأحادية في الكثرة ، وشهود المفصل في المجل
هو رؤية الكثرة في الذات الإلهية . ينظر : المعجم الصوفي ، ص ص 137 ، 138 .

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 7 ، ص 175 .

**الحديث الكامل هو: " اخشوشنوا فإن النعمة لا تدوم" بمعنى اصبروا وتعودوا على المعيشة الشاقة ، وهي
تدخل ضمن الزهد .

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج8، ص 267 .

حكيم أولاده عند موته و كانوا جماعة فقال لهم: ائتوني بعصي فجمعها وقال لهم: اكسروها و هي مجموعة فلم يقدروا على ذلك ثم فرقها فقال لهم: خذوا واحدة واحدة فاكسروها فاكسروها فقال لهم: هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم فأبادكم، و كذلك القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامة الدين و لم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو، و كذلك الإنسان في نفسه إذا اجتمع في نفسه على إقامة دين الله لم يغلبه شيطان من الإنس و لا من الجن بما يوسوس به إليه مع مساعدة الإيمان و الملك بلمته له¹.

المثال المضروب هنا عن عدم قدرة الأولاد على كسر العصي و هي مجتمعة حالة خاصة يهدف المتكلم إلى تعميمها على واقع حياة أولاده . بمعنى أنه أراد أن يقنعهم بأنهم يستطيعون أن يكونوا مجتمعين متعاونين رجلا واحدا لتحقيق النصر والغلبة . ويقنع أيضا المجتمعين على الدين أنهم قادر و ن على قهر عدوهم وتحقيق الغلبة . وأخيرا يقنع الإنسان أنه يستطيع إذا اجتمع في نفسه حصول الاتحاد الانتصار على الشيطان وقهره .

وأخيرا يجب الإشارة أن حجة المثال ت أخذ منحى عكسيا، بحيث يرد السامع بمثال مضاد " مثل الحالة التي ساقها أوليفي روبول عن الأب الذي خاطب ابنه الذي يعاني في إعداد واجباته المدرسية:" في مثل سنك كان نابليون الأول في قسمه ،في مواجهة هذا المثال المشهور أجاب الابن على الفور: وفي مثل سنك كان إمبراطورا² . ومعنى هذا أن المثال الثاني المضاد أقوى حججيا من الأول لأن المتكلم الأب صار سامعا ما له سوى الخضوع لقهر سلطة مثال الابن والإذعان لما يسمع وإلا خرج الحوار عن حججيته إلى جدال لا طائل من ورائه .

وفي الفتوحات ما جاء على هذا النحو من المثال " ولقد نادى بعض الرعايا

سلطانا كبيرا بمرسيا فلم يجبه السلطان فقال الداعي : كلمني فإن الله تعالى كلم

¹ المصدر السابق، ج8، ص 235.

² فليب بروتون ، الحجاج في التواصل ،تر محمد مشبال ، ص 130 .

موسى ،فقال له السلطان حتى تكون أنت موسى ، فقال له الداعي : حتى تكون أنت الله ،فمسك السلطان له فرسه حتى ذكر له حاجته فقضاها " ¹ .

4-2 حجة النموذج :

ومن الحجج التي تدرج ضمن الحالات الخاصة بالإضافة إلى المثال و الشاهد توجد حجة النموذج le modèle و النموذج كما يعرفه أوليفي روبول هو " المثال الذي يظهر بمظهر يستوجب تقليده" ² ، و التقليد يكون اقتداء و محاكاة للكائن نموذج ليس لتأسيس القاعدة فحسب و إنما للحض على عمل ما ³ ، كدعوة المخاطب بأن تكون الشكوى في البلاء لله فقط.

ومن المدونة قول ابن عربي : " جاع أبو يزيد البسطامي فبكى فقبل له في ذلك فقال: إنما جوعني لأبكي، فالأدب كل الأدب في الشكوى إلى الله في رفعه لا إلى غيره" ⁴ إن اختيار شخصية أبي يزيد اختيار حجاجي يهدف إلى تعميم النموذج المؤدب مع الله في البكاء والشكوى إليه فقط ، بمعنى أن المتكلم يريد أن يقنع السامعين بأنهم يستطيعون التأدب مع الله وإرجاع الأمور إليه كلها إذا اقتدوا بأبي يزيد وتصرفوا كما تصرف هو .

وفي الخطاب نفسه يختار شخصية أيوب نموذجا يقتدى به في الصبر " فإن كنت صاحب غرض و تحس بمرض و ألم فأحبس نفسك عن الشكوى لغير من ألمك بحكمه عليك كما فعل أيوب عليه السلام" ⁵ .فلكي يقنع المخاطب بالصبر خاطبه بحجة النموذج بالقول ضمناً تستطيع أن تجعل شكواك لله فقط إذا صبرت كما صبر أيوب وبالعودة إلى حجة التجاوز المذكورة في ص من هذا الفصل، فإن السامعين يدركون أن المتكلم أراد أن يؤثر فيهم بالقول يستطيعون تجاوز المصيبة* وتحويلها إلى نعم إذا اقتديتم بذوق عمر (معرفته القلبية) وصبره واعتماده على الله و

¹ ابن عربي ،الفتوحات المكية ، ج3 ،ص 304 .

² سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ،ص245 .

³ ينظر : عبد الله صولة، في نظرية الحجاج دراسات و تطبيقات ص 55 .

⁴ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج7 ،ص 211 .

⁵ المصدر نفسه ، ج 7 ،ص 211 .

الأمر (فانظر إلى معرفة عمر) فعل كلامي أنجز به المتكلم توجيه المخاطب إلى تقليد النموذج العمري الغائب في واقع الناس ، بدليل الاستفهام الإنكاري (أين الناس من هذا الذوق الشريف) والذي أنجز به إنكار وجود مثل هذه المعرفة الذوقية في قلوب الناس ما عدى قلب عمر .

ويدعو صراحة إلى الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم عندما يقول :
وللصابرين حمد يخصهم وهو الحمد لله على كل حال ، وللشاكرين حمد يخصهم وهو الحمد لله المنعم المفضل ، كذا كان يحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه عزوجل في حالة السراء والضراء ، والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أولى من أن تستببط حمداً آخر، فإنه لا أعلى مما وضعه العالم المكمل الذي شهد الله له بالعلم به وأكرمه برسالته واختصاصه وأمرنا بالاقتداء به وأتباعه ...فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكره كثرة التكليف على أمته ، وكان يكره لهم أن يسألوا في أشياء مخافة أن ينزل عليهم في ذلك ما لا يطيقونه إلا بمشقة¹ ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم شهد له العالم بالعلم وأكرمه الله برسالة الإسلام وكان حامداً لله شاكراً له في السراء والضراء ، يكره الإكثار من الأسئلة حتى لا يجيب الناس بما لا يستطيعون القيام به . وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يأمرنا إلى الاقتداء به والسير على سيرته (وأمرنا بالاقتداء به) فإن السامعين يدركون أن المتكلم استدل بهذا النموذج لإقناعهم بتجسيد سلوك الحمد والشكر وتعميمه عليهم ، وبمعنى آخر يستطيعون تحقيق الحمد والشكر إذا عملوا ما عمله الرسول صلى الله عليه وسلم واتبعوا سنته بصفة عامة .

وبحجة النموذج يقنع السامعين بصفات المحب الصوفي " فهذا قد ذكرنا طرفاً من الصفات التي يحب الله من اتصف بها وهي كثيرة جداً ... فمن ذلك أنه موصوف بأنه مقتول تالف سائر إليه بأسمائه تيار دائم السهر كامل الغم راغب في الخروج من الدنيا إلى لقاء محبوبه ، متبرم بصحبة ما يحول بينه وبين لقاء محبوبه ، كثير التأوه بستريح إلى لقاء محبوبه وذكره بتلاوة ذكره ، موافق لمحباب محبوبه

¹المصدر السابق ، ج8 ، ص 52 .

... يستقل الكثير من نفسه في حق ربه ، يستكثر القليل من حبيبه ، يعانق طاعة محبوه ويجالب مخالفته ، ... يصبر على الضراء التي ينفر منها الطبع لما كلفه محبوه من تدبيره ، هائم القلب مؤثر محبوه على كل مصحوب ... غيور على محبوه منه يحكم حبه فيه على قدر عقله ... " ¹ .

يهدف المتكلم وهو يذكر هذه الصفات المتجددة من خلال تكرار صيغ اسم الفاعل (دائم - كامن - راغب - موافق - خائف - هائم ...) إلى تغيير اعتقاد السامعين الذين بمقدورهم أن يكونوا محبين صوفيين ، أو يكونوا كذلك شريطة السير على خطاهم والافتداء بهم والاتصاف بما اتصفوا به من أحوال كالخوف والحب ومقامات.

ويمثل حفظة القرآن الكريم أحد النماذج الحجاجية الواردة في خطاب الفتوحات المكية "هم المسمون بحملة القرآن لما كان المحبون جامعين جميع الصفات كانوا عين القرآن كما قالت عائشة وقد سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : " كان خلقه القرآن " لم تجب بغير هذا . وسئل ذو النون عن حملة القرآن من هم ؟ فقال : هم الذين أمطرت عليهم سحب الأشجان ، وانصبوا الركب والأبدان وتسربلوا الخوف والأحزان ، وشربوا بكأس اليقين، ورضوا أنفسهم رياضة الموقنين ، فكان قرة أعينهم فيما قل وزجا وبلغ وكفا واطر ووارى ، كحلوا أبصارهم بالسهر، وعضوها عن النظر ، وألزموها العبر ، وأشعروها الفكر ، فقاموا ليلهم أرقا واستهلت أماقهم نسقا ، صحبوا القرآن بأبدان ناحلة ، وشفاه ذابلة ، ودموع زائلة ، وزفرات قاتلة ، فحال بينهم وبين نعيم المتنعمين ، وغاية آمال الراغبين ، فاضت عبراتهم من وعيد ، وشابت ذوائبهم من تحذيره ، فكان زفير النار تحت أقدامهم ، وكان وعيدهم نصب قلوبهم " ² .

¹ المصدر السابق ، ج3 ، ص 518 .

الأشجان:الأحزان

² ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج3 ، ص 318 .

تسربلوا : لبسوا . رضوا : عودوا

زجا : انقطع / نفذ أماقهم : أعينهم

المحبون الصوفيون هم عين القرآن ، وصفاتهم أحوال ومقامات بعضها وليس كلها يتمثل في الزهد في الملذات وترك الشهوات بدليل أنهم حرموا نفوسهم من النوم فكانت أجسامهم ضعيفة ، وشفاهم عاجزة عن الكلام من شدة الجوع وقلة النوم ، ويكون بين الحين والآخر، يشعرون بالحزن والخوف وغيرها من المجاهدات الشاقة . وهذا النموذج من السلوك المثالي استدل به المتكلم للتأثير في السامعين وتغيير اعتقادهم بأن يكونوا صوفيين حاملين للقرآن . وبالأحرى فالسامعون يدركون ضمناً أنهم يمكن لهم أن يكونوا حفظة قرآن ويحققون مبتغاهم إذا اقتدوا بهذا النموذج من السلوك الصوفي .

ويمثل سلوك الشيخ في الفلسفة الصوفية نموذجاً جديراً بالتقليد ، والسير على خطاه يعد شرطاً ضرورياً للمريد السالك طريق الصوفية . يقول ابن عربي : "والجامع لمقام الشيخوخة أن الشيخ عبارة عن جمع جميع ما يحتاج إليه المرید السالك في حال تربيته وسلوكه وكشفه إلى أن ينته ي إلى الأهلية للشيخوخة ... فإن الشيوخ على حالين : شيوخ عارفون بالكتاب والسنة قائلون بها في ظواهرهم متحققون بها في سرائرهم ، يراعون حدود الله ويوفون بعهد الله ، قائمون بمراسيم الشريعة لا يتأولون في الورع ، آخذون بالاحتياط مجانين لأهل التخليط ، مشفقون على الأمة ، لا يمقتون أحداً من العصاة ، يحبون ما أحب الله ويبغضون ما أبغض الله ببغض الله ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر المجمع عليه ، يسارعون في الخيرات ويعفون عن الناس يوقرون الكبير ويرحمون الصغير ، ويميطون الأذى عن طريق الله وطريق الناس ، يدعون في الخير بالأوجب فالأوجب ، يؤدون الحقوق إلى أهلها ، يبرون إخوانهم بل الناس أجمعهم ، لا يقتصرون بالجود على معارفهم جودهم مطلق الكبير لهم أب والمثل لهم أخ وكفو والصغير لهم ابن ، وجميع الخلق لهم عائلة ... إن أطاعوا رؤوا الحق موفقهم في طاعته إياه ، وإن عصوا سارعوا بالتوبة والحياء من الله ولاموا نفوسهم على صدر منهم ، ولا يهربون في معاصيهم إلا القضاء والقدر فإنه سوء أدب مع الله

، هينون لينون ذو مقة (رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا)¹ ... فمثل هؤلاء هم الذين

يقتدى بهم ويجب احترامهم ، وهم الذين إذا رؤوا ذكر الله " ² .

يشير المتكلم هنا صراحة إلى الاقتداء بالشيخ (فمثل هؤلاء هم الذين يقتدى بهم و

يجب احترامهم) "إذ لا بد لمن لا يعرف خفايا الطريق إلى الحق /التصوف من

الاعتماد على الشيخ"³ لأن " الشيخ عالم بطريق الصوفية وعارف بأحكام التربية " ⁴

والاقتداء بصفاته و أخلاقه يكون " بتقديم نموذج بشري بوصفه كاملا ، ويختزل

العالم المثالي المنشود في أحواله ومقاماته وسلوكه الصوفي " ⁵ . المستمر دون

انقطاع المعبر عنه بالأفعال المضارعية (يحبون - لا تأخذهم - يأمرن بالمعروف

- يميطن الأذى ...) . والاستدلال بهذا النموذج لإقناع السامعين بتقليد السلوك

المثالي للشيخ الصوفي ،وكأني بالمتكلم يريد أن يقول ضمنا تستطيعون أيها

السالكون أن تبلغوا رتبة العارف الصوفي أو المشيخة إذا قلتم شيوخم .

ويجب الإشارة في هذا السياق أن حجة المثال هي حجة النموذج أيضا

والعكس ليس صحيحا . والقارئ أو السامع هو الذي يؤول الحجة بأن تكون مثلا أو

نموذجا وليس المتكلم ."فالقوة تعد مثلا قويا ما دامت تتقدم بوصفها معيارا يستوجب

الاحتذاء (التقليد) فالحامل المتمثل في ذلك الشاب العامل في مجال الإعلاميات

الذي صار من المليارات هو مثال وليس قدوة . إنه مثال يصلح للإقناع بأن كل

الناس يمكنهم أن يصيروا أصحاب المليارات . ويمكنه أن يصبح بالمقابل قدوة

بالنسبة إلى من نريده أن يصير من أصحاب المليارات ف " الموضوع " في هذه

الحالة هو : تستطيع أن تحقق مبتغاك مثل ستيف جوبز " ⁶ .

¹سورة الفتح ، الآية 29 .

²ابن عربي الفتوحات المكية ،ج3 ،ص ص 547 ، 548 .

³عبد الله بن عتو ،مظاهر الاتساق في الخطاب الصوفي ،ص 66 .

⁴المرجع نفسه ،ص 65 .

⁵المرجع نفسه ،ص 72 .

⁶فليب بروتون ، الحجاج في التواصل ، تر محمد مشبال ، ص 130 .

فالحجج السابقة من مثل تستطيعون تحقيق الحلم والأناة إذا قلدتم عبد القيس وبإمكانكم التحلي بالعفو والصفح إذا قلدتم الأعرابي والترحيب والعطاء إذا فعلتم ما فعل الحسن والحسين وغيرها حجج بالنموذج بعد ما كانت مدرجة ضمن المثال والإقناع بهذا الشكل " إنما هو إقناع بضرب المثل والدعوة إلى الاقتداء بنموذج كامل هو ظل أو شبيهه بالنماذج العليا في الكون "¹.

تبين جل الخطابات المدروسة في سياق الحجج المؤسسة لبنية الواقع أن الحالات الخاصة التي مثل بها ابن عربي ، أو النماذج التي اختارها معروفة بالزهد ، والقيم الخلقية السامية القائمة على العفو والعدل والتسامح والكرم والمروءة والغيرة ، على الدين والحب الإلهي ، والحمد والشكر والبشاشة في وجوه الناس وحب الخير لهم وكلها حالات مثالية خاصة ، يهدف المتكلم إلى تعميمها على الناس وإقناعهم بالاتصاف بها أو تأسيسها في عالمهم أو واقعهم الحياتي السلوكي ، مؤكداً على ما يريد الإقناع به بشواهد من الحديث النبوي الشريف . وباختصار فالحجة بالمثال والنموذج يهدفان إلى بناء عالم التصوف أو " بث التصوف باعتباره علم التخلق ... وإلى تكوين الإنسان الكامل الذي هو نسخة ومثال وظل من العالم الكلي العلوي ، ولكن لا للعيش خارج المجتمع والتعالى عن المشاركة فيه بالانعزال والتهرب . بل للمشاركة في الجواب عن متطلبات الجماعة لدفع المضار ، وجلب المنافع "².

¹ عبد الله بن عتو ، مظاهر الاتساق في الخطاب الصوفي ، ص 73 .
² المرجع نفسه ، ص 75 .

الفصل الثاني

الحجاج التداولي

مباحث الفصل الثاني

- المؤشرات وأبعادها الحجاجية
- الإستراتيجية التضامنية
- ضمائر الحضور
- ضمائر المتكلم
- ضمير الشأن
- الإشارات الزمانية
- الإشارات المكانية
- الإشارات الإجتماعية
- قوانين الخطاب
- متضمنات القول
- الافتراض المسبق
- الأفعال الكلامية
- الأفعال المباشرة وغير المباشرة
- الإخباريات
- الموجهات
- الملزمات
- الإعلانات

جاء في المدخل أن المؤشرات والافتراض السابق (الاقتضاء) وقوانين الخطاب والأفعال الكلامية هي أبرز موضوعات التداولية. والبحث إذ يستخرج الأمثلة موضوع الدراسة، فإنه يبين أهميتها التداولية وأبعادها الحجاجية.

1- المؤشرات وأبعادها الحجاجية:

المؤشرات مصطلح يعني الإشارة من خلال اللغة. يقول جورج يول George Yule موضحاً أقسامها "تسمى التعبيرات التأشيرية أيضاً بالإشارات Indexicals وهي أولى الصيغ التي ينطق بها الأطفال الصغار، وتستعمل للإشارة إلى الأشخاص من خلال التأشير الشخصي Person dexis ("أنا"، "أنت")، أو إلى المكان من خلال التأشير المكاني Spacialdexis ("هنا"، "هناك")، أو إلى الزمان من خلال التأشير الزماني Temporal dexis ("الآن"، "آنذاك")، وتعتمد جميع هذه التعبيرات في تفسيرها على متكلم ومستمع يتشاركان في السياق ذاته"¹.

يرى عبد الهادي بن ظافر الشهري أنها حاضرة في كل خطاب إذ لا يمكن أن تتم عملية التلفظ بالخطاب دون حضور هذه الأدوات الإشارية الثلاثة: وهي (الأنا، هنا، الآن)، ويمثل كل منها نوعاً من الإشارات، وهي: الإشارات الشخصية، الزمانية، المكانية ولأنها موجودة في كفاءة المرسل اللغوية، فإن المرسل لا ينطقها في كل حين، ولنرى أن خطاباً مثل:

افتح الكتاب

يتضمن هذه الإشارات الثلاث؛ فبنية الخطاب في صورتها العميقة، هي:
أنا أقول لك، هنا، افتح الكتاب، الآن²

يعتمد السامع في تفسير هذه الإشارات على السياق ، أي أن السامع يجب أن يعرف قصد المتكلم من استعمالها لأن "الناس معتادون وبشكل كبير على استعمال هذه الكلمات مما يزيد من صعوبة توضيح كيفية استعمالهم لها. لكننا نعلم علم اليقين أن

¹ جورج يول ،التداولية ، تر ، قصي العتايي ، ص 27 .

² إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص ص، 81، 82.

الكلمات بذاتها لا تشير إلى أي شيء، فالناس هم الذين يشيرون . ويمكننا تعريف الإشارة Reference بأنها فعل يستعمل فيه متكلم، أو كاتب، صيغا لغوية لتمكين مستمع، أو قارئ، تحديد شيء ما¹. يمثل المعنى غير المصرح به تداوليا ، يدركه ضمنا من خلال سياق استعماله من طرف المتكلم . وعلى هذا الأساس "فإن التعابير التأشيرية توصل دائما أكثر بكثير مما يقال"².

2- الإستراتيجية التضامنية:

يختار المرسل إستراتيجية خطابه باعتبار علاقته مع غيره وفق عاملين: أولهما: العلاقة السابقة بينه وبين المرسل إليه؛ ففي حالة تدرجها من الحميمة إلى الانعدام التام، يسعى المرسل إلى تعويضها أو إيجادها عبر الخطاب، وثانيهما السلطة التي يمتلكها أحد طرفي الخطاب على الآخر، عندما تعلق رتبته عليه، وقد لا يمتلكها أي منهما، إذ تتساوى رتبتهما، أو لا تربطهما أي علاقة. ³ وبناء على هاتين العلاقتين يتضامن المرسل أو يساوي المرسل إليه ويطابق رتبته ، أو يكون لديه الاستعداد لذلك . تقول ك . أوريكيوني C. K oreccioni "المرسل ، من أجل التخفيض من مجازفات الخلاف بينه وبين المخاطب، يتطابق مع هذا الأخير أو - إذا أردنا- "يتبنى رأيه"، إذن يعين انتقاله في علاقته مع المخاطب عوض تعيينه في علاقته مع ذاته"⁴.

يتحقق التضامن/ التطابق عبر العدول أو الانزياح في استعمال الضمائر، وتمثل ك. أوريكيوني لذلك عندما تقول: "إذا وضعنا جانبا انزياحات العدد ("أنتم" الخاصة بالـ "المجاملة" نحن الخاصة بالعظمة أو بالتواضع، إنه من خلال ...)، تبقى بعض حالات الاستعمال "المنزاحة" من الضمائر، نحو:

- "أنا": أنت ("بماذا أهتم؟")

- "نحن": أنت أو أنتم (لنذهب، لنسرع)

¹ جورج يول، التداولية، قصي العنابي، ص 39.

² المرجع نفسه، ص 37.

³ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لسانية تداولية، ص 256.

⁴ ك. أوريكيوني، فعل القول من الذاتية في اللغة، تر، محمد نظيف، أفريقيا الشرق، المغرب، 2007، ص 92.

- "نحن": هو (كذا في خطاب المحامي متحدثاً عن موكله"
- "أنت": نحن (on)، بل حتى أنا (كثير الوقوع في الخطاب الشفوي لإدماج المخاطب في الحكي: "تصل المحطة، ولازلت تنتظر بعد السعادة ...")
- "هو": أنت (تحببية hypocorisyique "حينئذ، اغتاض رضيعي؟ لم يرد تناول حسائه؟"
• احتفالية: "السيد، هل يأخذ الشوكولا؟")

• أنا على علسان أو بقلم القيصر، دو كول (...)

استعمالات تعكس مختلف آليات التتابع / التباعد¹.

وتقسم لأكوف دلالة نحن إلى قسمين²:

1 - نحن الشاملة

2- نحن القاصرة أو الحاضرة

نحن في الصنف الأول يعادل أنا أو أنت أو أنتم . وهي "ذات قوة عاطفية ، وذلك

لجمعها المرسل والمرسل إليه وكأنهما مرسل واحد ن وبالتالي فهما يشتركان في الاهتمام بل يتحدان"³ ، والثاني يستبعد المرسل إليه إذ يعني أنا وآخرون ... وذلك بإشراكهم معه في إرسال الخطاب مما يوحي بسلطته على آرائهم. ولذلك يستعمله أصحاب المقامات الرفيعة للدلالة على مرتبتهم، مثل الملوك ومن في حكمهم⁴ .

التتابع إذا تضامن من شأنه أن يساوي بين درجات طرفي الخطاب ، لأنه يقلص

المسافات ويقضى على الفوارق وعوامل التشنت بينهما، علما أن المرسل قد لا يتضامن

مع المرسل إليه أو لا يرغب في ذلك عندما تغلو سلطته، مفضلا التعامل مع المرسل إليه

بخطاب رسمي يؤكد رغبته في إبقاء الفروق بينهما، وعدم التنازل عن سلطته، وفي هذه

الحالة يستعمل الإستراتيجية التوجيهية، وقد يرغب - رغم سلطته- في التضامن⁵ .

¹ المرجع السابق، ص 93.

² ينظر عبد الهادي بن ظافر الشهري ، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 293 .

³ المرجع نفسه ، ص 293 .

⁴ المرجع نفسه ، ص 293 .

⁵ ينظر: المرجع نفسه ، ص ص 254، 255.

وبإجراء الدراسة على المدونة، فإن سياق استعمال الضمائر تداوليا يبين أو يعكس الرغبة في التضامن/ التطابق أحيانا، وأحيانا التباعد بين المرسل والمرسل إليه، والضمائر موضوع الدراسة هي:

2-1 ضمائر الحضور*:

تشمل ضمائر المتكلم والمخاطب وأسماء الإشارة.

2-1-1-2 ضمائر المتكلم:

أ- ضمير المتكلم المفرد:

مثال 1: "اعلم أيها الولي الحميم، والصفي الكريم، أني لما وصلت إلى مكة البركات، ومعدن السكنات الروحانية والحركات، وكان من شأني فيه ما كان، ... فبينما أنا أطوف مسبحا وممجدا ومكبيرا ... إذ لقيت وأنا عند الحجر الأسود باهت الفتى الفائق ** المتكلم الصامت ..."¹.

مثال 2: "فلما أراد الله أن يسري بي ليرني من آياته في أسمائه من أسمائي وهو حظ ميراثنا من الإسراء أزالني عن مكاني وعرج بي على براق إمكاني... رحلت عنه بعدما دعا لي فنزلت بعيسى عليه السلام في السماء الثانية... ثم رددت وجهي إلى يحيى عليه السلام... ثم عرج بي إلى السماء الثالثة إلى يوسف عليه السلام... ثم ودعته وانصرفت فنزلت بإبراهيم الخليل عليه السلام..."².

يدل التركيب " اعلم أيها الولي الحميم" على حضور السامع فعليا ، وضمائر المتكلم وهي "الياء" و "التاء" "أنا" تؤكد ذلك . وهي تقوم بالإخبار عن الشخصية المتكلمة بأنها ذات مرتبة روحية متعالية تتفرد عن سائر الخلق، لأن الخالق ف اجأ ابن عربي بـ "الفتوحات المكية التي تلقاها ... كما يقول كشفا وهو في حركة الطواف بالبيت العتيق"³.

* سميت بضمائر الحضور لأن المتكلم والمخاطب حاضرا حضورا فعليا، أو أن المتكلم يستحضر المخاطب وقت الكلام.

** قد يكون الفتى هو المرشد السماوي الذي تجلى له سابقا وأمره بالرحيل إلى المشرق وقد تجلى له مرة ثانية موحيا له بتأليف الفتوحات المكية.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص 80.

² المصدر نفسه، ج6، ص 77 وما بعدها.

³ ساعد خميسي، ابن العربي المسافر العائد، ص 151.

وأن يبلغ للناس ما ورد في هذا الفتح الرباني عندما يقول: "فبيننا أنا متطلع لما يلقي لدي أو ينزل علي، وإذا بالعلم القلمي الأعلى، ... وأطلعني على جميع أسمائي،... وقرأ ما تضمنته سطورتي، فما وقفت عليه مني فاجعله في كتابك وخاطب به جميع أحبابك"¹. وفي المثال 2 يعلو ويسمو عن الجميع راكبا براق الخيال، معرجا على عوالم السموات السبع لرؤية الأنبياء، وآخرهم إبراهيم الخليل، معلنا عن وصوله إلى درجة الحضرة الإلهية، معبرا بواسطة ضمائر المتكلم بأنه الوحيد الذي وصل إلى هذه المكانة. **مثال 3:** "... فما في الوجود إلى الله، ولا يعرف الله إلا الله، ومن هذه الحقيقة قال من قال: أنا الله، كأبي يزيد، وسبحاني كغيره من رجال الله فمن وصل إلى الحيرة من الفريقين فقد وصل"².

مثال 4: "وأنه يرى نفسه عين محبوبه فيقول: أنا من أهوى ومن أهوى أنا"³. إذا كان الله فوق البشر، فإن استعمال العارف الصوفي للضمير المتكلم المنفصل "أنا" والمتصل في سبحاني، جاء لغرض تدوالي يتمثل في إعلاء ذاته وجعلها ترقى إلى "درجة الفناء فناء ذات الغائب أي العبد في الألوهية فناء تاما لا يشعر فيه الفرد بإنيته... وهناك يقول كمن قال قبله "أنا الحق" أو "سبحاني"⁴ علما أن فناء العبد في الألوهية كما في المثال 4 وسيلة للاتحاد بالله، بمعنى أن الله والإنسان كلاهما يمثل شيئا واحدا "الاتحاد شأنه شأن الفناء حالة ذوقية شهودية، يتحقق فيها العارف بوحدة الوجود، ما دام المحب عين المحبوب والمحبوب عين المحب، فإذا هو حق في صورة خلق"⁵ ومن هنا فالتكلم استعمل الضمير "أنا" تداوليا لغرض إظهار سموه ووصوله إلى الحضرة الإلهية بالعبادات والمجاهدات الصوفية. وليس أنه هو الله كما يعتقد خصوم الصوفية أو معارضوهم. يبين سياق استعمال ضمائر المتكلم في الأمثلة الأربعة هذه أن المتكلم ذات سلطة صوفية عالية، أثبت العلم لنفسه ليحمل المتلقي على التضامن معه.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص 85.

² المصدر نفسه، ج، ص ص 310، 311.

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 529.

⁴ ساعد خميسي، ابن العربي المسافر العائد، ص 151.

⁵ محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص 269.

ب - ضمائر المتكلم الجمع:

مثال 1: "قلنا: وربما وقع عندي أن أجعل في هذا الكتاب أولا فصلا في العقائد المؤيدة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ثم رأيت أن ذلك تسغيب على المتأهب الطالب للمزيد المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود"¹

مثال 2: "ها نحن بحمد الله ومعونته وإلهامه نشرع في الأقطاب* والهجيرات التي كانوا عليها ابتغي بذلك الإعلام بأنه من عمل على ذلك وجد ما وجدوا وشهد ما شهدوا، إذ بنيت كتابي هذا أنا على إفادة الخلق، فكله فتح من الله"²

مثال 3: "فإن قلت: وما التصوف؟ قلنا: الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا وهي مكارم الأخلاق ...

فإن قلت: وما الخلوة والجلوة؟ قلنا: الجلوة خروج العبد من الخلوة بنعوت الحق فيحرق ما أدركه بصره، والخلوة محادثة السر مع الحق حيث لا ملك لا أحد وهناك يكون الصعق، فإن قلت: وما الصعق؟ قلنا الفنا عند التجلي الرباني"³.

مثال 4: "واعلم أن أطيب ما يورث من العلم ما يرثه العالم من الأسماء الإلهية فإن قلت: وكيف تورث الأسماء الإلهية ولا يكون الورث إلا بعد موت؟ قلنا وكذلك أقول، فاعلم أي أريد بهذا النوع من العلم كون الحق سبحانه قادرا على أن يفعل ابتداء ما لا يفعله ..."⁴

مثال 5: "وقف الصفي الولي أبقاه الله على سبب بدء العالم في كتابنا المسمى بعنقاء** مغرب في معرفة ختم الأولياء وشمس المغرب . وفي كتابنا المسمى بإنشاء الدوائر الظي

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص 54.

*القطب: صاحب أعلى الدرجات في الطريقة، يبلغها بجهد كبير، وهو أيضا الغوث الذي يلتجأ الملهوف إليه، وقيل أيضا: القطب خلق على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل على قلب اسرافيل عليه السلام. ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص ص 202، 203.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج7، ص 109.

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 194.

⁴ المصدر نفسه، ج 6، ص 46.

* طائر العنقاء تتداوله الألسنة في الغرب الإسلامي أكثر من مشرقه، وهو طائر وهمي ليس له وجود حقيقي يتحدث عنه الناس ولا أحد رآه واستعارة ابن عربي لاسم "عنقاء" للقول بأنه الوحيد الذي يملك معرفة ختم الأولياء المجهول اسمه وزمانه ومكانه ظهوره كجهل الناس لحقيقة العنقاء، واكتفائهم بترقب ظهوره كما يترقبون يوم القيامة حيث تظهر الشمس من المغرب، ينظر: ساعد خميسي ابن عربي المسافر العائد، ص 144.

ألفنا بعضه بمنزله في وقت زيارتنا سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ونحن نريد الحج"¹
مثال 6: "وقد ذكرنا هذا في كتابنا الذي سميناه إنشاء الدوائر، وليس غرضنا في هذا الكتاب
في هذه الأمهات السبع المعبر عنها بالصفات، ولكن قصدنا الأمهات التي لا بد لإيجاد
العالم منها... فأمهات الأسماء الحي العالم المرید القادر القائل الجواد المقسط..."²
في المثالين 1 و 2 السامع حاضر عينا أو افتراضا، والضمير في قلنا الدال على
جماعة المتكلمين يصعب تحديد إحالته النحوية والتداولية لأن (قلنا) أول كلمة افتتح بها ابن
عربي الفتوحات المكية، ولكن عند مقارنة هذا المثال بما جاء قبله عند حديثه عن حياته
بالقول: " أن أذكر من أسماء شيوخي ما تيسر لي ذكره ... فمن شيوخنا أبو بكر بن أخلف
اللخمي "³. فإن ضمير المتكلم للجماعة في (قلنا) يحيل تداوليا إلى المتكلم المفرد لأن
الذي قال هو ابن عربي وهو الذي حمد (ها نحن نحمد) وهو الذي شرع (نشرع) مثال
2، تعبيراً عن مقامه الرفيع وسلطته العلمية أو رتبته .

وفي المثالين 3 و 4 يوضح ابن عربي سياق الأسئلة المطروحة قائلاً: جرد الإمام
صاحب الذوق التام محمد ابن علي الترمذي الحكيم مسائل تمحيص واختبار وعددها مائة
وخمسة
وخمسون سؤالاً لا يعرف الجواب عنها إلا من علمها ذوقاً وشرباً"⁴ وعليه فالسامع / سائل
حاضر عينا لا ذهنياً وهو إمام صاحب ذوق، والإجابة كما يقول ابن عربي لا يعرفها إلا
من عرفها ذوقاً كابن عربي والإمام السائل، وفي ضوء هذا السياق يعبر نحن عن
تضامن المتكلم مع السامع ، بمعنى أنا وآخرون من أصحاب الذوق والعلم الكشفي من
يعرف الإجابة حيث " يبدو المرسل وكأنه يمارس شيئاً من السلطة و الصلاحية ... وذلك
بإشراكه عدداً من الآخرين معه في إرسال الخطاب ، مما يوحي بسلطته على آرائهم " ⁵.
والإشراك نفسه حاصل في المثال 4 ، فالمتكلم ضم صوته للآخرين من أصحاب العلم

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 153.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 155.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 7 .

⁴ المصدر نفسه، ج 3، ص 61.

⁵ عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 293.

الكشفي، متكئا عليهم متضامنا معهم عندما يؤكد بالقول (قلنا وكذلك أقول) ليجعل المتلقيين يؤمنون بصواب الإجابات ويقنعهم بها . وفرضا أن الإجابة كانت بصيغة المفرد "قلت أنا" فإنها في هذه الحالة صادرة من طرف واحد مفروضة على من يسمعها، وقد يرفضها ولا يحصل الإقناع .

وفي المثالين 4 و 5 جاءت صيغة الجمع كما في "كتابنا" "أفنا" "زيارتنا" "نحن" "فشغلنا" "ذكرنا" "غرضنا" بدلا من "ك لبني" "أفت" "زيارتي" ... تفخيما وتعظيما لمكانته العلمية والدينية، أي أنه لا يريد التضامن أو التنازل عن سلطته العلمية باعتبار أن "عنقاء مغرب في ختم الأولياء وشمس المغرب وهو كتاب أراد القول من خلاله أنه الوحيد الذي يحوز على علامات المعرفة بختم الأولياء المجهول"¹.

ج- ضمائر المخاطب:

مثال 1: "إذا انكشفت الحقائق فلا ريب ولا مين وبان صباحها لذي عينين كان الاطلاع وارتفع النزاع وحصل الاستماع، ولكن بينك وبين هذه الحال مفاوز مهلكة وبيداء معطشة وطرق دارسة وآثار طامسة،... ولكن على قدر آلام المشقات يكون النعيم بالرحات، وما ثم ببيداء ولا مفازة سواك، فأنت حجابك * عنك فزل أنت وقد سهل الأمر، فمن علم الخلق علم الحق، ومن جهل البعض من هذا الشأن جهل الكل"²

مثال 2: "ثم قيل له: أنت على ملكك وعن ملكك زائل، وعن بلدك راحل، وعن الدنيا منتقل، فلا تفرط في الزاد فإنك ما تأكل إلا ما تحمل معك"³

مثال 3: "ثم لتعلم أيها الأخ الولي أن أرض بدنك هي الأرض الحقيقية الواسعة التي أمرك الحق أن تعبد فيها وذلك لأنه ما أمرك أن تعبد في أرضه إلا ما دام روحك يسكن أرض

¹ ساعد خميسي، ابن عربي المسافر العائد، ص 144.

* العارف بالله يرى الله في كل شيء يحتجب به، وأن كل شيء لا يواصلك بالله تعالى فإنما يخدعك، وأن الجهل حجاب الرؤية والعلم أيضا حجاب. ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 74.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 5، ص 364.

³ المصدر نفسه، ج 5، ص 340.

بدنك، فإذا فارقتها أسقط عنك هذا التكليف مع وجود بدنك في الأرض مدفونا فيها لتعلم أن الأرض ليست سوى بدنك"¹

مثال 4: "فلا تعرفه إلا بك وما لم تعرفه إلا بك، فلا بد أن يكون العلم به موقوفا على علمك بك، فوجودك موقوف على وجوده، والعلم بربوبيته عليك موقوف على العلم بك، فله الأصل في الوجود ولك حكم الفرع في الوجود، وأنت الأصل في العلم به، وله حكم الفرع في العلم"²

كان بإمكان المتكلم في المثال 1 أن يستعمل ضمائر المتكلم التي للمفرد متحدثا عن نفسه، أو التي للجمع "نحن" معبرا عن الصوفية من أمثاله بالقول ولكن بيني/ بيننا -سواي (أنا) - فأنا حجابي عني. إلا أنه عدل عن ذلك إلى كاف الخطاب في الكلمات: بينك - سواك - حجابك - والضمير المنفصل أنت تضامنا مع المخاطب، بإدماجه في الخطاب، وإشعاره بأنه شريك له في الصبر على طريق الصوفي المحفوف بالمجاهدات والطاعات أي أن الضمير أنت يحيل تداوليا إلى أنا أو نحن .

والعدول نفسه في المثال 2 فبدلا من القول أنا على ملكي وعن ملكي زائل، وعن بلدي... استعمل ضمائر المخاطب (ملكك - بلدك - فإنك - أنت)، لإشعار المخاطب بأنه مساو للمتكلم الزاهد عن الدنيا العامل للأخرة . علما أن المثال نفسه سيحضى بالدراسة عند بيان الأهمية الحجاجية للتقديم والتأخير و التوازي ،حجاجيا ، وبالتالي وجود أكثر من حجة في هذا السياق أو غيره من شأنه تدعيم الطاقة الحجاجية، ويعكس الطابع الحجاجي للمدونة.

وفي المثال 3 أيضا، جاءت ضمائر الخطاب بدلا من المتكلم لغرض جعل المخاطب شريكا للمتكلم في العلم بأن بدن الإنسان أرض مأمورة بالعبادة، لأن الروح إذا فارق أرض البدن لم يعد الإنسان مكلفا بعبادة الله، وما يؤكد التضامن والمساواة عبارة (لتعلم أيها الأخ) حيث رفع المتكلم المخاطب إلى مصاف اخوته، رغم بعد العلاقة بينهما وهو ما يؤدي إلى علاقة حميمية تقوم على التأدب والمساواة .

¹ المصدر السابق، ج 5، ص 369.

² المصدر نفسه، ج 6، ص 289.

ولو اعتمد المتكلم في المثال الأخير على ضمائر المتكلم لكان التعبير المفترض (لا يعرف الله إلا أنا/ نحن - وجودي/ وجودنا...) إلا أنه تحدث بلسان المخاطب تأديبا معه وتضامنا يزيل الفوارق بينهما لأن القضية واحدة للثنتين، فهما من يعرفا الله ووجودهما بسبب وجود الله .

ويواصل الاعتماد على ضمائر الخطاب قائلا:

مثال 5: "...فبينما أنا أطوف إذ أنا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا هو يبكي ويقول...: كتمت بلائي من غيرك، وبحث بسري إليك، واشتغلت بك عن سواك... ثم أقبل يخاطب نفسه فقال: أمهلك فما ارعويت، وستر عليك فما استحييت، وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت"¹

اعتمد الشخص الباكي على ضمير المتكلم في البداية، ثم عدل عن ذلك إلى ضمير المخاطب "أنت"، رغم أنه يتكلم عن نفسه لغرض تداولي يتمثل في إدماج المخاطب وإشراكه مع المتكلم في قلة الخوف والاستحياء من الله.

د- ضمائر الغيبة:

مثال 1: "فيا إختوتي ويا أحبائي رضي الله عنكم، أشهدكم عبد ضعيف مسكين فقير إلى الله تعالى في كل لحظة وطرفة، وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه، أشهدكم على نفسه بعد ما أشهد الله... ومن حضره من المؤمنين وسمعه أنه يشهد قولاً وعقداً أن الله تعالى إله واحد"².

مثال 2: "سمع أبو يزيد البسطامي قارئاً يقرأ هذه الآية: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ

وَفَدًّا)³ فبكى حتى ضرب الدمع المنبر، بل روي أنه طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وصاح وقال: يا عجباً كيف يحشر إليه من هو جليسه؟"⁴.

¹ المصدر السابق، ج 3، ص 521.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 62.

³ سورة مريم، الآية 85 .

⁴ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص 318 .

مثال 3: "... سمعت يوسف بن الحسين يقول: كان شاب يحضر مجلس ذي النون المصري مدة ثم انقطع عنه زمانا ثم حضر عنده وقد اصفر لونه ونحل جسمه وظهرت آثار العبادة عليه والاجتهاد فقال له ذو النون: يا فتى ما الذي أكسبك خدمة مولاك واجتهادك من المواهب التي منحك بها ووهبها لك واختصك بها؟ فقال الفتى: يا أستاذ وهل رأيت عبدا اصطنعه مولاة من بين عبيده واصطفاه وأعطاه مفاتيح الخزائن ثم أسر إليه سرا أيحسن أن يفشي ذلك السر؟"¹

المتلقي يدرك أن الضمير في المثال 1 يحيل نحويا إلى الغائب ، وتداوليا إلى المتكلم أنا (ابن عربي) تعظيما لشأنه وتفخيما له أي أنه "مطابق لضمير هو المعبر عن التعظيم"² لغرض إعلاء ذاته ورفع رتبته. وبالمقابل فإنه رفع من وجه إليهم الخطاب إلى مصاف إخوته وأحبائه تضامنا معه ورغبة في إقامة علاقة حميمية معهم تزيل الفوارق بينه وبينهم وهذا ما يؤكد علو سلطة المتكلم العلمية . ويتكلم أبو يزيد في المثال 2 عن نفسه وغيره من المتقين، وكان من المفروض أن يسند الضمير إلى المتكلم فردا "أنا" أو جماعة "نحن" إلا أنه استعمل بدلا من ذلك ضمير الغيبة المنفصل "هو" الذي يحيل تداوليا إلي ضمير المتكلم أنا معظما نفسه بأنه هو من هو في الوصول إلى الحضرة الإلهية. مع العلم أن القول (كيف يحشر إليه من هو جليسه) مدروس سابقا في حجة التناقض في الفصل الأول .

وإذا جئنا إلى المثال الأخير جاءت ضمائر الغيبة في (اصطنعه- مولاة- اصطفاه- أعطاه- إليه) لتحيل تداوليا إلى المتكلم الفتى رغبة منه في إعلاء مكانته الروحية ليضاهي ذا النون بوصفه أعلى رتبة منه، بدليل أن الفتى خاطبه بلقبه العلمي (يا أستاذ)، والأستاذ نفسه تضامن معه من خلال ضيعة النداء (يا فتى) لتوطيد العلاقة الحميمية بينهما ، لأن الأستاذ كان بإمكانه أن لا يسميه فتى أو زيدا وفي هذه الحالة لا يحصل التضامن.

¹ المصدر السابق، ج3، ص 522 .

² رولان بارت، الكتابة في درجة الصفر، تر. محمد نذير خشفة مركز الإنماء الحضاري، سوريا، ودار المحبة، سوريا، 2009، ص 48.

جاءت جل الضمائر المدروسة معبرة عن علو الذات المتكلمة بوصفها شخصية صوفية ليست كباقي الشخصيات ، ومع ذلك فقد أبانت عن رغبتها في التضامن . يبين ابن عربي الاستعمال التداولي لهذه الضمائر في إعلاء رتبة المتصوفة قائلاً: "وما علمت الطائفة أن غير لفظة هو في الذكر أكمل في المرتبة مثل الياء من أي، والنون من نزلنا، ولفظة نحن، فهؤلاء أعلى مرتبة في الذكر من هو في حق السالك لا في حق العارف، فلا أرفع من ذكر هو عند العارفين"¹.

2-2 ضمير الشأن:

هو الضمير الغائب المفرد يكنى به عن الشأن أي الأمر الذي يراد الحديث عنه نحو "هو الله رحيم" . وتكمن أهميته في تعظيم الأمر وتقديره ، حيث إن المتكلم يذكر الأمر مبهما بالضمير لينبه السامع إلى أهميته ثم يفسره بالجملة ليزيل الإبهام ويكون هذا الضمير بلفظ الغائب المفرد فقط ². فتنبه السامع لأمر ما وتوضيح المعنى يهدفان إلى إقناعه ، ومن ثم كان ضمير الشأن ذا أهمية حجاجية .

مثال 1: "أمرتك لتعلم أن لك ربا وإلها هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشيك"³.

مثال 2: "هو خالق الأصوات والحروف واللغات، فكلامه سبحانه من غير لهاة ولا لسان، كما أن سمعه من غير أصمخة ولا آذان"⁴.

مثال 3: "فهو المحب والمحبوب والطالب والمطلوب"⁵.

مثال 4: "إذا كان المحب الله فهو الكبير المالك مشرع الآداب في العقلاء مؤدب أوليائه"⁶.

مثال 5 : "فهو الناطق من كل صورة... وهو المنظور بكل عين، وهو المسموع بكل سمع...، فالهو لازم لا إله إلا هو العزيز الحكيم"⁷.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 453 .

² ينظر: رشيد الشرتوني، مبادئ العربية، دار الشروق، بيروت ، لبنان، (د.ت)، ص 233.

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 355.

⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 64.

⁵ المصدر نفسه، ج 3، ص 496.

⁶ المصدر نفسه، ج 3، ص 538.

⁷ المصدر نفسه، ج4، ص 434.

مثال 6: "فنحن عبيد وإن ظهرنا بنعوته، وهو ربنا وإن ظهر بنعوتنا"¹.

مثال 7: "ووصف في نفسه بما يقال فيه أنه صمد لا إله إلا هو يصورنا في الأرحام كيف يشاء، ويقلب الليل والنهار، وهو معنا أينما كنا، وهو أقرب إلينا منا، فكثرتنا بنا ووحدناه به، ثم طلب منا أن نوحده بلا إله إلا الله فوحده بأمره وكثرتنا بنا"².

في المثال 1 كان بإمكان المتكلم الاستغناء عن الضمير "هو" بالقول (لتعلم أن لك ربا وإلهًا خلقتك ورزقك...)، وفي هذه الحالة يكون المعنى خاليا من تنبيه السامع وتوجيهه إلى علو شأن الله عز وجل. ومن هنا فإن مجيء الضمير (هو خالقك) يؤكد على علو شأن الله وعظمته. والأمر نفسه في الأمثلة من 2 إلى 7، إذ إن الاستغناء عن الضمير نفسه يعني أن الأقوال السابقة مجرد إخبار بأن الله ربنا خالق محب صمد قريب لنا. وبالتالي فإن ضمير الشأن عندما ينبه السامع فإنه يوجهه للاقتناع بعظمة الله وعلو شأنه. لا يقتصر استعمال ضمير الشأن من أجل إقناع المخاطب بعظمة الخالق، وإنما تعدى إلى سياقات أخرى. يقول ابن عربي من الطويل³:

هو الصارم الهندي حين يبید

هو السيد المهدي من آل أحمد

هو الوايل الوسمي حين وجود

هو الشمس يجلو كل غم وظلمة

فبالإضافة إلى تكرار ضمير الشأن 4 مرات لتنبيه السامع وتوجيه القول نحو علو مكانة المهدي المنتظر، فإن إطلاق لقب "السيد" يؤكد هذا العلو تشبيهه بالصارم والشمس تشبيهه بليغ وجه الشبه فيه محذوف وهو المكانة العالية وتقديره من طرف السامع هو المعنى الضمني غير المصرح به والذي يهدف المتكلم إلى إقناع السامع به وهذا ما يدعم الطاقة الحجاجية للضمير السابق.

¹ المصدر السابق، ج 6، ص 93.

² المصدر نفسه، ج 6، ص 17.

³ المصدر نفسه، ج 6، ص 52.

3- الإشارات الزمانية:

كلمات تدل على زمان يحدده السياق إذا عرف السامع لحظة التلفظ به "فإذا لم يعرف زمان المتكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ" ¹ كما في المثالين التاليين: ²

1 سأعود بعد ساعة .

2 انتهبوا فرصة التخفيضات الآن.

في المثال 1 لا يمكن للمرسل إليه أن يتنبأ بالوقت، إلا إذا عرف لحظة التلفظ، فقد يكون التلفظ قبل عشر دقائق، أو نصف ساعة أو ساعة. وفي المثال 2 مرجع الأداة الآن هو لحظة التلفظ بها، فقد تمتد لعدة سنوات، وقد تقتصر على وقت التلفظ بها. ومن المدونة وقف البحث على دراسة الأمثلة التالية:

مثال 1: "من عرف نفسه عرف ربه" رأيت محمدا المراكشي بمراكش وكان يكاثرني ليلا ونهارا وكان هذا هجيريه دائما فما رأيت ضاق صدره من شيء... وما تحسر أحد من إخواني على فراقي حين فارقته إلى هذه البلاد مثل تحسره على فراقي" ³.

مثال 2: "لأن المحبوب وجد عن عدم فهو بكر، وقد كنت أحببت قبل ذلك فأنا ثيب" ⁴

مثال 3: "وأوصاني شيعي رحمه الله أول ما دخلت عليه 'قبل أن رأى وجهه فقال لي وقد قلت له أوصني قبل أن تراني فاحفظ عنك وصيتك... ودخلت عليه بعد ذلك فرأى خلعتها علي فقال: هكذا وإلا فلا لا" ⁵.

مثال 4: "قل لأبي يزيد إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة؟ فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل القافلة، فقال ذو النون: هنيئاً له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا" ⁶.

¹ أرمينكو، فرانسواز، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986، ص 45.

² ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 83، 84 .

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 7، ص 211.

⁴ المصدر نفسه، ج 3، ص 499.

⁵ المصدر نفسه، ج 8، ص 354.

⁶ المصدر نفسه، ج 8، ص 358.

مثال 5: "يا ساكن القبر غدا ما الذي غرك الدنيا هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك" ¹.

مثال 6: "المجتهد فقد يحكم اليوم في نازلة شرعية بحكم فإذا كان في غد لاح له أمر آخر أبان له خطأ ما حكم به بالأمس في النازلة فرجع عنه وحكم اليوم بما ظهر له ويمضي الشارع حكمه في الأول والآخر" ².

انطلاقاً من المثال 1، السامع يدرك لحظة تلفظ الأداة الإشارية "ليلاً" من خلال زمن الفعل الماضي الناقص "كان يكاثرني ليلاً ونهاراً". وفي ضوء هذا السياق يعرف أن المكاترة حدثت في الزمن الماضي لتشمل الليل والنهار معا، والأمر نفسه بالنسبة لـ "حين" فهي تشير إلى حدوث المفارقة في الماضي. وفي المثال 2 يؤول الحب في سياق الخطاب الصوفي بإيجاد العالم، لأن لحظة التلفظ بالخطاب غير معروفة، فإن الأداة الزمانية قبل مبهمة لا تحدد زمن بداية الوجود القديم (الله)، وبالتالي فالمخاطب يدرك أنها تشير إلى أنه موجود منذ الأزل ليس له بداية، مع الإشارة إلى أن العالم لم يخلق من العدم، وإنما كان موجوداً سابقاً في علم الله "فالعالم هو المعدوم الذي تعلق به الحب... (وهذا لا) يعني أن العالم قبل وجوده في الأعيان كان معدوماً في علم الله... لأنه يتنافى مع علمه الأزلي... يعلم ما سيكون قبل أن يكون... ذلك أن موجودات العالم كانت أعياناً ثابتة في العلم الإلهي" ³

وفي المثال 3 إذا كان المخاطب لا يدري لحظة التلفظ بالخطاب، فإنه لا يعرف

الزمن الذي تشير إليه الأداة الزمانية قبل، أي أنه لا يعرف إن كان طلب الوصية من طرف المرید حاصل قبل رؤية الشيخ بيوم أو أسبوع. وفي ضوء ذلك يفهم أن قبل وبعد يشيران إلى المدة الزمنية التي يقضيها المرید "في صحبة الشيخ... إذ صار كالولد الصغير مع الوالد، يرقيه الشيخ بعلمه المستمد من الله تعالى" ⁴. وتشير الأداة الزمانية "قبل" في المثال 4 إلى زمن نهاية الليل وبداية النهار باعتبار أن المضارع "يصبح" يصرف "قبل" إلى هذا الزمن.

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 365.

² المصدر نفسه، ج 4، ص 430.

³ محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص 235.

⁴ عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 79.

وإذا جئنا إلى المثال 5 السامع يدرك أن العنصر الإشاري غدا مبهم لا يشير إلى يوم بعينه وإنما يمتد إلى سنوات عدة غير محددة لأنه لا يعرف لحظة التلفظ . والأمر نفسه لكلمة "اليوم" فهي لا تتحدد بيوم واحد، وإنما تشمل العصر الذي عاش فيه المتكلم، ولا تحدد كلمة "غد" بنهار واحد إذ تمتد لتحيل إلى المستقبل كما تحيل "الأمس" إلى الماضي.

4- الإشارات المكانية:

إذا كانت الإشارات الزمانية تعرف من خلال لحظة تلفظها فإن الإشارات المكانية أيضا تستلزم معرفة تلفظ المتكلم واتجاهه من أجل تحديد المواقع. وتحاشيا للبس يعمد المرسل إلى افتراض موقع المرجع وموقع المرسل إليه¹، فلو قال شخص أحب أن أعمل هنا، فلا يدري من يسمعه إن كان يعني العمل في هذا المكتب أو المؤسسة أو المبنى أو المدينة أو في هذه الدولة. فتفسير التعبير الإشاري الذي يقصده المتكلم يكون بمعرفة مكان تواجده² عند التلفظ بكلمة هنا.

والأمثلة التالية -من المدونة- توضح أهمية دراسة الإشارات* المكانية.

مثال1: " أخرج العالم قبضتين ،وأوجد لهم منزلتين ، فقال هؤلاء للجنة ولا أبالي ،و هولم يعترض عليه معترض هناك ،إذ لا موجود كان ثم سواه ، فالكل تحت تصريح أسماخ ، فقبضة تحت أسماء بلائه ، وقبضة تحت أسماء آلائه ولو أراد سبحانه أن يكون العالم كله سعيدا لكان ، أو شقيا لما كان ... فمنهم الشقي والسعيد هنا وفي يوم الميعاد"³ .

مثال2:"روي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه جيء إليه قبل الخلافة بحلة بثلاثة ألف درهم فاستحسنها، ثم جيء إليه في خلافته بثوب ليشتريه فيلبسه بثلاثة دراهم فقال: عسى خشن من هذا فإن هذا رقيق فانظر يا أخي أين هذا من ذلك رضي الله عنه. مثل هذا يلي أمور عباد الله"⁴ .

¹ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، ص 85.

² ينظر : محمود أحمد نحلة ، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، دار المعرفة الجامعية ، 2002 ، ص 22 .

* بعض الإشارات مثل: هنا تشير إلى القرب وهناك: للبعد، هذا: للقرب، ذلك: للبعد، وكل كتب النحو واللغة تذكر ذلك.

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 64 .

⁴ المصدر نفسه، ج 8، ص 377.

مثال 3: "فاحفظ نفسك يا أخي من دعوى تسلب عنك الإيمان... وإذا عزمت على أن تحامي عنها فحام عنها بحضور وعلم على أنها نفس الحق لا نفسك، ومن هناك يجازيك ربك فإنك صادق ومؤثر... فإذا علمت هذا فاعلم أن للإنسان وجهين: وجه إلى ذاته ووجه إلى ربه، ومع أي وجه توجهت إليه غبت عن الآخر، غير أن هنا لطيفة * أنبهك عليها وذلك أنك..."¹.

مثال 4: "ولما دخلت هذا المنزل عندما رفعت إلى أعلامه فاستدللت عليه بأعلامه حتى وصلت إليه بعدما قاسيت مشقة... فكنت أمشي فيه بحس الرجل والنتبث مخافة الوقوع في مهلك من مهالكه، فإذا وقعت قدمي بفراغ علمت أن هنالك مهلكا. فسرت أتتبع بقدمي يميناً وشمالاً حتى أجد لقدمي موضعاً يستقر فيه وأنا معتمد على القدم الأخرى، ومازلت كذلك انتقل في هذه الظلمة من مكان إلى مكان" ².*.

مثال 5: "فأوقفني الحق بكشف بصري على خلقه المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مخلوق إذ لم يكن إلا الله وقال لي: هل هنا أمر يورث التلبيس والحيرة؟ قلت: لا، قال لي: هكذا جميع ما تراه من المحدثات ما لأحد فيه أثر ولا شيء من الخلق فأنا الذي أخلق الأشياء"³

مثال 6: "فهذا واحد أحب واحداً، وذلك الواحد المحبوب موجود في كثيرين فأحب الكثير لأجل ذلك، وهذا كحنا الله تعالى له"⁴.

مثال 7: "إذ كان ذلك الموجود ما هو عين المحبوب وإنما هو محل لوجود ذلك المحبوب وليس في قوة المحب إيجاد ذلك المحبوب في هذا الوجود إلا إن أمكنه من نفسه"⁵.

يدرك المخاطب أن ظرف المكان هناك يشير إلى مكان بعيد، يبين سياق استعماله أنه للإحالة إلى فضاء الغيب، وأن العنصر هنا يشير إلى مكان قريب هو الدنيا بناء على

* لطيفة: إشارة إلى القلب عن دقائق الحال، وقيل إشارة تلوح في الفهم ولا تسعها العبارة لدقة معناها. ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الوفي، ص 212.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 6، ص 255.

² المصدر نفسه، ج 6، ص 93.

* مكان: المكان لأهل الكمال، إذا أكمل العبد في معاينة تمكن له المكان، لأنه قد عبر المقامات والأحوال، فيكون صاحب مكان. والمكانة المنزلة التي يبلغها العارف المتحقق والولي المتمكن. ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 238.

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 3، ص 307.

⁴ المصدر نفسه، ج 3، ص 494.

⁵ المصدر نفسه، ج 3، ص 499.

معرفة لمكان تواجد المتكلم عندما يشير بالعنصر هنا إلى سعادة الإنسان وشقاؤه ويقابلها بنفس السعادة والشقاء في يوم الميعاد (الآخرة) .

وفي المثال 2 المخاطب يدرك أن المتكلم متواجد أمام أخيه افتراضاً أو حقيقة ،

وبالتالي فإن سياق استعمال أين مع اسم الإشارة هذا للإشارة إلى حاضره أو واقعه المعاش القريب منه بوصفه فضاء بعيداً عن مكان الزهد المعروف عند عمر بن عبد العزيز . علماً أن النداء بصيغة (يا أخي) تدل على تضامن المتكلم مع المخاطب . وهذا ما يجسد الحميمية والمساواة والتأدب في الكلام لغرض إقناع المخاطب .

ومن خلال السياق يعرف المخاطب في المثال 3 أن الأداة (هناك) تحيل إلى مكان

بعيد هو الجنة وبالمقابل يشير العنصر (هنا) الدال على القرب إلى مكان تواجد اللطيفة وهو القلب المتصف بالأحوال الصوفية المدرك للأشياء على حقيقتها. وإذا كان مكان التلطف في المثال 4 هو سلوك الطريق الصوفي عبر المقامات والأحوال، فإن العنصر "هناك" يشير إلى الابتعاد عن جادة الطريق الصوفي: كما أن "يميناً" و "شمالاً" يشيران إلى أن المتكلم لا يزال في بداية الطريق ولم يصل إلى فضاء الحضرة الإلهية .

بالنسبة للمثال 5 يبين السياق أن ابن عربي في هذه الوقفة. -الوقفة حوار بينه وبين

الحق/ الله- يسند الكلام إلى الحق قبل إيجاد المحدثات/ الموجودات. ومن ثم يكون

العنصر "هنا" إشارة إلى الوجود العدم القديم المعلوم عنده في مقابل الوجود المحدث المتجلي بالموجودات والمشار إليه بكلمة "هكذا" الدالة على قربته ورؤيته أمام السامع.

وإذا جئنا إلى المثال 6، فإن "هذا" الدالة على القرب تشير إلى الله الذي أوجد نفسه

. ويشير الاسم "ذلك" الدال على البعد إلى الله. وفي الوقت نفسه يشير هذا الإنسان إلى ذلك

المحبوب/ الله فلا فرق بين هذا وذلك، أي أن الله هو المحب والمحبوب "وهكذا يندرج

حب الإنسان لله في نطاق وحدة الوجود، بما أن من أحب الله على الحقيقة ليس الإنسان،

وإنما هو الله"¹.

¹ محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص 254.

وفي المثال الأخير الحب هو الإيجاد والخلق وكلمة "ذلك" تشير إلى المحبوب البعيد الخفي الموجود في علم الله المتجلي في "هذا" المكان أو الوجود القريب المرئي أمامنا، وبتعبير آخر فإن ثنائية "ذلك-هذا" إشارة إلى الوجود القديم والوجود المحدث.

5-الإشارات الاجتماعية:

كلمات وتراكيب تشير إلى العلاقة الرسمية أو الألفة والمودة بين المتكلمين والمخاطبين. فكلمات من مثل Vous في الفرنسية للمفرد المخاطب تبجيلا له و (Sie) في الألمانية و(أنتم) للمفرد المخاطب و(نحن) للمفرد المعظم نفسه في العربية، وأيضا الألقاب مثل: فخامة الرئيس، جلالة الملك، فضيلة الشيخ، السيد، الأنسة، حضرتك، سعادتك، معالي الباشا، تشير إلى العلاقة الرسمية.¹

ولأن الضمائر مدروسة سابقا فإن البحث سيكتفي بدراسة بعضا من الألقاب الشائعة في المدونة والمستعملة لأغراض تداولية من خلال الأمثلة التالية .

مثال1: "وهم الجنيد بالنزول قلنا له: إن هذا الراهب نادانا... فناديناه فنزل إلينا وسلم علينا فقال: أيما منكم الأستاذ؟ فقال الجنيد: هؤلاء كلهم أستاذون، فقال: لا بد أن يكون واحد هو أكبركم، فأشاروا إلى الجنيد..."².

مثال2: "وصية: ونصيحة كتبت بها إلى السلطان الغالب بأمر الله كيكأوس صاحب بلاد الروم... وأنت يا هذا بلا شك من أئمة المسلمين..."³.

مثال3: "بلغني أن عمر بن عبد العزيز شيع جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها فقال: نعم ناداني القبر من خلفي يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت بالأحبة"⁴.

مثال4: "قال سيدنا أبو السعود بن الشبل عاقل زمانه وقد سأله بعض من لا يكتمه من حاله شيئا: هل اعطاك الله التصرف وهو أصل الكرامات؟ فقال: نعم منذ خمس عشرة سنة..."

¹ ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 2002، ص 25.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 382.

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 379.

⁴ المصدر نفسه، ج 8، ص 364.

يريد رضي الله عنه أنه امتثل أمر الله في اتخاذ عز وجل وكيلا فقال له السائل: ما ثم؟ فقال: الصلوات الخمس وانتظار الموت الرجل مثل ساعي الطير فم مشغول وقدم تسعى هكذا هو الرجل وإلا فلا يدعي أنه رجل"¹.

مثال5: "ما نجى منه في علمنا إلا أبو السعود بن الشبل سيد وقته"².

مثال6: "وصية بمكاتبة: اعتل رجل من إخوان ذي النون فكتب إليه أن يدعو له فكتب إليه ذو النون: سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم، واعلم يا أخي أن العلة مجزاة يأنس بها أهل الصفاء والهمم... فليكن معك يا أخي حياء يمنعك عن الشكوى والسلام"³.

مثال7: "فمنهم رضي الله عنهم الملامية... وهم سادات أهل الطريق وأئمتهم وسيد العالم فيهم ومنهم وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁴.

مثال8: "قد وقف الصفي الولي أبقاه الله على سبب بدء العالم في كتابنا المسمى بعنقاء مغرب، ... وأن نعرف أيضا في هذا الموضوع الصفي الكريم أبا محمد عبد العزيز رضي الله عنه ما تعطيه مكة من البركات"⁵.

مثال9: "اعلم أيديك الله أيها الولي الحميم، والصفي الكريم"⁶.

مثال10: "وأن الإنسان الكامل يخالف الإنسان الحيوان في الحكم، فإن الإنسان الحيوان يرزق رزق الحيوان فإن الكامل له رزق إلهي لا يناله الإنسان الحيوان، وهو ما يتغذى من علوم الفكر الذي لا يكون للإنسان الحيوان"⁷.

أطلق في المثال 1 أصحاب الجنيد اسم الراهب على الشخص الذي ناداهم، وهو أيضا سأل عن الأستاذ. وهذان اللقبان يشيران إلى المساواة بين طرفي الخطاب أو تقاربهما. وفي السياق نفسه رغم أن الجنيد أعلى رتبة من أصحابه إلا أنه سماهم سادات وأستاذون

¹ المصدر السابق، ج 3، ص 555.

*الاستعمال غير الرسمي مثل: صباح الخير، صباح الفل، حبل، حامل، زوجته، عقيلته، ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 2002، ص 26.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 3، ص 195.

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 200.

⁴ المصدر نفسه، ج 3، ص 26.

⁵ المصدر نفسه، ج 1، ص 153.

⁶ المصدر نفسه، ج 5، ص 95.

⁷ المصدر نفسه، ج 6، ص 94، 95.

تضامنا معهم بالنزول إلى رتبته، وتادبا يجسد العلاقة الحميمة بينهما . وفي المثال 2 أطلق المرسل لقب السلطان والإمام تعظيما وتبجيلا لمكانته. وأصحاب عمر إذ يطلقون عليه لقب "أمير المؤمنين" تبجيلا لرتبته القيادية فإنه تنازل عن هذه الرتبة وجرده نفسه من اللقب السابق بالقول (نعم ناداني القبر يا عمر بن عبد العزيز) رغبة منه في التضامن وإزالة الفروق بينه وبين أصحابه.

وفي المثال 4 فإن اختيار لقب "سيدنا" وإطلاقه على أبي السعود احتراما وتعظيما لشأنه، وضمير الشأن "هو" يؤكد أن أبا السعود المشار إليه بـ "هكذا" -للدلالة على قرب المرسل منه- صاحب شأن كبير لا ينافسه أحد في علو رتبته: إنه سيد زمانه كما جاء في المثال 5.

ويطلق المرسل اسم "يا أخي" في المثال 6 تضامنا مع المرسل إليه برفعه إلى رتبة الإخوة، مع العلم أن المنادى "يا أخي" تكرر عدة مرات، وأشار البحث إلى ذلك أكثر من مرة*، وهو نداء موجه إلى مرسل إليه عام غير معروف، أو إلى مرسل افتراضي لغرض تداولي؛ لأن المساواة وإزالة الفروق من شأنها التأثير في المرسل إليه وحمله على الإذعان.

وفي الأمثلة 7- 8- 9- 10 يطلق ابن عربي اسم "الملامي" ** و "سادات" على الذين سلكوا الطريق الصوفي احتراما وإعلاء لشأنهم وظل يردد اسم "الولي الحميم" و "الصفي الكريم" احتراما لأبي محمد عبد العزيز وسمى الإنسان كاملا احتراما لسموه ورقبه العلمي والمعرفي في مقابل الإنسان الحيوان.

ويرفع المنتسبين إلى الطريقة الصوفية إلى أعلى درجة، ويطلق عليهم ألقابا صوفية مثل "القطب" "الوتد" *** "فالأقطاب الذين كانوا قبل بعثته هم الرسل وهم ثلاثمائة وثلاثة

* ينظر: ص 104 من هذا الفصل .

** الملامية هم سادات أهل طريق الله وأمتهم ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومنهم والمصطلح يشمل فقراء الصوفية ، وأهل الفرائض والزهاد ، والقراء أهل القرآن . ينظر: الفتوحات المكية ، ج3 ، ص 26 وما بعدها .
*** القطب: صاحب أعلى الدرجات في الطريقة ولا يبلغها أساتذة الطريقة إلا بعد جهد جهيد. وقيل القطب هو رجل واحد هو موضع نظر الله تعالى من العالم في زمانه ويسمى الغوث لالتجاء الملهوف إليه ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 202. أما الوتد: الأوتاد هم الرجال الأربعة، بهم يحفظ الله جهات الأربع من العالم: المشرق والمغرب والجنوب والشمال، ص 256.

عشر رسولا. وأما الأقطاب من أمته الذين كانوا بعد بعثته إلى يوم القيامة فهم اثنا عشر¹ قطبا والختمان* خارجان عن هؤلاء الأقطاب"¹. إذ يرفعهم إلى أعلى درجة في الأستاذية رغبة في إقامة علاقة حميمية ، وتادبا وتضامنا معهم .

3-قوانين الخطاب: les lois du discours

أو قواعد التخاطب هي مسلمات التحوار التي يفترض أن يقف عندها كل متكلم أثناء حديثه مع غيره ، أي أن قدرته التواصلية تتحكم فيها مجموعة من المعايير والقواعد ضمن مفهوم أشمل هو الكفاءة التداولي (la competence pragmatique) ويعد بول غرايس** (p.grice) أول من بحث في هذه القوانين²

انطلق غرايس من مبدأ التعاون (principe de cooperation) الذي يمكن المرسل من التعبير عن مقاصده ، ويضمن قدرة المرسل إليه على فهمها وتأويلها³ وهو مبدأ مفاده : اجعل مشاركتك في المحادثة منها أن تكون ، في مرحلة ورودها ، وفقا للغرض المقبول أو اتجاه الحديث الذي تخوضه⁴ ويتفرع عنها أربعة مبادئ ثانوية

أ-الكم QUANTITY

- 1 اجعل مساهمتك إخبارية بقدر ما يتطلب الأمر.
- 2 لا تجعل مساهمتك إخبارية بقدر يفوق المطلوب.

ب-النوع Quality

- حاول أن تجعل مساهمتك من النوع الذي يوسم بالصحة.
- 1 لا تقل ما تعتقده كذبا.

* هو العبد الذي قطع المقامات ووصل إلى نهاية الكمال.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 7، ص 111.

** فيلسوف أمريكي تمكن من صياغة هذا المبدأ حينما كان يحاضر في جامعة هارفارد الأمريكية منذ سنة 1967 . ينظر : العياشي أدراوي الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص98.

² ينظر: محمد طلحة تداولية الخطاب السردية دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد ، الأردن ، ط1 ، 2012 ، ص120.

³ ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، ص 96 .

⁴ ينظر: جورج بول ، التداولية ، تر قصي العنابي، ص 68. وأيضا ك . أوريكيوني وآخرون ، في التداولية المعاصرة ، تر محمد نظيف ، إفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2014 ، ص ص 132 ، 133.

2 لا تقل شيئاً يعوزه عندك دليل كاف.

ج-العلاقة Relation :

كن وثيق الصلة (بالموضوع).

د-الحال Manner : كن واضحا.

1 تجنب استبهام التعبير.

2 تجنب الغموض.

3 كن موجزا (تجنب الإطناب غير الضروري).

4 كن منتظما¹.

وقد أعاد أوزفالد ديكرت توضيحها من خلال تسميتها بالقوانين الأربعة التالية:

1-3 قانون الإخبارية (الكم):

يقول ديكرت O.Ducrot: "إن قانون الإخبارية هو الشرط الذي يخضع له الكلام،

والذي هدفه إخبار السامع، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا كان هذا الأخير يجهل ما يشار إليه"²، بمعنى أن المتكلم عليه أن يقول ما لا يعرفه المخاطب حتى لا يكون أمام أجوبة من مثل: "أعرف ذلك" و"لم تعلمني بشيء جديد".

إذا قانون الإخبارية يمنع ترديد ما قيل، باعتباره حشوا... إلا إذا اضطر المتكلم

إلى إعادة الخبر لغرض ربط ذهن المخاطب الشارد، أو بسبب الإطالة في الكلام، أو

رغب في توضيح ما كان غامضا³ بالنسبة للمخاطب، علما أنه يمكن تطبيق هذا القانون

على الأفعال الكلامية التالية: التقرير وهو الغالب، والاستفهام بشرط أن تكون الإجابة بينة والأمر والنصيحة شريطة أن يتحقق فعليهما بعد التلفظ بهما مباشرة⁴. وعلى غير الكلام

يظهر في بعض السلوكيات، كما هو الشأن بالنسبة للسائق الذي يشعل الغمازة

¹ ينظر المرجعان نفسيهما ، ص 68 وأيضا ص ص 132، 133 .

²O.Ducrot. dire et ne pas dire ; P 133 نقلا عن:

عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 109.

³ ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 109.

⁴ نقلا عن: C. Korecchion ; L'implicite ; Armand colin ; paris ; P 20.

عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 109.

مخبرا عن تغيير وجهة السيارة¹.

3-2 قانون الصدق (النوع):

قاعدته العامة أن يظهر ضمنيا الحقيقة أو على الأقل نعلن ما نعتقده صادقا ، وأن نكون قادرين على ضمان هذا الصدق، بحيث نظهر أننا نتحدث بمعرفة (تحدث عما تعرفه) (حينما لا نعرف شيئا يحسن بنا أن نصمت)². فعلى سبيل المثال يستحيل على نحلة أن تعين برقصتها لنحلة أخرى موقع زهرة غير موجودة وعلى هذا الأساس " أن تكون مشاركتكم صادقة " تصدق على الإثباتات asserations والاستفهام حيث يكون من يطرح السؤال صادقا في معرفة الإجابة ، والوعد (العهود) من خلال رغبة المتكلم في الوفاء بوعده ، والالتماس (الأمر والطلب) إذ يكون المتكلم صادقا في استجابة السامع لأوامره ، أو الامتثال لطلبه كما في المثال التالي : "إذا تركتموني أرى الفيلم ،يمكنكم خلع أقمعتكم ،وأعدكم أن أقول أنكم وضعتموها كل الوقت ،ولن أقول أبدا للشرطة ولا أنني رأيت أوجهكم ولا عندي أي فكرة عن رؤوسكم ،أحلف بهذا بقسم رسمي "³ علما أن المتكلم قد لا يلتزم بقانون الصدق، إذ يقوم بخرقه في الحالات التالية²:

العواطف: يتلفظ المتكلم بعبارات الشكر كالتحية والتهنئة وهو لا يشعر بذلك، أو التعزية وهو لا يكن أي شعور اتجاه المصاب.

الأفكار: مثل إساءة النصيحة للإنسان، إذ يقتنع المتكلم أنها ليست في محلها، لأنها تضره، وأيضا القاضي عندما يصرح بالبراءة وهو يعلم أن المدعي عليه ارتكب الجريمة.

القصد: مثل أن يعد المتكلم شخصا بالمساعدة، وهو لا يرغب في ذلك، أو عندما يعلن حربا وهو لا يرغب في القتال. فالأفعال هنا تحققت وعنصر الصدق غير موجود.

¹ ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 109.

² ينظر: ك . أوريكيوني وآخرون ، في التداولية المعاصرة ،تر، محمد نظيف ،ص ص 148 ، 149 .

³ ينظر: المرجع نفسه ، ص، 144 .

² ينظر: عمر بلخير ،تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية ،ص 108.

3-3 قانون الإفادة (العلاقة):

يكون القول مفيدا إذا استخلصنا بعض النتائج العملية المباشرة مثل : "هناك ضباب هذا الصباح كلام إخباري ، ملاءمته (إفادته) تتمثل في انعكاساته على قيادة المخاطب ، وينتج عن هذه الملائمة ملائمة حاجية pertinence argumentative حيث إن كل قول يمكن أن يكون استدلالا يغير المعارف والقناعات لدى المخاطب كان القول إخباريا أم غير إخباري ففي المثال : مطعم ، لحظة دفع الحساب . المتكلم الأول قطب وجهه قائلا : " لي ثلاثة أطفال " قول غير إخباري لأن الناس يعرفون انه متكفل بأطفال ومع ذلك ملائم حاجيا. والمتكلم الثاني هو الآخر قال: "لكن أنا لي ثلاثة عشاق " وهو رد مازح إخباري غير مفيد (غير ملائم) ¹ ولذلك فإن " إخبار قول وملاءمته لا يتطابقان بالنظر إلى أن قولا غير إخباري يمكن أن يكون ملائما حاجيا وأن قولا إخباريا يمكن أن يعتبر غير ملائم إذا كان مجردا من أية فائدة بالنسبة للمخاطب ، وأن قاعدة الملائمة مهيمنة في علاقاتها مع قاعدة الإخبار : إن الشرعية الخطابية لأي متوالية تقاس بملاءمتها وليس بدرجة إخباريتها" ² ويجب الإشارة في هذا السياق ان قانون الإفادة يمكن خرقه ممن يملك حق السلطة إذ يمكن للأستاذ أو الواعظ أو الكاتب أن يتكلم فيما لا يفيد المخاطب لأنه يفترض فيهم أنهم يقولون ما هو جيد ³.

3-4 قانون الشمول:

يقول ديكرود عن الشمول: "إن المتكلم يجب أن يعطي المعلومات اللازمة التي بحوزته عن موضوع الخطاب، والتي من شأنها أن تنفع المخاطب" ⁴ ويلح غرايس على مساهمة المتكلم بأكبر عدد ممكن من المعلومات فيكون كلامه شاملا. شريطة أن يقتصر على الأهم بإعطاء المعلومات التي يفرضها المقام أو سياق الخطاب ، فالكلام عن سيارة

¹ ك.أوريكيوني، في التداولية المعاصرة والتواصل، ص ص 140 139

² المرجع نفسه ، ص 141

³ :O. Ducrot ; dire et ne pas dire ; P 09.

محمد طلحة، تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي ، ص 122 .

نقلا عن: عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 110.. IBID ; P 204. :o ⁴

محطمة في حادث لصاحب شركة تأمين أمر مشروع ولا طائل من ورائه إذا ذكر لصديق ما¹.

يرتبط الشمول بالإخبارية، وهما يخضعان لقانون الإفادة، والقوانين الثلاثة تعمل وفق القاعدة التالية: " يجب إعطاء الخبر بأقصى ما يحتويه من معلومات ولكن في حدود الإفادة، مع تجنب إعطاء كل شيء، لأنه قد يؤدي إلى إحداث أضرار لا حاجة للمتخاطبين بها، وبذا نتجنب السقوط في متاهات الحشو الذي يضر بالإفادة"² تتفرع هذه القوانين من مبدأ عام هو التعاون القائم على احترام المتكلم لهذه القواعد، وكل خروج عنها يؤدي إلى اختلال العملية الحوارية. وفي هذه الحالة ينقل المحاور كلام مخاطبه من معناه الظاهر إلى معناه الخفي أو الاستلزام الحوارية الذي يقتضيه المقام³، وبمعنى آخر تحصل ظاهرة الاستلزام الحوارية Conversational implicature إذا تم خرق إحدى القواعد الأربعة السابقة⁴. مع عدم التخلي عن مبدأ التعاون⁵.

ولتوضيح الاستلزام الحوارية "تأمل السيناريو الآتي: هنالك امرأة جالسة على مقعد في حديقة عامة وأمامها كلب ضخم مستلق على الأرض. جاء رجل وجلس على المقعد إلى جانب المرأة.
الرجل: أيعض كلبك؟
المرأة: كلا.

(حاول الرجل مداعبة الكلب، عض الكلب يد الرجل)

الرجل: آخ! أنت! قلت إن كلبك لا يعض

المرأة: هذا صحيح، ولكن هذا ليس كلبك⁶.

¹ ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 111. نقلا عن: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية . p220 ;linplicité C k orecchioni² التداولية، ص 111 .

³ ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص 100.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 102، وأيضا: مسعود صحراوي التداولية عند العلماء العرب، ص 34.

⁵ ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص 102.

⁶ جورج يول، التداولية، تر، قصي العتابي، ص 66.

إجابة المرأة في هذه القصة المضحكة أخلت بقانون الإخبارية نظرا إلى أنها لم تقدم المعلومات اللازمة التي يجهلها السائل رغم تعاونها معه "من منظور الرجل، يشتمل جواب المرأة على معلومات أقل مما يتوقع، أي -بتعبير آخر- كان ينتظر من المرأة أن تدلي بالمعلومات الواردة في السطر الأخير من المحادثة حالما سألها، وبالطبع لو ذكرت هذه المعلومة مبكرا، لما أصبحت القصة مضحكة"¹

وإذا سئل معلم عن رأيه في أحد الطلاب الذين يدرسه في الفرنسية، وكانت إجابته: لا يتهاون في الدروس وهو يتقن العربية جيدا، فقد أخل بقاعدة الإخبارية (الكم)، ولم يقدم المعلومات اللازمة خوفا من الإحراج². والشخص الذي يعلم أن أحد زملائه أفشى بعض أسراره إلى أعدائه، ثم يعلن أمام جمع على علم بذلك قائلاً: فلان من الأصدقاء الذين يمكن الوثوق بهم (هو شخص خرق قانون الصدق) فالكذب ظاهر لا شك فيه. وإذا فرض السامع أن المتكلم لم يرفض التعاون في الحديث، فلا بد أنه أراد أن يوصل أمرا مقصودا في هذا السياق هو نقيض ما صرح به المتكلم، أي أنه أراد التهمك بالشخص الذي أفشى الأسرار³. وبعبارة أخرى فالتهمك هو المعنى الخفي أو الاستلزام الحوارية الذي يقتضيه المقام.

يبين إجراء الدراسة على المدونة الحضور القوي لقوانين الخطاب باحترامها أو خرقها، لهدف تحقيق مقاصد تداولية حجاجية وأغراض تبينها الأمثلة التالية:

مثال 1: "نزل مشرك بإبراهيم الخليل فاستضافه فقال له إبراهيم عليه السلام: حتى تسلم، فقال يا إبراهيم لا أفعل وانصرف فأوحى الله إليه يا إبراهيم من أجل لقمة يترك دينه ودين آبائه إنه ليشارك بي منذ سبعين سنة وأنا أرزقه فخرج إبراهيم... فعرض عليه الرجوع فاستخبره عن ذلك فأخبره بعتب الله له في ذلك فأسلم المشرك"⁴

أخل إبراهيم بقانون الإخبارية لأنه لم يجب المشرك بالمعلومات اللازمة ، ولذلك فإنه يضطر إلى نقل كلام إبراهيم من المعنى الحرفي إلى الفعل (المعنى) غير المباشر

¹ المرجع السابق، ص 67.

² ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحوارية في التداول اللساني، ص ص 114، 115.

³ ينظر المرجع نفسه، ص ص 114، 115.

⁴ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 300.

المستلزم حواريا وهو رفض الضيافة ضمنيا بدليل أن المشرك هم بالانصراف . ومع ذلك فإن إجابته بعتاب الله عن هذا الرفض احترام للقانون الإخباري لأن المعلومة جديدة لا يعرفها المشرك والدليل على ذلك أنه طلب إخباره عن سبب تراجعته (فاستخبره) أي المشرك . وأيضا لقانون الإفادة لأن القول (فاخبره بعتب الله في ذلك فأسلم) مفيد إفادة حاجية بحيث أفنع المشرك بتغيير عقيدته والدخول في الإسلام .

مثال 2: "ولقد مر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بإمرأة وهي تصرخ على ولد لها مات فأمرها أن تحتسبه عند الله وتصبر ولم تعرف أنه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقالت له: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي"¹.

لم تجب المرأة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بالقدر اللازم من الأخبار، وقولها: (إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي). خرق لقانون الإخباري، والاستلزام الحواري (المعنى الخفي) الناجم عن ذلك ضمنيا هو رفض التوقف عن البكاء، استنادا إلى حجة تبادلية* مفادها أن الذي أمرها بالصبر لو كان في مكانها لما توقف عن البكاء، ومعنى هذا أن وجود حجتين في قول واحد يعضد الطاقة التأثيرية لأي خطاب .

مثال 3: "ومن وصايا الصالحين: قال رجل لذي النون: والله إنني لا أحبك فقال له ذو النون: إن كنت عرفت الله فحسبك الله وإن كنت لم تعرفه فاطلب من يعرفه حتى يدلك على الله وتتعلم منه حفظ الحرمة لمولاك"².

يعرف الرجل أن ذا النون أخل بالإخباري، إذ لم يجبه بالمعلومات اللازمة صراحة خوفا من الإحراج مع احترامه مبدأ الحوار . ولذلك فإنه يضطر إلى البحث عن فعل لغوي غير مباشر يستلزمه الحوار وهو نهى وتوبيخ من يعادي الناس لأن معاداتهم معادة لله في ضوء علاقة التعدي بوصفها حجة شبه منطقية .

مثال 4: "دخل محمد بن واسع على بلال بن أبي بردة... فقال بلال... ما تقول في القدر؟ قال جيرانك أهل القبور ففكر فيهم فإن فيهم شغلا عن القدر"³.

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 304.

* هذا المثال مدروس سابقا في الفصل الأول ضمن الحجة التبادلية.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج8، ص 326 .

³ المصدر نفسه، ج8، ص 357

المجيب هنا أخل بالعملية الحوارية لأنه لم يخبر السائل بالمعلومات التي طلبها ولذلك فإن الفعل غير المباشر المستلزم حواريا الذي يدركه السامع ضمنيا هو تخويله بالموت .

مثال 5: "حكاية: حرمة في سلب نعمة: مر زياد بن أمية بالحيرة فنظر إلى دير فقال لخدمته: لمن هذا؟ قال: دير حرقة بنت النعمان بن المنذر، فقال: ميلوا بنا إليه نسمع كلامها، فجاءت فوقفت خلف الباب فكلمها الخادم فقال لها: كلمي الأمير، قالت: أوجز أم أطيل؟ قال: بل أوجزي، قالت: كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعز منا فما غربت تلك الشمس حتى رحمتنا عدونا. قال: فأمر لها بأوساق من شعير، فقالت: أطعمتك يد شبعاء جاءت ولا أطعمتك يد جوعاء شبعاء، فسر زياد بكلامها، فقال لشاعر معه: قيد هذا الكلام... ونظمتنا نحن في هذا المعنى من (الطويل):

سل الخير أهل الخير إن كنت سائلا ولا تسأل المعروف من محدث المال¹

يتجلى قانون الصدق في هذا الخطاب من خلال رغبة زياد بن أمية في معرفة حقيقة دير حرقة بنت النعمان (لمن هذا) (ميلوا بنا إليه نسمع كلامها) . وإجابة حرقة بنت النعمان أنها من بيت عز رحم حتى أعداءه فكيف بأصدقائه - وهي أعلى حجة وأقواها في ترتيب سلم الحجج لإثبات النتيجة : الكرم - خرق للعملية الحوارية لأن زياد يدرك ضمنيا فعلا (معنى) غير مباشر يستلزمه الحوار وهو افتخار المرأة بكرم أهلها وغناهم في الماضي وهي الآن تطلب المساعدة بسبب الحاجة والفقر . كما يدرك فعلا ثانيا هو أن المرأة تأمر وتدعو إلى طلب الخير من أهله (ممن تأصل فيهم منذ القديم) وأنها تمدح زيادا بتحليه بهذه الصفة وبالمقابل .تنتهى عن طلب المساعدة من بخيل شحيح في الماضي ولو كان غنيا في الحاضر . وما جاء في البيتين من نهى وأمر كان يمكن أن يظهر مباشرة في تعليق المرأة أو هو تأكيد لتعليقها. علما أن المرأة بالأفعال غير المباشرة هذه خرقت العملية الحوارية لأنه كان يفترض أن تشكر من أعطاهم أوساق الشعير في حالة التزامها بقانون الصدق .

¹المصدر السابق، ج 8، ص 384.

مثال: 6 "وصية من زاهد تحوي على فوائد: روينا عن الشبلي أنه قال في وصيته: إن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا، وإذا أردت أن تنظر إلى نفسك فخذ كفا من تراب فإنك منها خلقت وفيها تعود، ومتى أردت أن تنظر ما أنت فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء... وقال بعضهم: من كانت همته ما يدخله في جوفه فقيمه ما يخرج منه" ¹

الدنيا ليست مزبلة كما وصفها الشبلي الذي يكون قد اخترق قانون الصدق أو أن قوله ملائم ومفيد حجاجيا بهذا الوصف الكاذب . وعلى ضوء ذلك يدرك السامع أن الفعل غير المباشر الذي يريد الشبلي إيصاله ضمنيا هو كراهية الدنيا والدعوة إلى التخلي عنها . والاختراق نفسه حاصل في القولين التاليين :

1 من كانت همته ما يدخله في جوفه فقيمه ما يخرج منه.

2 ومتى ما أردت أن تنظر ما أنت فانظر إلى ما يخرج منك في دخولك الخلاء.

فالمعنى الحرفي في القول 1 أن قيمة الإنسان الأكل تتمثل فيما يخرج منه. وفي

القول 2 دعوته إلى رؤية البراز والبول الخارجين منه عند دخول الخلاء، والخرق هنا

يستلزم حواريا فعلا غير مباشر أراد المتكلم إيصاله ضمنيا إلى السامع وهو احتقار وتوبيخ الأكل و المتكبر المتعاليين على الناس والسخرية منهما .

مثال : 7 "وصية: دخل رجل على عبد الملك بن مروان ممن كان يوصف بالفضل والأدب

فقال له عبد الملك بن مروان تكلم قال: بما أتكلم وقد علمت أن كل كلام يتكلم به المتكلم

وبال عليه إلا ما كان لله، فبكى عبد الملك ثم قال: يرحمك الله لم يزل الناس يتواعضون

ويتواصون، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن للناس. في القيامة جولة لا ينجو من

غصيص مرارتها ومعاناة الردى فيها إلا من أرضى الله بسخط نفسه، قال فبكى عبد

المالك ثم قال: لا جرم والله لأجعلن هذه الكلمات مثالا نصب عيني ما عشت أبدا" ²

*المثال نفسه مدروس في الفصل 1 ص 33 والمتعلق بحجة التناقض.

¹ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 8، ص 377.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 359.

المعنى الحرفي في قول عبد المالك بن مروان: يرحمك الله لم يزل الناس

يتواضعون ويتواصون هو الدعاء بالرحمة للرجل، والمعنى غير المباشر المستلزم هو الدعاء بالرحمة و طلب النصيحة منه، وبهذا التعبير يكون قد أخل بقانون الحوار، إلا أنه في نهاية الخطاب يقسم بالله مؤكدا أنه يعمل بالنصيحة، ويرضي الله على حساب نفسه مدة حياته. أي أن كلام الرجل ذو إفادة حجاجية إذ استطاع أن يؤثر في الخليفة ويغيره بتبني ما يدعو إليه . وعليه فإذا كان اختراق قانون الحوار حاصل في البداية فإن الالتزام به وارد في النهاية .

إذا كانت الخطابات السابقة تقوم على الإخلال فإن خطابات أخرى يلتزم فيها

المتكلمون باحترام القوانين الأربعة السابقة وهي: الإخبارية- الصدق- الإفادة - الشمول. وحجاجيتها لا تقل شأنا عن تلك القوانين التي تم اختراقها ، لأن المتخاطبين يصرحون بالمعاني الحجاجية مباشرة . وذلك ما ستبينه الأمثلة التالية:

مثال 1: فتواجد الجنيد وتواجدنا... قلنا له إن هذا الراهب نادانا وأقسم علينا ولم نرد عليه، فقال الجنيد: ارجعوا بنا إليه لعل الهك يهديه إلى الإسلام فنا ديناه فنزل إلينا وسلم عل نيا فقال: أيما منكم الأستاذ؟ فقال الجنيد: هؤلاء كلهم سادات وأستاذون، فقال: لا بد أن يكون واحد هو أكبركم، فأشاروا إلى الجنيد فقال...: بأي نية تصيحون؟ فقال: بنية إجابة

العبودية الربوبية لما قال الله تعالى للأرواح (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ^ط قَالُوا بَلَىٰ^١) قال: فما هذا

الصوت؟ قال: نداء أزلني، فقال: بأي نية تقعدون؟ قال: بنية الخوف من الله تعالى، قال: صدقت. ثم قال الراهب للجنيد: مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله... وأسلم الراهب وحسن إسلامه، فقال له الجنيد: بم عرفت أني صادق؟ قال لأنني قرأت في الإنجيل المنزل على المسيح ابن مريم خواص أمة محمد صلى الله عليه وسلم يلبسون الخرقة* ويأكلون الكسرة ويرضون بالبلغة** ويقومون في صفاء أوقاتهم بالله يفرحون وإليه يشتاقون وفيه

¹سورة الأعراف، الآية 172.

*الخرقة: لباس يرتديه الصوفية (قطعة من ثوب ممزقة)
** البلغة: نوع من الأحذية يكثر في بلاد المغرب .

يتواجدون وإليه يرغبون ومنه يرهبون، وبقي الراهب معنا ثلاثة أيام على الإسلام ثم مات رحمه الله¹

باعتماد قانون الصدق، فإن الراهب الذي طرح الأسئلة إرادته صادقة في معرفة الإجابة من مصدرها (أيما منكم الأستاذ). وأيضا لأنه عندما يذكر خواص أمة محمد التي قرأها في الإنجيل إنما يثبت ما يدركه موجودا في واقعه المسيحي، مع العلم أن الصدق هنا يعضده قانون الإفادة الحجاجية بإعلان الراهب إسلامه وتغيير عقيدته من المسيحية إلى الإسلام .

مثال 2: "وأوصاني شيخي رحمه الله أول ما دخلت عليه قبل أن أرى وجهه فقال لي: وقد قلت له أوصي قبل أن تراني فأحفظ عنك وصيتك فلا تنتظر إلي حتى ترى خلعتك علي، فقال رضي الله عنه، هذه همة شريفة عالية يا ولدي سد الباب واقطع الأسباب* وجالس الوهاب يكلمك من غير حجاب، فعملت على هذه الوصية حتى رأيت بركتها، ودخلت عليه بعد ذلك فرأى خلعتها علي"².

إن عدم انقطاع التواصل بين الطرفين المتحاورين في هذا المثال كما في الأمثلة السابقة، يبين اعتراف كل طرف لنفسه وللآخر بالحق في التناوب على الكلام حرصا على مبدأ التعاون³ في المثال 2 التزم السائل بقانون الصدق من خلال إرادته في معرفة الوصية التي ينتسب بها إلى الطريق الصوفي، وأيضا رغبته في الالتزام بتنفيذ وإنجاز وعده (فأحفظ عنك وصيتك). ويبين تكرار الأوامر (سد - اقطع - جالس) أن صدق المجيب نابع من اعتقاده الصوفي في استجابة السائل المرید لأوامره المتمثلة في استحضار الله وقطع الأسباب - (عدم الانشغال بالدنيا) - التي تحول دون أن يكون مریدا عارفا واصلا إلى النهايات عبر المقامات والأحوال .

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 382.
*قطع العلائق : شغل العبد بأسبابه التي تعلق بها حتى قطعه بالله تعالى ويفوته بسببها المراد . ينظر عبد المنعم الحفني ، المعجم الصوفي ، ص 203 .

² ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج 8، ص 354.

³ ينظر: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 101.

مثال 3: "وصية: أوصى بها راهب عارفا من المسلمين: اجتاز بعض العارفين في سياحته براهب في صومعة على رأس جبل فوقف به فناداه: يا راهب فأخرج الراهب رأسه من صومعته وقال: من ذا؟ قال: رجل من أبناء جنسك الأدميين، قال: فما خير الزاد؟ قال التقوى، قال: فلم تبعدت عن الناس وتحصنت في هذه الصومعة؟ قال: مخافة على قلبي من فتنهم، وحذرا على عقلي الحيرة من سوء عشرتهم، وطلبت راحة نفسي من مقاساة مداراتهم وقبيح فعالهم، وجعلت معاملتي مع ربي فاسترحت منهم، قال: فخبرني يا أحد تباع المسيح كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم وصدق القول ودع عنك تزويق الكلام وزخرف القول؟ فسكت الراهب ساعة متفكرا ثم قال: شر معاملة تكون قال له العارف كيف؟ قال: لأنه أمرنا بالكد للأبدان وجهد النفوس وصيام النهار وقيام الليل وترك الشهوات... والرضى وخشونة العيش والصبر على الشدائد والبلوى، ومع هذه كلها جعل الأجر بالسيئة في الآخرة بعد الموت مع بعد الطريق وكثرة الشكوك والحيرة والخوف من اليأس فهذه حالتنا...معاملتنا مع ربنا فأخبرنا عنكم يا معشر تباع أحمد كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم؟ قال العارف: خير معاملة وأحسنها، قال الراهب: صف لي ما هي وكيف هي؟ قال العارف: ربنا أعطانا سلفا كثيرا قبل العمل ومواهب جزيلة لا تحصى فنون أنواعها من النعم والإحسان والأفضال قبل المعاملة،... قال له الراهب: فكيف خصصتم بهذه المعاملة دون غيركم والرب واحد؟ قال العارف: أما النعمة والأفضال والإحسان فعموم للجميع قد غمرتنا كلنا ولكن خصصنا بحسن الاعتقاد وصحة الرأي والإقرار بالحق والإيمان والتسليم له... وصدق المعاملة من محاسبة النفس وملازمة الطريق... قال الراهب: زدني في البيان فإنها وصية عجيبة ما سمعت بمثلا من أهل هذا الشأن، قال العارف أزيدك اسمع ما أقوله وافهم ما تسمع وأعقل ما تفهم: إن الله جل ثناؤه لما خلق الإنسان من طين ولم يك شيئا مذكورا ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين نطفة في قرار مكين ثم قلبه حال بعد حال تسعة أشهر إلى أن أخرجه من هناك خلقا سويا ببنية صحيحة وصورة تامة وقامة منتصبية وحواس سالمة..."¹

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص ص 328، 329.

مبدأ التعاون حاضر في هذا الخطاب، من خلال تناوب الراهب والعارف على الكلام، لضمان استمرار التواصل القائم على احترام قوانين الحوار. فإذا كانت إجابات الراهب معلومات جديدة صادقة بالنسبة للسائل (العارف) (فأخبرني يا أحد تباع المسيح كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم وأصدق القول) ، فإن إجابات العارف أيضا أخبار جديدة بالنسبة للراهب الذي صار سامعا متشوقا إلى معرفة الجديد المفيد حاجيا إلى حد التأثير (قال الراهب : زدني في البيان فإنها وصية عجيبة ما سمعت مثلها من أهل هذا الشأن). وهذه الأخبار لا قيمة لها إلا إذا استندت إلى قانون الصدق، فالعارف والراهب كلاهما صادقان في معرفة الإجابة؛ الأول (واصدق القول لي ودع عنك تزويق الكلام وزخرف القول) والثاني (زدني في البيان) والإجابة صادقة للثنتين؛ الراهب يخبر بما يعتقد صادقا نابعا من تصوفه المسيحي (ترك الشهوات- الصيام- قيام الليل- الصبر- خشونة العيش- اليأس- الخوف- غياب الأجر) . والعارف أيضا أخباره صادقة بناء على تصوفه الإسلامي، فالمعاملة مع الله خير وإحسان وعطاء ونعم كثيرة على عكس اعتقاد الراهب بأن المعاملة شر وكد...

ويجب الإشارة في هذا السياق أن ضمير المخاطب أنتم جاء تعظيما للعارف والراهب معا بحكم علو مرتبتهما الدينية وضمير الجماعة (نا) جاء بمعنى أنا والآخرون للعارف والراهب معا ، تعبيرا عن مقامهما الرفيع وسلطتهما العلمية الدينية على الآخرين من أتباعهم

مثال 4: "وصايا بما كلم الله عز وجل بها نبيه موسى عليه السلام وذكرى: يا موسى ادن مني واعرف قدرتي فإنني أنا الله، يا موسى أتدري لما كلمتك من بين خلقي واصطفيتك برسالتني وبكلامي دون بني إسرائيل؟ قال لا يا رب، قال: لأنني اطلعت على أسرار عبيدي فلم أر قلبا أصفى لمودتي من قلبك، قال موسى: لم خلقتني يا رب ولم أك شيئا؟ أردت بك خيرا، قال رب من علي؟ أسكنتك جنتي في جوارى مع ملائكتي فتكون هناك منعما مخلدا فرحا مسرورا أبد الأبد، فقال موسى: يا رب فما الذي ينبغي لي أن أعمل؟ قال لا يزال لسانك يكون رطبا من ذكرى وقلبك وجلا من خشيتي وبدنك مشغولا بخدمتي ولا تأمن مكري ولو ترى رجلك في الجنة، قال موسى: يا رب فلم ابتليتني بفرعون؟ قال:

إنما اصطنعتك لنفسي أخاطب بلسانك بني إسرائيل فأسمعهم كلامي وأعلمهم شريعة التوراة... بلغ بني إسرائيل وقل لهم: إني لما خلقت السموات والأرض خلقت لهم أهلا وسكانا فأهل سمائي هم الملائكة وخالص عبادي الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يا موسى بلغ عني بني إسرائيل وقل لهم من قبل وصيتي وأوفى بعهدي ولم يعصني رقيته إلى رتبة ملائكتي وأحلته جنتي... فقال موسى: يا رب لو خلقتنا في الجنة وكفيتنا محن الدنيا ومصائبها وبلايها أليس كان خيرا لنا؟ قال: يا موسى قد فعلت بأبيكم آدم ما ذكرت ولكن لم يوف بعهدي بل عصاني فأخرجته من الجنة فلما تاب وأتاب وعدته أن أردّه إليها وآليت على نفسي أن لا يدخلها أحد من ذريته إلا من قبل وصيتي وأوفى بعهدي (لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)¹

إذا كان الله كلم موسى، فإن الكلام حوار قائم على قانون الإخبارية من خلال الاستفهام الحقيقي الذي طلب فيه موسى معلومات لم يسبق له معرفتها، فجاءت الإجابة أخبارا جديدة شاملة للمعلومات اللازمة والمناسبة، ومفيدة أيضا، لأن القول بمخاطبة موسى لبني إسرائيل جوابا له عن سبب ابتلائه بفرعون يناسب سياق الخطاب، إذ اقتضت إرادة الله أن يبقى موسى حيا عندما يعيش في كنف فرعون الذي يقتل الذكور خوفا من منافستهم له في الحكم وحياة موسى من أجل أن يكون نبيا مبعوثا لبني إسرائيل. وجاءت الإجابة عن طلب موسى بأن يخلقنا في الجنة فقط مفيدة أيضا مناسبة للسياق، بالاختصار على ذكر آدم في الجنة الخارج منها بمعصية الله، العائد إليها بعد توبته، وكذلك الحال لذريته فلن تدخل الجنة إلا إذا أوفت بعهد الله ومن هنا جاءت الأخبار شاملة للمعلومات اللازمة قصد إفادة السامع (موسى عليه السلام).

مثال 5: "وصية الفضيل بن عياض* إلى أمير المؤمنين... هارون الرشيد*... إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة؛ فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء فأشيروا علي فعدت الخلافة بلاء وعددتها أنت

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص ص 352، 353.

* هو: أحد المتصوفة أسند الحديث وجاور الحرم مات سنة 187 هـ / 803م. ينظر صهيب الرومي، ص 682 .
* هو أحد الخلفاء العباسيين.

وأصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله: إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن فطرك منها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك أبا ووسطهم عندك أبا وأصغرهم عندك ولدا... وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة غدا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك وأكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك يا هارون: إني أخاف عليك أشد الخوف يوم تنزل فيه الأقدام فهل معك رحمك الله من يشير عليك بهذا؟ فبكى هارون بكاء شديدا حتى غشي عليه... ثم قال: زدني رحمك الله، فقال: يا أمير المؤمنين إن العباس عم المصطفى صلى الله عليه وسلم جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أمرني على إمارة فقال له: إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون أميراً فافعل، فبكى هارون بكاء شديدا وقال له: زدني رحمك الله، قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عز وجل عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقي هذا الوجه فافعل"¹

استشهد الفضيل بن عياض بأقوال سالم بن عبد الله (صم عن الدنيا)، أي أتركها

ومحمد بن كعب (كبير المسلمين يكون أبا ووسطهم أبا)، ورجاء بن حيوة (تحب للمسلمين ما تحبه لنفسك)* وقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة). وهي موجهة أصلا إلى عمر بن عبد العزيز وهارون الرشيد بوصفه سامعا لها يدرك أن الفضيل بن عياض أخبره بالمعلومات الجديدة التي تتناسب سياق الخطاب الذي يتحدث عن كيفية النجاة من عذاب الله، علما أن استحضار صيغ الأمر أساسه صدق الفضيل بن عياض في استجابة هارون الرشيد للأوامر التي جاءت على لسان هؤلاء الأشخاص السابقين ذكرهم. الأخبار إذا شاملة صادقة ذات إفادة حاجية لأنها أثرت في الأمير إلى حد البكاء طالبا ثلاث مرات بإلحاح معرفة المزيد من الأخبار المفيدة.

مثال:6 "وروينا من حديث موسى بن علي الأحميمي عن ذي النون أنه لقي رجلا باليمن كان قد رحل إليه في حكاية طويلة وفيها: ثم قال له ذو النون: رحمك الله ما علامة المحب لله؟ فقال له: حبيبي إن درجة الحب درجة رفيعة، قال: فأنا أحب أن تصفها لي، قال: عن المحبين لله شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب عز جلال الله فصارت أبدانهم

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 340.

دنياوية، وأرواحهم حجبية، وعقولهم سماوية، تسرح بي صفوف الملائكة وتشاهد تلك الأمور باليقين، فعبدوا بمبلغ استطاعتهم حبا له لا طمعا في جنة ولا خوفا من نار¹. يعرف الرجل في هذا المثال أن الاستفهام حقيقي لأن السائل ذا النون لا يعرف صفات المحب وعلامته وهو صادق فيما يطلب معرفته ، كما أن المجيب صادق في وصف علامات المحب بناء على تصوره الصوفي للحقيقة المتمثلة في العلم الكشفي المقذوف في قلوب المحبين إلهاما .

مثال 7: وروينا عن ذي النون من حديث محمد بن يزيد عن ذي النون قال: قلت لامرأة: متى يحوي الهموم قلب المحب؟ قالت إذا كان للتذكار مجاورا وللشوق محاضرا، يا ذا النون، أم علمت أن الشوق يورث السقام وتجديد التذكار يورث الحزن؟². في هذا المثال التناوب في الكلام بين المتكلم والسامع بتكرار الكلمات (قلت - قالت) جاء لتجسيد مبدأ التعاون القائم على الإخبار، وصيغة (أم علمت) مؤشر لغوي على إعلام ذي النون أن الشوق وجد يشعر به المحب الصوفي بوهج الرغبة للاتصال بالمحبيب الله والفناء فيه بترك صفاته الإنسانية والتخلي بالصفات الربانية . وإضافة إلى الأمثلة السابقة التي حصل فيها الإخلال ، فإن البحث يضيف إليها الأمثلة التالية :

مثال 1: "وصية بمكاتبة: اعتل رجل من إخوان ذي النون فكتب إليه أن يدعو له فكتب إليه ذو النون: سألتني أن أدعو الله لك أن يزيل عنك النعم"³. السائل يدرك أن المجيب لم يقدم المعلومات التي سأله عنها. أي أنه خرق الإخبارية وهذا ما يستلزم معنى أراد أن يوصله بفعل غير مباشر وهو رفض الدعاء له بإزالة النعمة التي هو عليها .

مثال 2: "وفي معنى ما قاله ذو النون وأوصى به ما اتفق لنا مع صاحبنا عبد الله ابن الأستاذ الموروري وكان من كبار الصالحين كان له أخ مات فرآه في المنام فقال له ما

¹المصدر السابق، ج 3، ص ص 523، 524.

² المصدر نفسه، ج 3، ص 522.

³المصدر نفسه، ج 8، ص 358

فعل الله بك؟ فقال لي: أدخلني الجنة أكل واشرب وأنكح، قال: ليس عن هذا أسألك هل رأيت ربك؟ قال: لا يراه إلا من يعرفه¹.

السائل هنا هو الذي خرق الإخبارية، وكان يتوقع أن يطرح السؤال الثاني بدلا من الأول، والمجيب أيضا على السؤال الثاني خرق العملية الحوارية، ولم يدل بالمعلومات التي أرادها السائل، لأنه أراد أن يوصل معنى غير مباشر هو الدعوة إلى معرفة الله عن طريق العلم الكشفي وليس العلم العقلي.

مثال3: "بزق رجل في النيل بحضور ذي النون المصري فقال: تعست يا بغيض تبزق على نعمة الله وكان ذو النون في ذلك الوقت في مشاهدة النعم الإلهية... فلذلك حكم عليه حاله فنطق بما نطق به"².

واضح إذا أن الفعل غير المباشر الذي أراد ذو النون إيصاله إلى السامع دون التصريح به هو توبيخه عن هذا السلوك.

4- متضمنات القول:

4-1 الافتراض المسبق:

يوضحه أحمد بن فارس (ت 395هـ / 104 م) بالقول "واسم مقتضى كقولنا أخ وشريك وابن وخصم كل واحد منهما إذا ذكر اقتضى غيره بأن الشريك مقتضى شريكا والأخ مقتضى آخر"³ وهو آت من فكرة أن مستمعيه عارفون ببعض المعلومات التي تسبق التفوه بالكلام، فهي موجودة عند المتكلمين وليست مذكورة لهم في الجمل لأنها تعامل على أساس أنها معروفة، ولهذا تعد جزءا مما يتم إيصاله دون قوله⁴ كما في الأمثلة التالية:

1- كلب ميري جميل _____ يفترض أن ميري لديها كلب

2 - حلمت أنني ثري _____ يقتضي ليست ثريا

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 326.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 358

³ الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية القاهرة، 1910، ص 54.

⁴ ينظر: جورج يول، التداولية، تر، قصي العتابي، ص 51

3- يتظاهر أنه مريض _____ ليس مريضا¹

تبين هذه الأمثلة أن الإقتضاء معلومات غير مصرح بها تدرج ضمن القول الذي يتضمنها وبالنسبة لديكرو الإقتضاء " هو العنصر الدلالي الخاص بالقول أو تحويله إلى استفهام هل أ؟ أو إلى نفي لا أ؟ " ². أي أن إدخال النفي والاستفهام يظهر معنى ضمنيا غير مصرح به هو الإقتضاء الافتراض، فإذا قلنا :

1 انقطع زيد عن التدخين

2 لم ينقطع زيد عن التدخين

3 هل انقطع زيد عن التدخين

³ فالمقتضى (كان زيد يدخن) هو المعنى غير المصرح به في الأقوال الثلاثة وهو " يمثل شكلا من أشكال القاعدة التي تسند إليها، فهي تضمن لهذه الأخيرة تماسكها لأن الافتراض المسبق هو الذي يجعل الخطاب يسير بطريقة متسلسلة غير متقطعة " ⁴ وبالتالي فالتسلسل بين الأقوال الثلاثة : النفي والاستفهام والافتراض (المقتضى) يبين أن هذا الأخير قاعدة صحيحة أو حجة لا اعتراض عليها ولا شك ، فما على المخاطب إلا قبولها ، خصوصا أنها معلومة عنده يدركها ضمنيا بنفسه دون فرضها عليه ، حيث يكون شريكا للمتكلم في بناء جزء من الحجة ، وهو ما يسهل الإقناع ويزيد في التأثير .

وهذا ما يسعى البحث إلى تأكيده من خلال الأمثلة التالية :

مثال1:"فما في العالم أو ما هو العالم سوى كلمات الله"⁵.

مثال2:"فخلق الإنسان الكامل على صورته"⁶.

مثال3: ينبه أن الله تعالى ما أوجد العالم إلا للعالم"⁷.

¹ ينظر : المرجع السابق ،ص52 وما بعدها

نقلا عن: عمر بلخير ، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء O :DUCROT ;DIRE ET NE PAS DIRE ;P8 النظرية التداولية ، ص 113 .

³ ينظر :المرجع نفسه،ص 114 .

⁴ المرجع نفسه ، ص ص 114 ، 115 .

⁵ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 4، ص 47.

⁶المصدر نفسه، ج 6، ص 168.

⁷المصدر نفسه، ج 6، ص 169.

مثال4: إن الحق هو عين الوجود وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان الله ولا شيء معه"¹.

مثال5: "يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفه بها"².

مثال6: "ولم يكن للأعيان* في حال عدمها* شيء من النسب إلا السمع فكانت الأعيان مستعدة في ذواتها في حال عدمها لقبول الأمر الإلهي"³.

مثال7: "أمنت وأقررت أن سؤال فتاني القبر حق، وعذاب القبر حق، وبعث الأجساد من القبور حق"⁴.

في المثال 1 إذا اختلف المتكلمون بالنفي: ليس العالم كلمات الله، أو الاستفهام هل

العالم كلمات الله، فإن الافتراض كلمة الله موجود يبقى ثابتا مطردا . وفي المثال 2 إذا كان الضمير في صورته يعود على الله بمعنى خلق الإنسان على الصورة الإلهية فهذا يقتضي أن الله موجود . وعند النفي بالقول لم يخلق الله الإنسان الكامل ، أو الاستفهام هل خلق الله الإنسان الكامل فإن الاقتضاء نفسه وجود الله يبقى ثابتا.

وفي المثال 3 إذا كان الله أوجد العالم للعالم فهذا يقتضي مسبقا وجود الله، والنفي

بالقول لم يوجد الله العالم، يؤكد بقاء الافتراض نفسه. وفي المثال الموالي 4 إذا كان الحق/ الله هو عين الوجود فإنه يقتضي مسبقا أن الله موجود ونفيه بالقول ليس الحق هو عين الوجود يبين دائما ثبات أو بقاء الافتراض الله موجود.

وإذا جئنا إلى المثال 5، فإن الصفات الإلهية تقتضي مسبقا وجود ذات إلهية

موصوفة، ولو اختلف المتكلمون نفيا: لا توجد صفات لذات موصوفة أو تساؤلا: هل توجد صفات لذات موصوفة، فإن الافتراض نفسه وهو وجود ذات موصوفة يبقى صامدا ضمنيا

¹المصدر السابق، ج 6، ص 194.

²المصدر نفسه، ج 1، ص 63.

*إشارة إلى ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء ، عين الله الإنسان الكامل فيه ينظر إلى العالم والإنسان هو عين العالم لأنه متحقق بالاسم البصير، ينظر: عبد المنعم الحفني ، المعجم الصوفي ، ص 182 .

**كان الإنسان بعد أن لم يكن ، وسيبقى بعد أن كان ، ومعنى ذلك أن الكائنات لا تثبت لها رتبة الوجود المطلق لأن الوجود الحق إنما هو الله وله الأحادية فيه ، ومن كان وجوده من غيره فالعدم وصفه في نفسه . ينظر المعجم

الصوفي، ص1

³ابن عربي ، الفتنوحات المكية ، ج 1، ص 95.

⁴المصدر نفسه، ج 1، ص 65.

لا يعترض عليه بتعبير عبد الله صولة : " نفي النفاة واستفهام المتشككين والمترددين من الخصوم ."¹

ويفترض نفي القول في المثال 6 لم يكن للأعيان في حال عدمها شيء من النسب إلا السمع ، أن الأعيان أو الأشياء التي خلقها الله كانت موجودة في علم الله قبل إيجادها وتجليها في الكون . وبالنسبة للمثال الأخير إذا كان سؤال القبر وعذابه حق فهذا يقتضي مسبقا وجود حياة أخرى في القبر (الآخرة) ، والنفي بالقول: لم أو من ولم أقرر أن سؤال القبر وعذابه وبعث الأجساد من القبر حق يؤكد استمرار الاقتضاء السابق . يحوم الاقتضاء في هذه الأمثلة حول وجود الله وحياة الآخرة. ووجود الأعيان في علم الله قبل تجليها في الوجود الحسي الظاهر . وصمودها منسجمة أمام النفي والاستفهام يبعدها عن اللحن الحجاجي، ويجعلها حجة يمتثل إليها المخاطب ولا يعترض عليها . وتجدر الإشارة في هذا السياق أن البحث لم يتطرق إلى القول المضمّر بوصفه النتيجة التي يستنتجها السامع من القول ، لأن الفصل الثالث في المبحث المتعلق بالروابط والعوامل الحجاجية سيدرس بعضا من الأقوال الحجاجية التي توجه المعنى نحو نتائج مضمرة أو ظاهرة.

4-2 الأفعال الكلامية:

كانت الدراسات اللغوية منذ دوسوسير f.dessaussure ترى أن وظيفة اللغة الرئيسية هي الإخبار، وأن التواصل communication يقوم على نقل المعلومات إلى المتلقي ، وهي أي اللغة تصف واقع العالم حيث إنها تخضع لمعيار الصدق والكذب. ولم تسلم هذه النظرية من الانتقادات التي وجهها لها عدد كبير من اللغويين والفلاسفة، ويتعلق الأمر بمدرسة أكسفورد* وبفلاسفة من أمثال أوستين j.l.austin وسيرل** (j.r.searle) حيث لاحظوا أن استعمالات لغوية كثيرة لا تتمثل وظيفتها في الإخبار ولا تصف أي واقع أو تنقله ولا تخضع لمعيار الصدق أو الكذب². وإنما لآداء أغراض حجاجية يراد بها

¹ الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 310 .

*مدرسة انجليزية تهتم بدراسة السياق . وقد انطلق ج أوستين من هذا المنطلق من أجل إرساء نظريته في أفعال الكلام** هو فيلسوف أمريكي وأستاذ بجامعة هارفارد وهو أحد طلبة أوستين ، ومن مؤسسي تداولية أفعال الكلام .

² ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص ص 115، 116 .

إنجاز أفعال معينة في الواقع وتغييره والتأثير الذي يتركه ذلك الإنجاز لدى المخاطب هو الإقناع بترغيبه أو إرشاده أو مدحه أو نهيه .

فإذا أخذنا الأمثلة التالية: أعلن افتتاح الجلسة- أغلق الباب- أنت طالق- رأيت هذا الفندق ممتاز- هذا الطالب ذكي ، فإن الجمل الثلاثة الأولى إنجازية؛ أنجز بها المتكلم فعل الافتتاح والأمر والطلاق. وهي لا تصف ولا تتقل واقعا ولا يمكن القول عنها إنها صادقة (مطابقة للواقع) أو كاذبة (مخالفة) له. أما الجملتان الأخيرتان ليس لهما طابعا وصفيا واضحا، ومن الصعب تحديد جوانبهما الإخبارية لأنهما يتضمنان حكم قيمة¹. أو تقييما للأشياء.

وعلى هذا الأساس ميز أوستين بين المنطوقات التقريرية التي تصف وقائع العالم الخارجي، والمنطوقات الأدائية الإنجازية التي يقترن النطق فيها بأداء فعل أو إنجازه. ولتحديد المنطوقات الإنجازية وضع شروطا تتلخص في شكل الجملة التصريحية وزمن الفعل يكون مضارعا (الحال) مبنيا للمعلوم مع إسناد الفاعل إلى ضمير المتكلم². غير أن الاستعمال اللغوي أثبت عكس ذلك، فالمضارع يكون مبنيا للمجهول ويراد به الإنجاز كما في: يرجى من المسافر استعمال النفق لتغيير المحطة³، وفي قول القائل: زوجتك موكلتي- بعثك الدار. أفعال إنجازية بصيغة الماضي. وفي أنت حر وأنت طالق جاء المنطوق مشتقا وليس مضارعا. وقد يأتي اسم فاعل كما في: إني منفذ الأوامر أو مصدرا: الحذر الحذر من التردد، أو فعلا ماضيا: تقرر طرد محروس وأسرته. وبالمقابل تخضع بعض الجمل للشروط السابقة ومع ذلك تكون وصفية لا إنجاز فيها مثل: أنا أطيع والدي، أنا أقرر أن الأرض كروية⁴.

ولحل هذه المشكلة ميز أوستين بين الإنشائيات الأولية *primair performatives*

والإنشائيات الصريحة *explicit performatives* فعمل الوعد يمكن إنجازه بطريقتين:

1 - سأكون هنا على الساعة الثانية .

¹ ينظر: المرجع السابق، ص ص 116، 117.

² ينظر: جون لاينز، الصيغة والقوة اللاقولية ضمن كتاب لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، ص 202.

³ المرجع نفسه، ص ص 202، 203.

⁴ ينظر، علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 38.

2- أعدك بأنني سأكون هنا على الساعة الثانية.

يمثل القول 1 إنشاء أوليا، والثاني صريحا¹، لأن المتكلم ذكر فعل الوعد صراحة ولم يذكره في المثال 1. وعلى ضوء هذا التمييز خطى سورل خطوة واسعة إذ أثار وجود أفعال إنجازية مباشرة وأفعال إنجازية غير مباشرة².

4-2-1 الأفعال المباشرة وغير المباشرة:

أفعال الكلام المباشرة *actes langage direct* هي التي تكون فيها العلاقة

مباشرة بين بنيتها ووظيفتها، وأفعال الكلام غير المباشرة *actes langage*

Indirect فتوجد فيها علاقة غير مباشرة بين البنية والوظيفة³. الأولى يكون فيها

المعنى يطابق حرفيا ما يريد أن يقوله المتكلم من خلال معاني الكلمات وقواعد التأليف،

والثانية يخالف فيها المعنى منطوق المتكلم، إذ يؤدي الفعل الإنجازي على نحو غير

مباشر من خلال فعل إنجازي آخر⁴.

إن استعمال البنية الخبرية لتكوين جملة خبرية كلام مباشر، ولكن استعمالها لتكوين

طلب فعل كلام غير مباشر كما هو موضح في المثال⁵:

1 + الطقس بارد اليوم.

فهو خبري ولكن عند استعماله لتكوين جملة خبرية كما في

1- ب أنا بهذا أخبرك عن الجو.

لأن إعادة صياغة الجملة يؤدي وظيفة فعل كلام مباشر وعند استعماله لإنشاء أمر

طلب كما في الصياغة:

1 ج أنا بهذا أطلب منك أن تغلق الباب.

فإنه يؤدي وظيفة كلام غير مباشر.

وفي المثال 2 أ: تتح جانبا.

¹ ينظر: جون لاينز، الصيغة والقوة اللفظية، ضمن كتاب لسانيات الخطاب تر، صابر الحباشة، ص 202.

² ينظر: علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 55.

³ ينظر: جورج يول، التداولية، تر، قصي العتاي، ص 92.

⁴ ينظر: محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، 2006، ص ص 50، 51.

⁵ ينظر: جورج يول، التداولية، تر قصي العتاي، ص ص 92، 93.

تمثل البنية الأمرية فعلا مباشرا، ولأن البنية الاستفهامية في

2 ب أيتوجب عليك الوقوف أمام التلفاز؟

لم تستعمل كسؤال فقط، فهي فعل غير مباشر، وتمثل البنية الخبرية في:

2- ج أنت واقف أما التلفاز طلبا غير مباشر¹.

علما أن أكثر أفعال الكلام غير المباشرة شيوعا تحتوي على صيغة استفهامية لا

تستعمل عادة لطرح سؤال، لأننا لا نتوقع جوابا وإنما فعلا إنجازيا كما في المثالين:

1 هل لك أن تتاولني الملح؟

2 هل لك أن تفتح هذا؟

ومثل هذا النموذج شائع في الإنجليزية و (العربية) وطرح السؤال عادة ما يتعلق

بقابلية المستمع المفترضة (هل لك؟، أيمكنك) أو احتمالية مستقبلية لطلب القيام بشيء (هل

ستقوم). ومن هنا ترتبط أفعال الكلام غير المباشرة عموما بتهذيب أعظم في الإنجليزية و

(العربية) يفوق ما يتطلبه الفعل المباشر. ولفهم السبب علينا إلقاء نظرة على صورة أكبر

من مجرد لفظ منفرد يؤدي فعلا كلاميا واحدا². ولأن المتكلم لا ينتظر أن يجيبه السامع

بنعم أو لا في الاستفهام السابق، فإنه ينجز فعلا غير مباشر هو طلب إعطاء الملح طلبا

مهذبا³.

يمكن القول أن أوستين اشتغل بالفعل المباشر، وميز سيرل بين الفعلين المباشر

وغير المباشر، واشتغل كرايس وعمق أفعال اللغة غير المباشرة وسماها "الاستلزام

الحواري" عندما ميز بين القوة الإنجازية الحرفية، والقوة الإنجازية المستلزمة حواريا⁴

عند خرق قوانين الحوار، حيث ينتقل الكلام من المعنى الحرفي المباشر إلى معنى

حواري استلزامي غير مباشر يتحكم فيه سياق الاستعمال التداولي⁵. ولأن القوانين

¹ ينظر: المرجع السابق، ص ص 92، 93.

² المرجع نفسه، ص 93.

³ ينظر: محمود أحمد نحلة، أفق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ط 1، 2006، ص 51.

⁴ ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص ص 95، 96.

⁵ ينظر جميل حمداوي: من الحجاج على البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014، ص 54.

مدرسة سابقا، فإن البحث سيكتفي بدراسة الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة اعتمادا على تصنيف سيرل إلى :

4-2-2 الممثلات/ الإخباريات: *representatifs*

(يقابلها في تصنيف أوستين أفعال الإيضاح). وهي تبين ما يؤمن به المتكلم أو يعتقد بأنه الحقيقة، بمعنى أنها تنقل أو تصف الواقع وصفا أميناً، وبالإخباريات يجعل المتكلم الكلمات تلائم (تطابق) * العالم (عالم الاعتقاد) مثل: الأرض مسطحة. كان يوماً مشمسا ودافئاً¹.

وبالرجوع إلى المدونة ورغبة في الإيجاز فإن أمثلة كثيرة مدرسة سابقا تصنف ضمن الإخباريات، فعلى سبيل المثال تعريف المقامات والأحوال وما يتعلق بوحدة الوجود ونشأة الكون، والحديث عن الحروف فعلها المباشر وصف حقيقة هذه الأشياء كما يعتقد ابن عربي. والفعل غير المباشر الذي تتضمنه تلك الأخبار يتراوح بين إرشاد السامع وترغيبه في المقامات الصوفية وتحبيبه لها وتقرير وحدة الوجود، وإثبات أن الكلمات والحروف أو اللغة بصفة عامة أمة موجودة.

كما أن الأمثلة المدرسة في الاقتضاء (الافتراض المسبق) من 1-7 ص من هذا الفصل إخباريات أفعالها المباشرة المصرح بها من منطوق الكلام أن العالم كلمات الله، والإنسان الكامل خلقه الله على صورته والله هو الوجود، والصفات الإلهية لها ذات إلهية صادرة منها، والأعيان أو الموجودات كانت موجودة سابقا في علم الله، وصاحب الفتوحات يقرر إيمانه بسؤال القبر وعذابه وبعث الأجساد منها وأفعالها غير مباشرة تتضمن شيئا واحدا هو تأكيد وجود الله، والدعوة إلى عدم الشك أو إنكاره. ولأن ابن عربي قام بوصف أو الإخبار عن ما هو موجود في واقع (عالم اعتقاد المخاطب الصوفي) وليس بناء هذا الواقع أو استحداثه فإن الكلمات تطابق (تلائم العالم).

* يوضح سيرل المطابقة بالمثال التالي: "لنتصور أن رجلا ذهب إلى السوق وفي يده قائمة الحاجيات التي حضرتها له زوجته أثناء عملية اقتناء تلك الحاجيات، تبعه حارس يكتب كل ما اشتراه، وفي خارج السوق، لدى كل رجل قائمة... فقائمة المشتري، الهدف منها هو جعل العالم مطابقا للكلمات... وفي حال الحارس: الكلمات مطابقة للعالم" ينظر:

J.L.Searle (1979) : *senset expression, trad, joelle Proust, edition de minuit, Paris, P 49*

نقلا عن: عمر بلخير، تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، ص 159.

¹ ينظر: جورج يول، التداولية، تر، قصي العتاي، ص 89.

جاءت بعض الإخباريات مكررة في سياقات عدة منها قول ابن عربي:

مثال1: "فما في الوجود إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله، ومن هذه الحقيقة قال من قال: أنا الله"¹.

مثال2: "فنحن عبيد وإن ظهرنا بنعوته، وهو ربنا، وإن ظهر بنعوتنا"².

الفعل المباشر في المثال 1 إخبار أن الله متجل في الوجود (فما في الوجود إلا الله) وأن الإنسان وصل إلى الحضرة الإلهية (أنا الله) . وأفعالها غير المباشرة على التوالي: تأكيد وتقرير حقيقة وحدة الوجود والإشادة ببلوغ الحضرة الإلهية . وفي المثال 2 الإخبار عن تداخل الحق والخلق فعله غير المباشر تقرير حقيقة إتحاد صفاتهما " وبذلك يتطابق الفناء مع الاتحاد ... فوصفنا بأوصاف الكمال من الحياة والعلم والقدرة والإرادة وجميع الأسماء كلها ، وهي له ، ووصف نفسه بأوصاف ما هو لنا من الصورة العين واليد والرجل والذراع ... فلما ظهر تداخل هذه الأوصاف بيننا وبينه سميناها ذلك اتحادا لظهورنا به وظهوره بنا"³ . والكلمات دائما تطابق العالم .

وتتواصل الإخباريات في سياقات أخرى على النحو التالي :

مثال1: " وما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله ، ... فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسول عليهم السلام "⁴ .

مثال2: "قال أبو يزيد البسطامي رضي الله عنه في هذا المقام وصحته يخاطب علماء الرسوم: أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . يقول أمثالنا حدثني قلبي عن ربي ، وأنتم تقولون : حدثني فلان وأين هو "⁵ .

مثال3: "وأن قرصة البرغوث تؤلمه والمرحاض يطلبه لدفع ألم البول والخراة عنه ، ويفنقر إلى كسيرة خبز يدفع بها عن نفسه ألم الجوع ، فمن صفته هذه كل يوم وليلة كيف

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 410.

² المصدر نفسه، ج 6، ص 93.

³ محمد بن الطيب ، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي ، ص 269 .

⁴ ابن عربي الفتوحات المكية ، ج 1، ص 421 .

⁵ المصدر نفسه ، ج 1، ص 423.

يصح أن يكون في قلبه كبرياء وجبروت "1.

الأفعال المباشرة هي الدلالة الظاهرة وهي أن علماء الفقه والنظر العقلي فراعنة وغير المباشرة هي إظهار عداوتهم للصوفية في المثال 1، وتشبيههم بالفراعنة حجة تقوي الفعل الذي أراد المتكلم انجازه في هذا السياق . وفي المثال 2 انجز المتكلم فعل استصغارهم والتقليل من شأنهم (أخذتم علمكم ميتا عن ميت)، والإشادة بالعارفين الصوفيين ورفع همتهم (أخذنا علمنا)، والتهكم والسخرية (حدثني فلان وأين هو) يقويه فعل الإنكار (أين هو) بوصفه يندرج ضمن الموجهات . وجاء المثال الأخير فعله غير المباشر تهكما أو سخرية هادفة إلى إظهار ضعف الإنسان وفقره ، مع العلم أن المثال نفسه مدروس في حجة التناقض ص 40 من الفصل الأول وهذا ما يعزز الطاقة الحجاجية للفعل الكلامي .

والأمثلة المدروسة في الإشارات (ضمير الشأن) من 1 إلى 8 ص 10 من هذا الفصل أخبار ذات فعل غير مباشر هو تأكيد علو شأن الله عزوجل . والكلمات مطابقة للواقع لأنها وصفت ما هو موجود .
تلكم إذا هي الأفعال غير المباشرة التي أنجزها المتكلم بالإخباريات أو ما يعرف بالأساليب الخبرية في البلاغة العربية .

وبناء على ما سبق فإن الإخبار أو الوصف غرضان إنجازيين شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض أو القبول، والقول بانجازيتها من الإضافات التي قدمها سيرل بعدما جعل أوستين جل الإخباريات مجرد إخبار أو تقرير أو وصف² لا إنجاز فيها. أي أن الإضافة التي قدمها سيرل تسير في الاتجاه القائل بأن اللغة ذات طبيعة إنجازية وليست وصفية فقط وأن الوظيفة الحجاجية لا تقل عن الوظائف الأخرى للغة .

¹المصدر السابق، ج3، ص 512 .

² ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 83.

3-2-4 Directives الموجهات

وهي تعبير عما يريده المتكلمون ليجعلوا شخصا آخر يقوم بشيء ما، وهي تتخذ أشكال أوامر وتعليمات وطلبات ونواه (واستفهامات). وبالتوجيهات يحاول المتكلم جعل العالم يلائم (يطابق) الكلمات عبر المستمع مثل:

1 أعطيني كوبا من القهوة، أريدها قهوة صافية.

2 هل لك أن تعيرني قلما، رجاء؟

3 لا تلمس ذلك¹

انطلاقا من هذه الأمثلة، فإن التوجيهات التي تمثل محور الدراسة هنا هي: الأمر والنهي و الاستفهام باعتبارها تهيمن على الجزء الثامن والأخير، وفي بابه الأخير تحت عنوان: "في وصية حكيمية ينتفع بها المرید السالك والواصل ومن وقف عليها إن شاء الله تعالى" وكثافة توظيفهما يجعل منهما خاصية أسلوبية مقصودة لأداء وظائف تداولية علما أن صاحب الفتوحات يشير إلى إنجازيتها مفتتحا كلامه بالقول من البسيط: ²

وصى الإله وأوصت رسله فلذا كان التأسى بهم من أفضل العمل

لولا الوصية كان الخلق في عمه وبالوصية دار الملك في الدول

فاعمل عليها ولا تهمل طريققتها إن الوصية حكم الله في الأزل

أ- الأمر:

ويكون حقيقيا عند "طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء" ³. بمعنى علو الأمر على الأمور و قيام الأمور بالفعل على وجه الإلزام ، وأداء الأمر في الزمن المستقبل ، وتحقيق المصلحة للأمر عند أداء الأمر الموكول للمأمور ⁴ . وإذا أخل المتكلم الأمر بهذه الشروط ،وبالأحرى إذا اختلت الشروط في ذهن المأمور السامع أدرك خروج الأمر عن الصورة المطبوعة في ذهنه إلى غيرها بصورة غير مباشرة ⁵ . أي أن الأمر يخرج من

¹ ينظر: جورج يول، التداولية، ترقصي العتابي، ص 90 .

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 234.

³ أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 71 .

⁴ ينظر: حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة، دار النصر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2005، ص 55 .

⁵ ينظر: على محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 172 .

دلالة الفعل المباشر حرفي إلى دلالة الفعل غير المباشر الذي يستلزمه إلا خلال بالشروط السابقة. وهذا ما تؤكدته الأمثلة التالية :

مثال 1: "وعليك بمراعاة كل مسلم من حيث هو مسلم، وساو بينهم كما سوى الإسلام بينهم... وإن اشترك المسلمون في الإسلام وساويت بينهم فأعط العالم حقه من التعظيم والإصغاء إلى ما يأتي به، وأعط الجاهل حقه من تذكيرك إياه، وتنبهه على العلم والسعادة، وأعط الغافل حقه بأن توقظه من نوم غفلته... وأعط السلطان حقه من السمع والطاعة وأعط الصغير حقه من الرفق... وأعط الكبير حقه من الشرف والتوقير"¹.
الفعل المباشر تمثله صيغة الأمر المكررة الدالة حرفيا على العطاء. ولأن "الأمر من الأعلى مكانة بما فيه مصلحة للمأمور"²، والمأمور بوصفه المتلقي الافتراضي الكوني يدرك أن المتكلم يريد إنجاز فعل غير مباشر يتمثل في النصح .

مثال 2: "والإنسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لأعيانهم.. فإن المخادع منافق، فلا تفضحه في خداعه وتجاهل له وانصنع له باللون الذي أراده أن تتصنع له به، وادع له وارحمه عسى الله أن ينفعه بك ويجيب فيه صالح دعائك"³.

يدرك المتلقي أن المتكلم لا يقصد الدلالة الحرفية لأفعال الأمر التالية (تجاهل - انصنع - ادع له - ارحمه) ، أي أنه أخل بشروط الأمر الحقيقي وهذا ما يستلزم حواريا من المتلقي البحث عن المعنى المقصود الذي يريد المتكلم إنجازَه بفعل غير مباشر هو مداراة المخادع والعطف أو الشفقة عليه .

مثال 3: "وصية: في حكاية عن بعض أهل الولاية قال بعض السياح... فنأديته الثالثة يا رباني فاطلع فرآني فقال لي: ما حاجتك وما الذي تريد؟ فقلت له: عظة أو وصية أنتفع بها، فقال لي: أو تركت الدنيا؟ قلت: نعم، فقال لي: كل القوت والزم السكوت وعلل النفس فإنك تموت وذكرها الوقوف بين يدي الحي الذي لا يموت.

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج8 ، ص ص 261 ، 262 .

² حسام أحمد قاسم ، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة ، ص 169 .

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 263.

قال: فتركته وبت ليلتي فلما أصبح عدت إليه وناديت: يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: كل مما كسبته يمينك وعرق فيه جبينك فإن ضعف يقينك فسل ربك فإنه يغنيك. قال: فتركته وبت ليلتي، فلما أصبح عدت إليه وناديته: يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: صل الفرض واذكر العرض ولا تطلب من أحد الصلة ولا العرض.

قال: فتركته وبت ليلتي، فلما أصبح عدت إليه وناديته: يا راهب زدني من تلك الحكمة، فقال لي: يا هذا شغلنتي عن عبادة ربي ففمت إليه مودعا فقال: كل الصبر ولزم الفقر¹.

ولأن المقام وعض وإرشاد، فإن الراهب أخل بشروط الأمر الحقيقي وهو ما يستلزم إنجاز فعل النصح عموما، بالإضافة إلى إنجاز فعل التنبيه (علل النفس) ، والإرشاد والتوجيه (صل - اذكر - كل - إلزم). كما أن القول (أتركت الدنيا) خرق للعملية الحوارية إذ راح الراهب يجيب السائل باستفهام غير حقيقي ينجز فيه فعلا غير مباشر هو الأمر والتقدير (اترك الدنيا) . والأمر ذاته يتضمن فعلا آخر هو النصح مع الإشارة إلى أن القول (يا هذا شغلنتي عن عبادة ربي) خرق فيها الراهب الحوار مرة أخرى لأنه أراد أن يوصل للسائل فعلا غير مباشر بصورة مهذبة وهو الأمر: (أتركني أعبد الله) ويجب الإشارة إلى أن السائح السائل هنا هو "المتلقي المعروف والمعاین، أو الحاضر لحظة النطق بالتوجيه، حيث يكون التوجيه موجها له دون غيره"² بوصفه متلقيا خاصا وليس كونيا، وما يراد إنجازه خاص به لحظة النطق بالأوامر أي أن "الأمر والنهي يفقدان طابعهما الإنجازي بمجرد الانتهاء من التلفظ بهما، وكل إعادة لهما على لسان المتكلم الأولى تكون حكاية لا إنجاز فيها، الإنجاز ساعة التلفظ بها، وإذا هي أدركت المخاطب بعد وجوده فإنما تدركه في شكل إخباري عن الأمر والنهي"³. كما هو الحال بالنسبة إلينا.

مثال 4: "وصية الفضيل بن عياض إلى أمير المؤمنين المدروسة في هذا الفصل وفيها قال سالم بن عبد الله لهارون الرشيد إن أردت النجاة من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن فطرك منها الموت. وقال له محمد بن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله... فوقر أباك،

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 344.

² علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 215.

³ سرحان إدريس، الأمر والنهي كفعالين لغويين إنجازيين في اللغة العربية -دراسة دلالية تداولية، جامعة فاس 1987، 1988، رسالة مخطوطة لنيل دبلوم الدراسات العليا مخطوطة بجامعة الدار البيضاء، المغرب، 2015، ص 343 .

وأكرم أذاك، وتحزن على ولدك، وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة إذا من عذاب الله فأحب للمسلمين ما تحب لنفسك وأكره لهم ما بئوه لنفسك ثم مت إذا شئت"

يدرك المتكلم أن الخليفة ليس ملزماً بتنفيذ هذه الأوامر والخليفة يدرك أيضاً أن

المتكلم أخل بشروط الأمر لأنه أراد إنجاز فعل غير مباشر هو الالتماس .

وتجدر الإشارة إلى أن التوجيهات لا تكون دائماً أفعال أمر صريحة، فقد تأتي

مصدراً أو أنها تحذف كما في قول ابن عربي: "اجتاز بعض العارفين في سياحته براهب

في صومعة على رأس جبل فوقف به فناداه... فأخرج الراهب رأسه من صومعته وقال:

فماذا تريد؟ قال: كيف الطريق إلى الله؟ قال الراهب: في خلاف الهوى، قال: فما خير

الزاد: قال: التقوى"¹.

لا يهدف الراهب إلى الإخبار عن الطريق المؤدي إلى الله بفعل مباشر ، وإنما

يقصد إنجاز فعل غير مباشر هو الإرشاد والتوجيه بتقدير الأمر (خالف الهوى - اتق

الله). ولذلك فإن الأنماط الخبرية يحولها الاستعمال والقصد إلى أفعال غير مباشرة كما في

الأمثلة التالية:

مثال1: "وقال بعض الصالحين: من ترك الشغل بفضول الدنيا فهو زاهد،... ومن كظم

الغيظ واحتمل الضيم* والتزم الصبر فهو حلیم..."².

مثال2: "عص الجاهل تسلّم وأطع العاقل تغنم ، من صبر على شهوته بلغ في مروته

* * ومن كثر ابتهاجه اشتد انزعاجه للمصائب ، من تمسك بالدين عز نصره ومن استظهر

بالحق ظهر قهره"³.

مثال3: "وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها :خلال المكارم عشر تكون في الرجل

ولا تكون في ابنه ، وتكون في العبد ولا تكون في سيده ، صدق الحديث ، وصدق الناس ،

وإعطاء السائل ، والمكافئة بالصنائع ، والتذم للجار ، ومراعاة حق صاحب ، وصلة

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 328.

*الظلم

² ابن عربي، الفتوحات المكية ، ج 8، ص 331.

*مروته:مكانته السامية

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 381 .

الرحم ، وقر الضيف ، وأداء الأمانة ورأسهن الحياء. وقال بعضهم كتمانك سرّك يعقبك السلامة وإفشاؤك سرّك يعقبك الندامة¹ .

ينقل المتكلم في هذه الخطابات أخبارا معينة وهي كذلك في لحظة تلفظها كما بالنسبة لحكم الصالحين وحكم عائشة أم المؤمنين . واستعمالها من طرف ابن عربي جاء لأغراض تداولية يجردها من طبيعتها الوصفية ويحولها إلى أفعال غير مباشرة ذات طبيعة إنجازية تتضمن الأوامر التالية: (أترك الشغل - اكضم - احتمل - اصبر - تمسك - أصدق - أعط السائل - كافي - صل الرحم) . والدليل على إنجازيتها أن المثال 2 صيغ الأمر فيه أفعالا مباشرة مذكورة صراحة (اعص الجاهل - أطع العاقل) .

والمتكلم هنا ينجز واقعا معينا عندما يغير اعتقاد الناس وسلوكهم ويصبح هذا الواقع (العالم) مطابقا للكلمات (الأوامر المقدرّة أو الصريحة) . والأمر نفسه في الأمثلة السابقة من التماس معاملة الجميع إلى تخويف هارون الرشيد كلها تمثل واقع الأشياء الذي سيصبح مطابقا للكلمات (الأوامر) .

ب- النهي:

ما قيل عن الأمر يقال عن النهي، لذلك سيكتفي البحث بعرض الأمثلة، وتوضيح أفعالها غير المباشرة.

مثال 1: "ولا تكثر مجالسة النساء ولا الصبيان فإنه ينقص من عقلك"² الفعل غير المباشر هو الإرشاد والنصح.

مثال 2: "ولا تبسط ذراعيك في سجودك كما يفعل الكلب ولا تكلف نفسك من العمل إلا ما تطيقه"³ فعله غير المباشر هو الكراهية وتجنب العمل الشاق .

مثال 3: "أكثر من زيارة القبور ولا تكثر الجلوس عندها... ولا تؤذ أصحاب القبور بالحديث عندها في أمور الدنيا"⁴ . الأمر فعله غير المباشر هو الترغيب والنهي (الكراهية).

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 383 .

² المصدر نفسه: ج 8، ص 317.

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 312.

⁴ المصدر نفسه، ج 8، ص 312.

مثال4: "وياك أن تقعد على قبر ولا تصل وأنت تستقبله"¹. الفعل المنجز هو التحذير والترغيب.

مثال5: "وعليك بالهجرة ولا تقم بين أظهر الكفار فإن في ذلك إهانة دين الإسلام وإعلاء كلمة الكفر... واعلم أن المقيم بين أظهر الكفار مع تمكنه من الخروج من بين ظهرانيهم لاحظ له في الإسلام"² الفعل لا تقم لإنجاز الرفض والتحذير.

مثال6: "ولا تتبع عورات الناس ولا مثاليهم واشتغل بنفسك"³. فعله هو التوبيخ .
تمثل نصح المخاطب بالكف عن مجالسة النساء وكرهية بسط الذراعين وإهانة وتوبيخ من يقيم في بلاد الكفر واقعا للأشياء التي ستجز وفق الكلمات أي تطابقها أو تلائمها.

يعرف المخاطبون أن المتكلم ليس له القدرة على التكهن بما سيقع في المستقبل، ولأنهم يعرفون أن المتكلم يحترم مبدأ الحوار، وأنه قد افترض بحكم العلاقة السلطوية بينه وبينهم - أن كلامه هذا قادر على إقامة واقع الأشياء الذي نتحدث عنه الملفوظات، فإنهم يضطرون إلى البحث عن فعل لغوي غير مباشر⁴، هو نصحهم عن مجالسة النساء، وكرهية بسط الذراعين في السجود، وكرهية الجلوس على المقابر.

ج- الاستفهام:

الحقيقي "هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به ، بأداة من أدواته وهي : الهمزة وهل ومن ومتى وإيان وأين وأنى وكيف وكم وأي " ⁵. أي أنه يكون حقيقيا إذا طلب فيه المتكلم معرفة شيء يجهله يتطلب جوابا" والجواب يكون فعلا إخباريا لغويا (الإدلاء بمعلومات للسائل) " ⁶ .كقولنا كم كتابا قرأت؟.كم الساعة؟ . فالاستفهام حقيقي لأن السائل يجهل عدد الكتب المقروءة ولا يعرف التوقيت ، وينتظر الإجابة من المجيب الذي

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 313.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 255.

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 316 .

⁴ ينظر: سرحان إدريس، الأمر والنهي كفعالين إنجازيين في اللغة العربية، دراسة دلالية تداولية، ص 253.

⁵ أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، ص ص 61 ، 62 .

⁶ بن عيسى أزابيط ، الاستفهام في اللغة العربية - دراسة دلالية تداولية - رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ن جامعة فاس ، 1987، 1988، مخطوطة في جامعة الحسن الثاني ، الدار البيضاء ، المغرب ، ص 231 .

يقدم المعلومات اللازمة التي طلبها السائل .وإذا أخل السائل ذاته بهذا الشرط ، أو أنها اختلت في ذهن السامع أدرك خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي المباشر إلى معنى غير حقيقي أو غير مباشر يريد السائل إيصاله تداوليا إلى السامع دون التصريح به .

وفي هذه الحالة تكون "الآليات الأساسية للانتقال من الأفعال المباشرة إلى الأفعال غير المباشرة اعتمادا على مبادئ الحوار و التعاون التي حددها كرايس كالانتقال من

الاستفهام إلى الطلب كما في المثال الذي ساقه (هل تستطيع أن تتاولني الملح)¹ فالاستفهام غير الحقيقي حجاج جوابه يكون " فعلا غير إخباري إذا تعلق الأمر بتعديل حالة معرفية لدى المستفهم"².

ويجب الإشارة أن علماء العرب قديما على اختلاف اهتماماتهم النحوية والبلاغية والفقهية انتبهوا إلى خروج الاستفهام عن دلالاته الحرفية المباشرة إلى إفادة دلالات النهي والتمني والدعاء والنفي .بل إن دراستهم للأساليب الخبرية والأغراض التي يفيدها وأيضا الأساليب الإنشائية من أمر ونهي واستفهام وتعجب ونداء يندرج ضمن تداولية الأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة من المنظور الحديث .

ومن الاستفهام غير الحقيقي في المدونة قول ابن عربي : " وصية اعتبار لأحد الأبرار: بلغني أن عمر بن عبد العزيز شيع جنازة فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحية عن الجنازة فقال له بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازة أنت وليها تأخرت عنها وتركتها فقال: نعم ناداني القبر من خلفي يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألني ما صنعت بالأحبة... ثم بكى عمر ثم قال: ألا إن الدنيا لقاءها قليل وعزيزها ذليل وغنيها فقير وشابها يهرم وحيها يموت... أين سكانها الذين بنوا مدائنهم؟ ... ماذا صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسادهم والديدان بعظامهم وأوصالهم؟... اسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، واسألهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان... أين حجابهم وقبايهم وأين خدمهم وعبيدهم؟ ... يا ساكن القبر غدا ما الذي غرك من الدنيا هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء

¹ عبد السلام عشير ، عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية لآليات التواصل والحجاج ،ص 55 .

² بن عيسى أزاييط ، الاستفهام في اللغة العربية -دراسة دلالية تداولية -،ص 231 .

ونهرك المطرد؟ أين ثمرتك المحاضرة ينعها؟ وأين رفاق ثيابك؟ وأين طيبك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتائك؟ ... هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد وغاسله، يا مكفن الميت وحامله، يا مخليه في القبر وراجعا عنه، ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى؟... يا مجاور الهلكات صرت في محل الموتى ، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتيني به من رسالة ربي"¹.

يتضمن هذا الخطاب أفعالا غير مباشرة هي:

1-النفى والإنكار: في قول المتكلم: أين سكانها الذي بنوا مدائنها...؟ أين حجابهم وأين خدمهم وعبيدهم؟ أين دارك؟... أين ثمرتك؟... أين رفاق ثيابك؟... أين طيبك؟... أين كسوتك؟ المعنى/ الفعل المباشر الذي يدل عليه الاستفهام حرفيا هو طلب معرفة مكان تواجد سكان الدنيا وخدمهم وعبيدهم وديارهم وثمرتهم وثيابهم وطيبهم . ولأن المخاطبين بناء على المقام يدركون أن ما سأل عنه المتكلم يعرفه ولا يخفى على أحد ، وأنه بحكم سلطته قادر على إقامة واقع الأشياء، فإن ذلك يستلزم فعلا غير مباشر أراد أن ينجزه المتكلم وهو تأكيد نفي الخلود في الدنيا وإنكاره ، وتغيير اعتقاد المخاطبين بعدم العمل من أجل الدنيا ،والعمل للأخرة . ومن هنا فإن "القيمة الإنجازية غير المباشرة... لا تتحدد من مجموع العناصر المعجمية للجملتين، بل تتحدد استدلاليا par l'inference داخل المقام وحسب مقصدية المتكلم، والاستفهام الإنكاري هو رد فعل المتكلم وهو رد سلبي في صورة استفهام"² حجاجي تداولي بحيث "توفر مثل هذه الأسئلة ظاهريا فرصة للآخر للإجابة سلبا عن السؤال ، في الوقت الذي يكون فيه تأثير هذا الرفض أكثر لباقة وتهذيبا من الإجابة سلبا على أمر مباشر صريح "³ . إن الاستفهام غير المباشر فعل مقصود من طرف المتكلم لإشراك المخاطب في بناء جزء من الحجة ودفعه ضمنيا إلى إقناعه بنفي ما يريد المتكلم نفيه أو موافقته في ذلك النفي بصورة مهذبة مؤثرة أفضل من التصريح "إن

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص ص 364، 365.

² بن عيسى أزاييط ، الاستفهام في اللغة العربية ، دراسة دلالية تداولية ، ص 362.

³ جورج يول ، التداولية ، ترقيصي العتايبي ، ص 105 .

اختيار تعبير أطول وأقل مباشرة وأقل وضوحا وذو بنية أكثر تعقيدا يعني أن المتكلم يبذل جهدا أعظم فيما يخص الاهتمام بالوجه (أي التهذيب)¹ .

2- التعجب: (ما الذي غرك من الدنيا: هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك). لأن السائل لا يطلب معرفة سبب غرور المخاطب من الدنيا ، ولا معرفة ما إذا كان المخاطب يعلم أنه يبقى للدنيا أو الدنيا تبقى له ولا ينتظر الإجابة لأنها معلومة لديه . وعلى ضوء هذا السياق يدرك السامع أن الإخلال بشروط الاستفهام يستلزم حواريا فعلين غير مباشرين الأول هو التعجب من غرور الدنيا والثاني هو النفي .

3-الإقرار (أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا هم في مدلهمة ظلماء) . السامع هنا يدرك أن المتكلم يدفعه هذه المرة إلى الإجابة بالأداة "بلى" حصريا دون سواها ، إنما يدفعه للتأثير عليه ليقر بنفسه ويوافق المتكلم في القضية التي يدافع عنها وهي الظلام الدامس للموتى ليل نهار .

4-التنبيه من الغفلة : كما في النداء (يا مكفن الميت، كيف كنت على خشونة الثرى).

5-التخويف (يا مجاور الهلكات صرت في محل الموتى) ، (ماذا صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسادهم والديدان بعظامهم وأوصالهم). يدرك المخاطب أن المتكلم لا يطلب معرفة حالة الميت وهو داخل القبر لأنه يعلم أن جثته طعام للرمل والدود . وبناء على هذا السياق يدرك أنه يريد إنجاز فعل غير مباشر هو التخويف والتهديد .

6-الخوف : (ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا وما يأتييني به من رسالة ربي؟). إذا كان المتكلم عند تخويف المخاطب اعتمد على ضمائر الخطاب فإن مجيء ضمير المتكلم (أنا) في يلقاني - ما يأتييني في سياق الاستفهام دائما يجعل السامع يدرك أن المخاطب يريد إنجاز فعل شعوره بالخوف .

ويجب الإشارة في هذا السياق أن توجيه الخطاب إلى السامع عبر ضمائر المخاطب (أنت) المتجلية في الأفعال (اسألهم- غرك - دارك - أنك - ثمرتك) لإدماج

¹ المرجع السابق، ص 105 .

المخاطب في الحكي وإشراكه مع أنا أو نحن . بدليل أن المتكلم اعتمد على ضمائر المتكلم في نهاية الخطاب .

ويواصل الاعتماد على الاستفهام غير الحقيقي قائلاً: " كيف يتصف بالبعد عنك أو تتصف بالبعد منه من أنت في قبضته؟ ألم يفتح لآدم يده اليمنى تعالى وكلتا يديه يمين مباركة فبسطها فإذا فيها آدم وذريته؟ وهل يؤيد شقا من هو في يمين الحق؟ لا والله " ¹.
إن القول بأن الإنسان في قبضة الله يتعارض مع القول ببعده عن الله أو بعد الله عنه وبناء على سياق حجة التناقض هذه يدرك السامع أن المتكلم لا يستفهم بالأداة كيف فعل نفي بعد الإنسان عن الله . والدليل على ذلك أن النفي ذاته جاء فعلا مباشرا صريحا وبصفة مؤكدة عند نفي شقاء من هو في يمين الحق أي الإنسان . كما يدرك في الاستفهام (ألم يفتح لآدم يده اليمنى ...) أن المتكلم ينجز فعلا غير مباشر هو الإقرار بدفع السامع ليقر بنفسه الحقيقة التي يريد المتكلم إنجازها.

وقد يراد بالاستفهام إنجاز فعل أمر غير مباشر كما في هذين البيتين اللذين جاء على لسان الراهب الذي وصى السائح بترك الدنيا؟ من هذا الفصل

متى تهجر الدنيا وتنوى لها بغظ
وتركك للعصيان حقا متى يقضى
متى يا صفيق الوجه تنوي بتوبة
وعمرك للدنيا يساق بها ركضا

يعلم السائح أن الراهب لا يطلب معرفة زمان هجر الدنيا والتوبة من الذنوب كما يدل المعنى/ الفعل المباشر، و السائح أيضا لا يمكن له تحديد الزمن الذي يهجر فيه الدنيا ويترك المعاصي ويتوب إلى الله ، لأن ذلك قد يؤدي إلى السخرية ووقف العملية الحوارية المخترقة في هذا السياق بالاستفهام غير المباشر مع بقاء التعاون من أجل إنجاز فعل غير مباشر يبتلزمه الحوار هو الأمر إلى هجر الدنيا وترك العصيان ، ولو كانت الأفعال مباشرة لكانت على النحو التالي :اهجر الدنيا واترك العصيان وانو التوبة ، علما أن الأفعال غير المباشرة السابقة تتضمن بدورها فعلا ثانيا غير مباشر هو الإرشاد والتوجيه .

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج4 ، ص 283.

إن إنجاز النفي والتعجب والتنبية والتخويف والتهديد من طرف المخاطبين كما هو محدد يكون مطابقا للاستفهامات السابقة، أي أن واقع الأشياء المنجزة يطابق الكلمات ولا يحيد عنها . ولأن المتلقي حاضر هنا لحظة التلطف بالاستفهامات السابقة ، فإن إنجازها خاص بتلك اللحظة ولا يكون الإنجاز مؤجلا كما في المتلقي الكوني ، وأي إعادة لها على لسان المتكلم الأول يجعلها حكاية مجردة من طابعا الإنجازي .

4-2-4 الملزمات: commissives

يستعملها المتكلمون ليلزموا أنفسهم بفعل شيء في المستقبل، في شكل وعود وتهديدات وتعهدات ينويها المتكلم لوحده أو بوصفه عضوا في مجموعة، وباستعمال الملزمات يجعل المتكلم العالم ملائما (مطابقا) للكلمات مثل:

1- سأعود.

2- سأنجزها بشكل صحيح في المرة القادمة.

3- لن نقوم بذلك¹.

أ- الوعد:

وصايا بما كلم الله عز وجل بها نبيه موسى عليه السلام:

مثال 1: "يا موسى بلغ عني بني إسرائيل وقل لهم من قبل وصيتي وأوفى بعهدي ولم يعصيني رقيته إلى رتبة ملائكتي وأحللته جنتي معهم وجازيتهم بأحسن ما كانوا يعملون"²

مثال 2: وصية إلهية نافعة في طهارة الجوارح "فأي العبيد ما دام قائما بين يدي يصلي فإني لا أقبل صلاته حتى يرد تلك الظلامة إلى أهلها فإذا فعل فأكون سمعه الذي يسمع وأكون بصره الذي يبصر به ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع الن بيهن والصديقين والشهداء في الجنة"³.

مثال 3: "حكى في زمن النبوة أن بعض من يوحى إليه من المتقدمين فكر في أمر التكليف والبلوى... فأوحى الله عز وجل إليه: ... فإذا تيقنت وبان لك حقيقة ما قلت وصحة ما

¹ ينظر: جورج بول، التداولية، تر، قصي العتابي، ص ص 90، 91.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 352 .

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 353.

وصفت تركت كل شيء وراءك، واتصلت إلي وحدك، فعند ذلك أقربك مني وأوصلك لي وأرفعك عندي وتكون من أوليائي وأصفيائي وأهل جنتي في جواري مع ملائكتي مكر ما مفضلا مسرورا فرحا"¹.

أسند ابن عربي هذه الوصايا إلى سلطة مقدسة وهي تتناص مع نصوص من القرآن الكريم أو التوراة كما صرح بذلك. وعليه كانت أفعال الالتزام في المثال 1 هي: (رقبته - أطلته - جازيتهم). وفي المثال 2: (فأكون سمعه - وأكون بصره...) وفي المثال 3: (أرحت - وأنت محمود - سلطت - أنت مذموم). وفي المثال الأخير (أقربك، وأوصلك، أرفعك)، أفعالها المباشرة تتمثل في إنجاز الترقية والإحلال في الجنة وإنجاز السمع والراحة... وغير المباشرة تتضمن وعودا تنجز مستقبلا لهؤلاء المطيعين له. علما أن ما وعد الله بإنجازه مستقبلا يكون مطابقا للأفعال الكلامية السابقة ولا يحدد عنها.

ب- التهديد والوعيد:

مثال 1: "يا موسى الويل لمن تفوته جنتي ويا حسرة عليه وندامة حين لا ينفعانه"²

مثال 2: "يا موسى لأقطعن أمل كل مؤمل أمل غيري ولأقصمن ظهر من استند إلى سواي ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري ولأعرضن عن أحب حبيبا سواي"³

مثال 3: "يا موسى: "لا تتضرع إلى أهل الدنيا فأسخط عليك ولا تجد بدينك لدنيا فأغلق أبواب رحمتي"⁴.

الأفعال (الويل - لأقطعن - يا حسرة - ندامة - لأقصمن - لأطيلن - لأعرضن، فأسخط - فأغلق) غير مباشرة تتضمن إقناع المخاطب بالتهديد والوعيد الـ لذين سينجزان في المستقبل وينتظرانه .

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 355، 356.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 353.

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 355.

⁴ المصدر نفسه، ج 8، ص 362.

4-2-5 المعبرات: expressives

تبيين ما يشعر به المتكلم، أو تعبر عن الحالة النفسية في شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن، وباستعمال المعبر يجعل المتكلم الكلمات تطابق العالم (عالم الأحاسيس) مثل:

1- أنا متأسف

2-تهانينا

3-أوه- نعم- عظيم¹.

ومن المدونة يقول ابن عربي:

مثال1: "وصية بمكاتبة: ... وقال بعضهم: كتبت إلي تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به حال وأنا من بين خلال موجعات أبكاني منهن أربع: حب عيني للنظر ولساني للفضول وقلبي للرياسة وإجابتي إبليس عدو الله فيما يكره الله، وأقلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة وقلب لا يخشع عند نزول الموعظة، ... وفنيت أيامي بمحبة الدنيا وتضييعي قلبا لا أقتني مثله أبدا"².

الأفعال المعبرة عن الألم هي: (موجعات، أبكاني) والتي تعبر عن الحزن: (أقلقني، قلب لا يخشع- فنيت أيامي- محبة الدنيا، تضييعي قلبا) . فالسامع يعرف أن المتكلم لا يهدف إلى الإخبار عن حالته من أجل الإخبار ، ومن ثم فالتكلم ينجز بالأفعال السابقة فعلا واحدا غير مباشر هو حمل المخاطب على الاعتقاد بحالة التأسف والندامة اللتين يشعر بهما .

مثال2: ولنا أيضا في هذا المعنى ذوقا فإننا لا نعبر إلا عما ذقناه يقول من الطويل:

عقلت بمن أهواه من حيث لا أدري	ولا أدري من هذا الذي قال لا أدري
فقد حرت في حالي وحارت خواطري	وقد حارت الحيرات فيّ وفي أمري
عشقت وما أدري الذي قد عشقته	أخالقي المحبوب أم هو من شكلي

¹ ينظر: جورج يول، التداولية، تر، قصي العتابي، ص 90.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 358.

فقلت إلهي إن قلبي مهيم ولم أدر فانظر في مقامي وفي ذلي¹

يدرك السامع أن المتكلم لا يريد وصف حبه والإخبار عنه وإنما يريد بحكم أنه متصوف إنجاز فعل غير مباشر هو حمل المخاطب على الاعتقاد بوجود الحب الإلهي من خلال الأفعال التالية: (علقت - أهوى - حرت - عشقت - قلبي مهيم - ذلي).

مثال 3: "وصية أوصى بها راهب عارفا من المسلمين: اجتاز بعض العارفين في سياحته براهب في صومعة فناداه... قال: فلم تبعدت عن الناس وتحصنت في هذه الصومعة؟ قال: مخافة على قلبي من فتنهم، وحذرا على عقلي الحيرة من سوء عشرتهم، وطلبت راحة نفسي من مقاساة مداراتهم وقبيح فعالهم، وجعلت معاملتي مع ربي فاسترحت منهم"² وصف الراهب حالته النفسية باستعمال الأفعال التالية: (مخافة - حذرا - الحيرة - راحة نفسي - فاسترحت) وجميعها تعبر عن رغبة الراهب في نقل مشاعر انعزاله وانقطاعه للعبادة لإقناع الطرف الآخر بصحة هذا السلوك أو الاعتقاد (التصوف المسيحي).

مثال 4: ويواصل العارف سائلا الراهب قائلاً: "خبرني يا أحد تباع المسيح كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم وصدق القول لي... فسكت الراهب ساعة متفكرا ثم قال: شر معاملته تكون قال له العارف كيف قال لأنه أمرنا بالكذب للأبدان وجه د النفوس وصيام النهار وقيام الليل وترك الشهوات ومخالفة الهوى الغالب ومجاهدة العدو المسلط والرضا وخشونة العيش والصبر على الشدائد، ومع هذه كلها جعل الأجر بالسيئة في الآخرة بعد الموت مع بعد الطريق وكثرة الشكوك والحيرة والخوف من اليأس، فهذه حالتنا في معاملتنا مع ربنا فأخبرنا عنكم يا معشر تباع أحمد كيف وجدتم معاملتكم مع ربكم... قال العارف: ... طاب عيشنا في الدنيا وسهل علينا الزهد فيها وترك شهوتها واشتدت رغبتنا في الآخرة وزاد حرصنا في طلبها وخف علينا كد العبادة فلا نحس بها بل نرى ذلك نعمة وكرامة وفخرا وشرفا إذ جعلنا الله أهلا أن نذكره فهدى قلوبنا وشرح صدورنا ونور أبصارنا لما تعرف إلينا بكثرة إنعامه وفنون إحسانه، فقال الراهب: جزاك الله خيرا من واعظ ما أبلغه،

¹ المصدر السابق، ج 3، ص 486.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 325.

ومن ذاكر إحسان ما أرفقه، ومن هدي رشد ما أبصره، ومن طبيب رقيق ما أحذقه، ومن أخ ناصح ما أشفقه"¹.

يشمل هذا المثال - وهو تكملة للمثال رقم 3- على أفعال تعبيرية تعبر عما يشعر به الراهب من مشاعر سلبية متناقضة في الديانة المسيحية وهي: (الشر - الرضى - خشونة العيش، -الصبر - كثرة الشكوك - الحيرة - الخوف)، وكلها مصنفة ضمن مجال واحد هو الشعور بالألم والشقاء النفسي كفعل غير مباشر أراد الراهب إنجازه وإيصاله ضمناً إلى العارف، كما أوصل إليه إعجابه وتعظيمه عبر الأفعال التالية: (ما أبلغه - ما أرفقه - ما أبصره)، بالإضافة إلى انجاز فعل الدعاء في قوله (جزاك الله خيراً)، وأخيراً رفع شأن العارف إلى مصاف الأخوة تأدباً وتضامناً معه عندما قال (ومن أخ ناصح ما أشفقه) وبالمقابل فإن الأفعال (طاب عيشنا - رغبتنا في الآخرة - حرصنا - نعمة - كرامة - فخرا - شرفاً) تعبر عن مشاعر العارف الصوفي في الديانة الإسلامية. وهي مصنفة ضمن مجال الاطمئنان والسعادة وهو الفعل غير المباشر الذي يريد العارف إيصاله تداولياً إلى الراهب وإقناعه بصحة عقيدته .

4-2-6 الإعلانيات: declarations

أفعال تغير الحالة (الوضع) عبر لفظها، إذ يستند المتكلم إلى مؤسسة ما (الإسلام - الكنيسة - الدولة) لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة، وباستعمال الإعلانيات يغير المتكلم العالم عبر الكلمات كما في الأمثلة التالية:

أ: القسيس: الآن أعلنكما زوجاً وزوجة.

ب: الحكم: أنت مطرود.

ج: رئيس هيئة المحلفين: وجدنا المتهم مذنباً².

علماً أن المحتوى القضوي، أو معنى الجملة الذي يدل عليه منطوق الإعلانيات يمثل بالمتكلم كما في " زوجتك نفسي"، وقد يمثل بالمتلقي مثل " أنت حر ". وفي الإلزاميات يمثل بالمتكلم وفي التوجيهيات بالمتلقي. ومعنى التمثيل هو تحقيق المطابقة

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 328 وما بعدها.

² ينظر: جورج يول، التداولية، تر، قصي العتاي، ص 89.

،فالمسؤول عنها في الالتزاميات هو المتكلم وفي التوجيهيات هو المتلقي ، في حين أن المسؤول عنها في الاعلانيات قد يكون المتكلم أو السامع .¹
جاء تصنيف الإعلانيات الواردة في المدونة إلى :

أ-إعلانيات : شهادة :

مثال1:"فيا إختوتي و يا أحبائي رضي الله عنكم أشهدكم عبد ضعيف... وهو مؤلف هذا الكتاب ومنشئه، أشهدكم على نفسه بعد أن أشهد الله تعالى وملائكته، ومن حضره من المؤمنين أنه يشهد قولاً وعقداً أن الله تعالى إله واحد، لا ثاني له في ألوهيته"²
تكرر الفعل يشهد أربع مرات ، وهو إعلان أنجز فيه ابن عربي شهادته ليقر فيها بإيمانه بوحداية الله ونفي الشرك عنه علماً أن إنجاز الشهادة هنا حاصل بعد التلفظ بالفعل مباشرة .والمسؤول عن المطابقة هو المتكلم الذي يغير الواقع بهذا الإعلان .
مثال2:" وإني مؤمن بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت وما لم أعلم ، فمما جاء به فقرر أن الموت عن أجل مسمى عند الله إذا جاء لا يؤخر ، فانا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك ،كما آمنت وأقررت أن سؤال فتاني القبر حق ، وعذاب القبر حق ،وبعث الأجساد من القبور حق ...فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت إليه أن يؤديها إذا سألها حيثما كان "³ .

الأفعال الدالة على الشهادة هي:(وإني مؤمن - كما آمنت - أقررت) وهي إعلانات استقرت فيها ابن عربي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم إذ بمجرد النطق بها يحصل إنجاز الإيمان والاعتقاد بسؤال القرب وعذابه وبعث الأجساد والجنة والنار .

ب-إعلانيات: عفو

مثال3:قال الله تعالى:" يا اسرافيل بعزتي وجلالي وجودي وكرمي من قرأ بسم الله الرحمن الرحيم متصلة بفاتحة الكتاب مرة واحدة أشهدوا علي أنني قد غفرت له وقبلت منه

¹ ينظر : علي محمود حجي الصراف،الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ،ص 209 .

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 62.

³المصدر نفسه، ج 1، ص 65 .

الحسنات وتجاوزت عنه السيئات ولا أحرق لسانه بالنار وأجبره من عذاب القبر وعذاب النار وعذاب القيامة والفرع الأكبر ويلقاني قبل الأنبياء والأولياء أجمعين"¹

الأفعال الدالة على الإعلان هي: (غفرت - قبلت - تجاوزت، - لا أحرق - أجبره)

مسبوقة بالتعبيرات التالية: (بعزتي - وجلالي - وجودي - وكرمي) . والمخاطب يدرك أن إسناد أحكام وقرارات العفو السابقة إلى المقدس/ الله يؤدي إلى إنجازها بنجاح إذ يحصل العفو وقبول الحسنات والتجاوز عن السيئات بعد التلطف بالأفعال مباشرة من طرف المتكلم المسؤول عن المطابقة، بحيث تكون الكلمات مطابقة للواقع من خلال ما تنجزه من عفو ومغفرة .

ج-إعلانات:تصريح

مثال4: "أنا من أهوى ومن أهوى أنا"² "فما في الوجود إلا الله، ولا يعرف الله إلا الله، ومن هذه الحقيقة قال من قال: أنا الله، كأبي يزيد، وسبحاني كغيره من رجال الله المتقدمين... فمن وصل إلى الحيرة من الفريقين فقد وصل"³ . المخاطب انطلاقاً من معرفته للمكانة العالية لابن عربي بوصفه أحد رجال الصوفية يدرك أنه ينجز بالأقوال (أنا من أهوى - ما في الوجود إلا الله - أنا الله - سبحاني) أفعالاً غير مباشرة تتمثل في التصريح بإعلان بلوغ الحضرة الإلهية ، وفيها تأله الصوفي عبر المقامات والأحوال . وبالتالي فإن الإعلانات من مثل " أنا الحق صرخة تعني أنه ليس هو قائلها وإنما القائل هو الحق نفسه على لسانه"⁴ . والذي يحقق المطابقة هو المتكلم فمن خلال هذا التصريح يغير الواقع .

د-إعلانات :حكم

مثال5:قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث النقاش في مواقف يوم القيامة "فيقول الله جل جلاله: سلام عليكم عبادي ومرحبا بكم حياكم الله، سلام عليكم من الرحمن الرحيم، الحي القيوم، طبتم فادخلوها خالدين، طابت لكم الجنة... أنتم المؤمنون الأمنون وأنا الله المؤمن المهيمن... وعزتي وجلالي وعلوي وكبريائي... إني عنكم راض وأحبكم

¹ المصدر السابق، ج 8 ، ص 305.

² المصدر نفسه، ج 3، ص 541.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص ص 410، 411.

⁴ أحمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص 72 .

وأحب ما تحبون... فهذا وجهي بارز لكم أبدا سرمدا فانظروا إليه وأبشروا فإن نفسي عنكم راضية، فتمتعوا وقوموا إلى أزواجكم فعانقوا وانكحوا وإلى ولائدكم ففاكهوا، وإلى غرفكم فادخلوا، وإلى بساتينكم فتنزهوا¹.

إن مجرد النطق بالإعلانات يحدث إنجازا غير مباشر يتضمن الأحكام والقرارات :

1- القرار : (أنتم المؤمنون - أنا الله - إني عنكم راض - وأحبكم وأحب ما تحبون)

2-الأمر (وانكحوا- ففاكهوا- فادخلوا- فتنزهوا)، والفاء في هذه الأفعال للعاقبة، وهذا يعني أن التلطف بهذه الأفعال يعقبه مباشرة إنجاز الدخول إلى الجنة، بل إن استنادها إلى سلطة مقدسة ممثلة في الله تعالى ورسوله الكريم يؤدي إلى نجاح إنجاز الإعلانات المصرح بها وهي :الإيمان والأمن والرضا والحب والدخول إلى الجنة بصفة عامة .

ووقوع هذه الإنجازات على المتلقي يعني أنه هو الذي يحدد مطابقة الإعلانات للواقع الذي غيرته بحيث لا يخرج عن إطار تلك الإعلانات الكلمات .مع الإشارة إلى أن الأفعال : (سلام- مرحبا- حياكم- طبتم) لإنجاز الشكر والتحية فهي تتدرج ضمن التعبيرات الاجتماعية أما : (وعزتي وجلالي- وعلوي- وكبريائي) لإنجاز القسم وتصنف ضمن التعبيرات النفسية .

ه-إعلانات : قرار وتعهد

مثال6: "أوحى الله تعالى إلى موسى ... يا موسى لأقطعن أمل كل مؤمل غيري ولأقصمن ظهر من استند إلى سواي ولأطيلن وحشة من استأنس بغيري ... يا موسى إن لي عباد إن ناجوني أصغيت لهم ... هم في حماي ... وبني يفتخرون ، أنا مدبر أمورهم ، وأنا سايس قلوبهم ، وأنا متولي أحوالهم " ².

يدرك المتلقي أن الأفعال (لأقطعن -لأقصمن - لأطيلن) إعلانات تتضمن قرار المتكلم وتعده المشروط بتهديد من اعتمد على غير الله . وبالمقابل فالأفعال : (هم في حماي - أنا مدبر أمورهم - أنا متولي) تتضمن قرار الحماية والتعهد بتدبير أمور وتولي

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 1، ص ص 483،484 .

² المصدر نفسه ،ج8، ص 354 .

أحوال من يناجي ربه ويتعلق به . واستنادها دائما إلى سلطة المقدس يضمن نجاح إنجازيتها من طرف المتكلم المسؤول عن تحقيق الأفعال السابقة ومطابقتها للواقع .

مثال7: "وصايا إلهية من التوراة: رويانا من حديث كعب الأحبار أنه قال: وجدت في التوراة اثنتي عشرة كلمة فكتبتها في عنقي انظر فيها في كل يوم إعجابا بها: يا بن آدم إن رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك وأنت محمود، وإن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا... ثم وعزتي وجلالي لا تتال منها إلا ما قدرت لك وأنت مذموم"¹ .

تدل الأفعال: (أرحت قلبك - أنت محمود - سلطت - أنت مذموم) على تعهد مشروط لأن الراحة والحمد ينجزان شريطة الرضا . وتسليط الدنيا والذم ينجزان أيضا بشرط عدم الرضا . والمتلقي يدرك أن اتكاء الأفعال على سلطة دينية مقدسة (التوراة) مقصود لضمان نجاحها وأن الكلمات تطابق واقع الأشياء المنجزة .

و-إعلانات : تسمية

مثال8: " يدعى صاحبها عبد المحي وهو الذي يعطي الحياة لكل شيء "² .

مثال9: "يدعى صاحبها عبد القادر وعبد القدير وعبد المقتدر " . قال الله عزوجل (وَهُوَ عَلِيٌّ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)³ "⁴ .

مثال10: "يدعى صاحب هذه الحضرة عبد السميع لأنه مسموع فيتضمن الكلام لأنه

مسموع وكذا الأصوات ... وقال (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ)⁵ "⁶ .

إن الفعل يدعى أو يلقب أو يسمى في سياقات أخرى يتضمن قرار إعلان تسمية الناس بالأسماء الإلهية المتجلية فيهم استنادا إلى الفعل المبني للمجهول بوصفه يمثل

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 352.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 8 .

³ سورة المائدة، الآية 120 .

⁴ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 17 .

⁵ سورة الأنعام، الآية 36 .

⁶ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 7، ص 340 .

سلطة الآخرين المشاركين أو الموافقين على التسمية نفسها . والمطابقة يحققها المتكلم الذي جعل الكلمات مطابقة فعلا لما هو موجود في العالم ، فلا يخفى على أحد أن الأسماء الإلهية مجسدة في الإنسان كما جسدتها الكلمات إعلانات التسمية .

مثال 11: "فلما أراد الله أن يسري بي ليرني من آياته... فسلمت على هارون عليه السلام فرد وسهل ورحب وقال مرحبا بالوارث المكمل، قلت: أنت خليفة الخليفة مع كونك رسولا نبيا؟"¹.

يفهم المتلقي من خلال السياق أن الصوفي بالأفعال (إن الله أسرى بي - فأراني) يعلن مصرحا مقنعا إياه بحصول الإسراء الروحي له . وأن الأفعال (ما فقدناك - كذبت) إعلان اتهام الصوفي بالنبوة أو الخبل أو الزندقة ، والاتهام هنا مصدره الفقيه عدو الصوفي لإنجاز الاتهام ذاته بصورة ناجحة .

ن-إعلانات :إعلام

مثال 12: " اعلم وفقنا الله وإياكم أن الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكفون "².

مثال 13: " ثم لتعلم وفقك الله أن العالم العلوي بالجملة هو المحرك عالم الحس والشهادة "³

مثال 14: " اعلم أن الله موصوف بالوجود لا شيء معه موصوف بالوجود من الممكنات بل أقول : إن الحق هو عين الوجود وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كان الله ولا شيء معه " يقول الله موجود ولا شيء من العالم موجود "⁴.

يعلن ابن عربي مستعملا الفعل (اعلم) أو (لتعلم) أن الحروف أمة موجودة وأن العالم العلوي متحكم في عالمنا وأن الله عين الوجود ، وباللغة والحروف نشأ الوجود كما رأينا في الفصل الأول، مستندا كما في المثال الأخير إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم من أجل إنجاح ما أعلنه ، مع الإشارة إلى أن فاتحة الجزء الأول إعلان يعلم فيه الفتح الرباني الحاصل له إلهاما مقذوفا في قلبه وهو في مكة من أجل تأليف الفتوحات المكية قائلا : " اعلم أيها الولي الحميم ، والصفي الكريم ، أنني لما وصلت إلى مكة

¹المصدر السابق، ج6، ص 82 .

²المصدر نفسه، ج 1، ص 95 .

³المصدر نفسه، ج3، ص 362 .

⁴المصدر نفسه، ج6، ص 194 .

البركات ،... وكان من شأنى فيه ما كان ... " ¹ . بل إن الإعلان بالفعل (اعلم) جاء مطردا يسري في كل أجزاء المدونة " فالخطاب ..برمته ، ينهض على مبدأ الطلب (اعلم أن) .فهو خطاب إنشائي من هذه الوجة ، أو طلبى ينهض على الأمر " ² . وهو من هذه الناحية يقتضى متلقيا لا يعرف ما فتح الله به قلب ابن عربي من معارف صوفية ، ولذلك فإن عبارة (اعلم أيها الولي) وأحيانا الحميم موجهة إلى أقرب الناس إليه وأحبهم إلى قلبه وهو عبد الله بن بدر الحبشي من أجل " إيصال المعرفة الصوفية الأكبرية للناس من خلاله " ³ .

وجدير بالذكر هنا أن ابن عربي هو المتكلم الحقيقي مسندا الكلام لذاته ، فجاء خطابه مباشرا . و في سياقات أخرى غير مباشر كما في هذا الفصل أو غيره ، إذ يروي خطابات كثيرة على السنة متكلمين آخرين ، كما هو الأمر بالنسبة للخطابات المروية من التوراة (الحديث بين الله وموسى) ، أو الرسول صلى الله عليه وسلم ، أو الرهبان من المسيحيين ، أو كبار المتصوفة أمثال الجنيد والبسطامي وبعض الصالحين متبنيا أفكارهم من أجل التأثير .

¹المصدر السابق ،ج1 ،ص 79 .

²محمد بن عتو ، مظاهر الاتساق في الخطاب الصوفي ، ص 56 .

³ساعد خميسي ،الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، ص 31 .

الفصل الثالث

الحجاج اللغوي

مباحث الفصل الثالث

- السلم الحجاجي
- قوانين السلم الحجاجي
- قانون النفي
- قانون القلب
- قانون الخفض
- الروابط الحجاجية
- أقسام الروابط الحجاجية
- الروابط السببية
- روابط التعليل
- العوامل الحجاجية
- المربع الحجاجي

نظرية الحجاج اللغوي l'argumentation dans la langue التي وضعها كل من أ.ج أنسكومبر J.C Anscombe وأزفالد ديكر O.Ducrot¹ ترى أن "البنى الحجاجية ليست ذات طبيعة منطقية، ولكنها لغوية بالأساس، داخلة في اللغة: التي تحتوي في بنيتها على معلومات تتعلق بالحجاج، هذه المعلومات يمكن تشبيهها وظيفيا بتحديد مسبق للتسلسلات الخطابية"². بمعنى أننا إزاء مفهوم لساني نصي للحجاج، تحققه متواليات من الأقوال/ الحجج التي تفضي إلى أقوال أخرى/ نتائج"³.

يرى هذا المنظور إذا أن "الحجاجية ليست مضافة إلى الملفوظ، ولكنها مسجلة في اللغة بوصفها أساسا لكل دلالة"⁴ حجاجية ظاهرة في بنيتها على أساس أن اللغة في جوهرها حجاج.

وعلى ضوء ذلك "تعتمد منهجية ديكر و على وصف الشواهد اللغوية أو النصية في ضوء رؤية لغوية حجاجية تركيبيا ودلالة وتداوليا، من خلال التركيز على مجموعة من المفاهيم الإجرائية، مثل: الروابط الحجاجية، والعوامل الحجاجية، والمبادئ والعلاقات الحجاجية، والسلم الحجاجي، ... والدليل الأقوى، والسياق، ... والنتائج، والقوة الحجاجية"⁵. وهي تمثل أهم محاور نظرية الحجاج اللساني.

1- السلم الحجاجي:

يعرفه ديكر وقائلا: "نسمي سلما حجاجيا كل علاقة ترتيبية لحجج معينة"⁶ من الأضعف إلى الأقوى وبالتالي فإن "الخاصية الأساسية للعلاقة الحجاجية أن تكون درجية، أو قابلة للقياس بالدرجات، أي أن تكون واصلة بين سلالم"⁷. موضحة بالرمز أو الشكل التالي:

¹J.C Anscombe.O.Ducrot : l'argumentation dans la langue.bruxcelles ,mardaga ,1983.

² جيل ديكلارك، التداولية والحجاج، ضمن كتاب لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، تر، صابر الحباشة، ص 245.

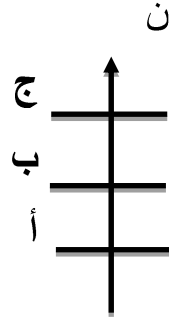
³ محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، ص 22.

⁴ جيل ديكلارك، التداولية والحجاج، ضمن كتاب لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية، تر صابر الحباشة، ص 246.

⁵ جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص، ص، 42، 43.

⁶ Oswal Ducrot : les echelles argumentatives editions de minuit, Paris, 1980, P : 18.

⁷ ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 277.



يخضع كل سلم لشرطين أو يتسم بما يلي¹:

1- كل قول يرد في درجة ما، يكون القول الذي يعلوه دليلاً أقوى منه بالنسبة إلى النتيجة/ ن.

2- إذا كان القول (أ) يؤدي إلى (ن) فهذا يستلزم أن القول (ب) وكذلك (ج) اللذين يعلوان (أ) يؤديان إلى النتيجة ذاتها والعكس غير صحيح.

علماً أن تدرج (ترتيب) العلاقات الحجاجية يقتضي التلازم بين القول/ الحجة والنتيجة المترتبة عليه. وانطلاقاً من خصوصية السياق والمقام يمكن التصريح بالنتيجة أو تركها ضمنية استنتاجية. والمثال التالي يوضح ذلك:

حجة 1: حصل زيد على الشهادة الثانوية.

2: حصل زيد على الإجازة.

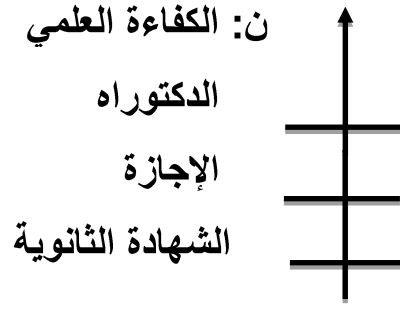
3: حصل زيد على الدكتوراه.

تتضمن هذه الأقوال حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية ونفس السلم الحجاجي وكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة غير مصرح بها وهي كفاءة زيد العلمية . والقول يرتب في أعلى درجات السلم الحجاجي، وبالتالي فإن حصول زيد على الدكتوراه هو أقوى دليل على مكانته العلمية والعكس غير صحيح* وتمثيلها على السلم يكون كما يلي²:

¹ ينظر: محمد عبد الباسط عبيد، في حجاج النص الشعري، ص 24.

* بمعنى أن القول لم ينل الشهادة الثانوية يؤدي إلى عكس النتيجة.

² ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 27.



والعلاقة السلمية التي تنشأ بين بعض الملفوظات، تفسر عمل بعض الروابط

الحجاجية، كما هو الشأن للرابطين "حتى" و "بل" في المثالين التاليين¹:

1- زيد لله دره من عالم، درس الفلسفة والطب وحتى علوم الشريعة.

2- شتمه وضربه، بل وقرّر فصله من العمل، يا له من ظالم.

إن دراسة الفلسفة والطب وعلوم الشريعة في القول 1 حجج مساندة للنتيجة (مكانة

زيد العلمية). ولكن الحجة الأخيرة دراسة الشريعة هي الحجة الأقوى مقارنة بالحجتين

الأولى والثانية، بسبب ورودها بعد حتى. وفي المثال 2 أيضا جاءت حجة الفصل من

العمل أقوى من الحجتين: شتمه وضربه في إسناد النتيجة "يا له من ظالم"². ومعنى هذا

أن بعض الروابط اللغوية تعضد الحجج الواردة في السلم الحجاجي وتمنحها القوة

الحجاجية اللازمة لضمان حصول التأثير في المخاطب.

1-2 قوانين السلم الحجاجي

يهدف اقتراح ديكرو للسليمات الحجاجية إلى وصف مراتب الأقوال التي تحدد وجهتها

وقوتها الحجاجيتين³، باعتبار أن العلاقة الجامعة بينها هي "تسلسل الأقوال وتتابعها بشكل

متنام وتدرجي"⁴ من الأضعف إلى الأقوى أي أن "السلم الحجاجي ...

سيكشف عن الدور الكبير الذي تؤديه العلاقات السلمية التي تنتظم الملفوظات اللغوية في

¹ ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط 1، 2001، ص، ص، 110، 111.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 111.

³ ينظر: سامية الديردي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه، ص 255.

⁴ Oswald Ducrot : les echelles argumentatives, op .cit, p : 12.

توليد الحجاجية داخل الخطاب" ¹. وانتظام الأقوال وتدرجها من الأضعف إلى الأقوى ليس اعتباطاً، فقد أخضعه ديكرو إلى ثلاثة قوانين.

1-2-1 قانون النفي:

إذا كان لدينا قول ما "أ" مستعملاً من المتكلم ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه أي " - أ" سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة ². والمثال التالي يوضح ذلك ³:

1- زيد قرأ كتاب سيبويه. يخدم النتيجة: زيد متضلع في النحو.

2- زيد لم يقرأ كتاب سيبويه. يخدم النتيجة المعاكسة زيد غير متضلع في النحو.

زيد غير متضلع في النحو

زيد متضلع في النحو

زيد لم يقرأ كتاب سيبويه

زيد قرأ كتاب سيبويه

1-2-2 قانون القلب:

إذا كان " 1 أ" أقوى من "أ" بالقياس إلى النتيجة "ن" فإنه في حالة النفي يكون " - أ" هو أقوى من " - 1 أ" بالقياس إلى "لا - ن" ⁴. وبصيغة أخرى إذا كانت إحدى الحجتين أقوى من الأخرى، فإن نقيض الحجة الثانية أقوى من نقيض الأولى في التديل على النتيجة المضادة ⁵.

ويمكن توضيح ذلك بالمثالين التاليين ⁶ :

1- زيد حصل على تكوين جيد، فقد نال الماجستير وحتى الدكتوراه.

2- زيد لم يحصل على تكوين جيد، فهو لم ينل الدكتوراه، ولا حتى الماجستير.

في المثال 1 القول "نال الدكتوراه" أقوى حجة مساندة للنتيجة "حصل زيد على تكوين جيد" مقارنة بالحجة الأضعف "نال الماجستير". وفي المثال 2 فإن الحجة الأقوى "نال الدكتوراه" عند نفيها "لم ينل الدكتوراه" تصير هي الحجة الأضعف، وبالمقابل

¹ رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص 108.

² O.Ducrot, les echelles argumentatives, op.cit, P : 27.

³ ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص 119.

⁴ O.Ducrot, les echelles argumentatives, op.cit, P : 27.

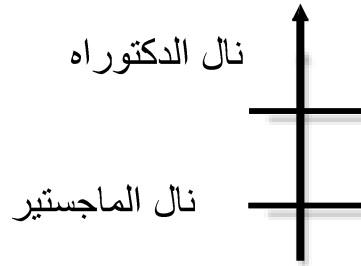
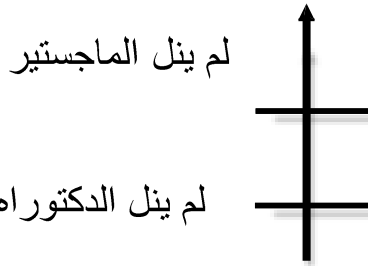
⁵ ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 28.

⁶ ينظر، رشيد الراضي المظاهر اللغوية مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص 120.

يصير نفي الحجة الأضعف "لم ينل الماجستير" هي الحجة الأقوى في مساندة النتيجة المضادة.

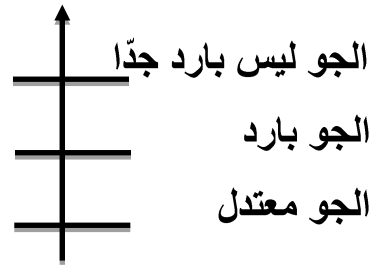
لم يحصل على تكوين جيد

حصل على تكوين جيد



1-2-3 قانون الخفض:

إذا كان القول "أ" يشير إلى مجال من السلم، فإن نفيه " - أ" سيشير إلى المجال الأدنى من السلم نفسه ¹، بمعنى النزول في السلم بعبارة "أقل من" وليس الصعود فيه، حيث أن كل نفي لرتبة من السلم ينتج عنها ما دونها في هذا السلم. فإذا قلنا الجو ليس باردا جدا، فالذي أسفل أو تحت "بارد جدا" هو "بارد معتدل" وليس ما يترتب أعلاه (قارس أو صعيقي مثلا). والقول بأن "الجو ليس باردا" يترتب أو يقع تحته "معتدل". وتمثيل ذلك يكون على النحو التالي ²:



يبين إجراء الدراسة أنّ القوانين الثلاثة هذه حاضرة بقوة، عندما يتعلق الأمر بانتظام الأقوال اللغوية وتدرجها وفق العلاقات السلمية السابقة.
بالنسبة لقانون النفي، وقف البحث عند دراسة الأمثلة التالية:

¹O.Ducrot, les echelles argumentatives, op.cit. P : 31.

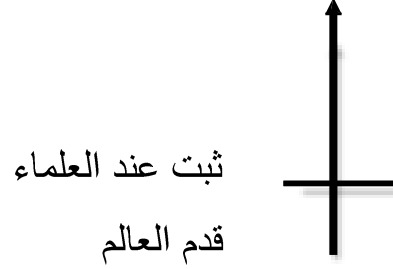
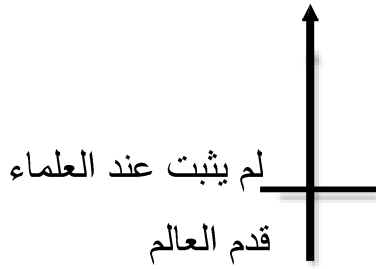
² ينظر: رشيد الراضي، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، ص 121.

مثال 1: "فإذ قد ثبت عند العلماء بالله قدم علمه، فقد ثبت كونه مخترعا لنا بالفعل لا أنه اخترع مثالنا في نفسه الذي هو صورة علمه بنا إذ كان وجودنا على حد ما كنا في علمه"¹.

إذا اعتبر المتكلم القول/ الحجة "ثبت عند العلماء بالها قدم العالم" يساند النتيجة "ثبت كونه مخترعا لنا" *، فإنه يعتبر أن نفي القول نفسه "لم يثبت عند العلماء بالله قدم العالم" يعارضها ويساند النتيجة المعاكسة "لم يثبت كونه مخترعا لنا".

لم يثبت كونه مخترعا لنا

ثبت كونه مخترعا لنا

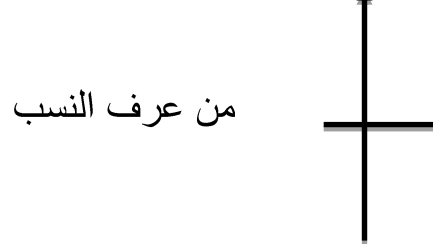
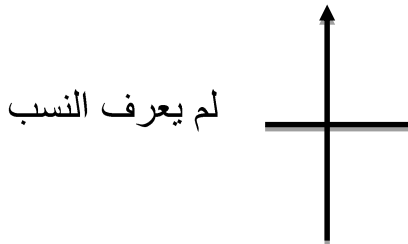


مثال 2: "فمن عرف النسب فقد عرف الله ومن جهل النسب فقد جهل الله"².

الحجة "من عرف النسب" * تساند النتيجة "عرف الله" ونفي الحجة "من لم يعرف النسب" يعارضها ويساند عكسها "لم يعرف الله"

لم يعرف الله

عرف الله



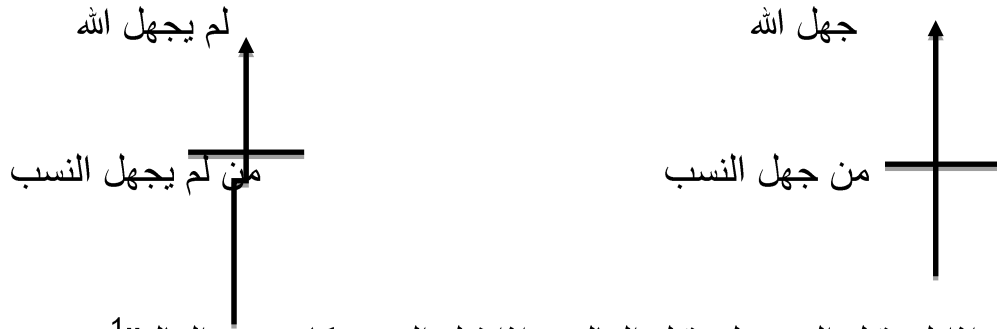
¹ ابن عربي، الفتوحات المكيّة، ج 1، ص 142.

* يجب الإشارة في هذا السياق إلى أن العالم قديم إذا اعتبرت ثبوته في العلم الإلهي، ومحدث إذا اعتبرت وجوده العيني الحسي الظاهر، ينظر: محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص 179.

² ابن عربي، الفتوحات المكيّة، ج 3، ص 112.

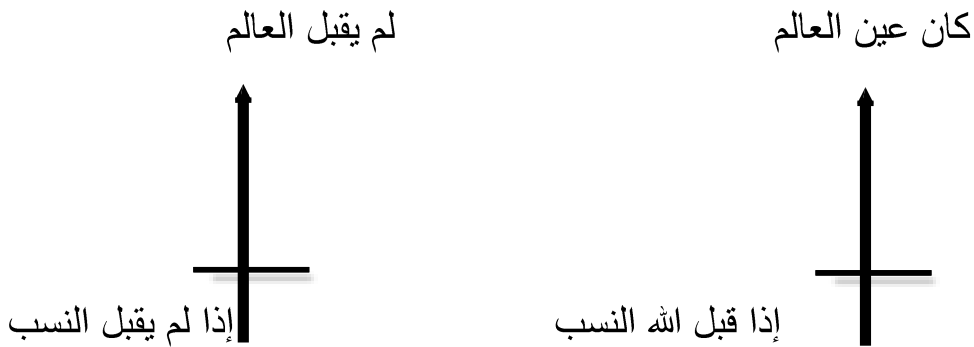
* النسب: نسب وإضافات سبق للبحث أن أشار إليها في ص من الفصل، وزيادة على ذلك: فإن النسب أسماء إلهية حاضرة في الموجودات، محتجبة في أشياء العالم، لا أعيان لها ليس لها وجود حسي مستقل، يجمعها اسم جامع هو الأولوية. وبعبارة أخرى هناك ثلاث مراتب لحقيقة واحدة هي الوجود الحق المطلق. فإذا نظرنا إلى هذه الحقيقة في مرحلة الإطلاق والتجرد قلنا = الذات، و إذا نظرنا إليها من حيث أحكامها الباطنة المعقولة (أسمائها) قلنا = الأولوية، و إذا نظرنا إليها من حيث ظهور هذه [هذه الأسماء] في حقائق حسية كثيرة [الموجودات] قلنا = العالم. فهذه إذن ثلاث مراتب للوجود هي الوجود الذاتي (الذات الإلهية) و الوجود العقلي (الألوهية) و الوجود الحسي (العالم) ينظر نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، ص 64.

وأيضاً "من جهل النسب" يساند النتيجة "جهل الله" ونفي الحجة "من لم يجهل النسب" يساند النتيجة المعاكسة "لم يجهل الله".



مثال 3: "وإذا لم يقبل النسب لم يقبل العالم، وإذا قبل النسب كان عين العالم"¹.

الحجة هي أن "إذا قبل النسب" ، تساند النتيجة "كان عين العالم" ولأن النسب أسماء إلهية و"الأسماء عين العالم والعالم مظهر الحق فإن هذا يدل على أن الحق ظاهر بالأسماء لا بالذات وإن هذه الأسماء هي أسباب الموجودات"² . ونفي الحجة "وإذا لم يقبل النسب" -وقد تقدم- يساند النتيجة المعاكسة "لم يقبل العالم" لأن "الذات الإلهية لو تعرت عن تلك النسب التي تصلها بالخلق، وتجردت عن تلك العلاقات التي تربطها بالموجودات، لم تكن إلهاً لأن الأولوية تقتضي المألوية ... فالحق الرب يقتضي الخلق المربوب. والحق الوهاب يفترض الخلق الموهوب، وهكذا سائر الأسماء الإلهية "فنحن جعلناه بمألوهيتنا وصفاتها فلا يعرف الله إلا بمعرفة العالم، أو بإصـ طلاح المتصوفة لا يعرف الحق إلا بمعرفة الخلق، وما الأوصاف التي نطلقها على الله إلا أوصافنا رفعناها من منزلة الإنسانية إلى منزلة الأولوية"³.



مثال 4: "فالحق مرآة للعالم ظهر فيها صور العالم فرأت الممكنات نفسها في مرآة الحق

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج3، ص112.

² أحمد الصادقي ، حضور الغياب في صوفية ابن عربي ، ص85 .

³ محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص 171.

الوجود فتوقفت في الوجود عليه وتوقف في العلم به على العلم بها"¹.

تساند الحجة "الحق مرآة العالم" ثلاث نتائج هي:

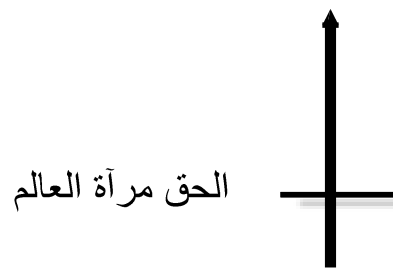
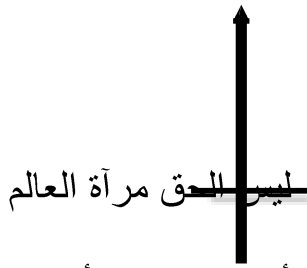
1- ظهر فيها صور العالم*.

2- رأى الممكنات نفسها في مرآة الحق.

3- توقفت في الوجود عليه.

ونفيها يساند نتائج معكوسة من مثل ليس الحق مرآة العالم ولم تظهر فيها صور العالم، ولم تر الممكنات نفسها في مرآة الحق ولم يتوقف وجودها عليه. كما هي موضحة في السلم التالي :

لم تظهر فيها صور العالم	ظهر فيها صور العالم
لم تر الممكنات نفسها في مرآة الحق	رأت الممكنات نفسها في مرآة الحق
لم تتوقف في الوجود عليه	توقفت في الوجود عليه



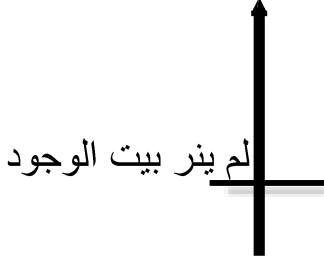
مثال⁵: "فلما برزت صور العالم من العلم الأزلي إلى العلم الأبدي ... بعدما أسرج السرج وأنار بيت الوجود وبقي هو في ظلمة الغيوب فشوهت الصور متحركة ناطقة بلغات مختلفات والصور تنبعث من الظلمة"³.

تساند الحجة "أنار بيت الوجود" النتيجة "مشاهدة الصور متحركة ناطقة ... منبعثة من الظلمة" أي أن الصور "بالحق خرجت إلى الظهور وفي ظهورها اختفى وظهر،

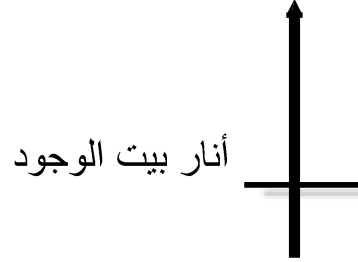
¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 7، ص 31.
 *شبه ابن عربي العالم في الإيجاد الأول بمرآة غير مجلوة وقد اقتضى الأمر جلاء مرآة العالم فكان آدم، وبالتالي فالإنسان صورة لله -في تأويله باعتباراه أعلى وجود على الشاكلة، أو الصورة الممثلة للحق، أي أن الوجود على الصورة خاص بالإنسان، لأن الصورة تجعل كل نسب الحق (الأسماء) هي عينها نسب الإنسان، ومن هنا فمفهوم الصورة ينسجم مع الأولوهة، فابن عربي خلافا للفلاسفة لم يبحث في تحديد الذات الإلهية في تعاليها المطلق لأنها مجهولة لا تقبل التحديد، وبالتالي كان اهتمامه على الأولوهة في العالم، برصد تجليات الأولوهة أي الأسماء والصفات الإلهية في الإنسان. ينظر: خالد بلقاسم، الكتابة والتصوف عند ابن عربي، ص 71 وأيضاً: أحمد كازي، الصورة والوجود عند ابن عربي، ضمن كتاب ابن عربي في أفق ما بعد الحداثة، محمد مفتاح، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2003، 1، ص 67 وما بعدها.
³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص179.

ولذلك فإنها ليست واجبة بغيرها إذ ليس هناك في الوجود غير الحق" ¹. ونفي الحجة يعارض هذه النتيجة ويساند عكسها بالقول "لم ينر الوجود، ولم تشاهد الصور متحركة ناطقة".

لم تشاهد الصور متحركة



شوهدت الصور متحركة



مثال 6: "الله أخبر أنه أحب أن يعرف ومقتضى الحب معروف، فخلق الخلق وتعرف إليهم فعرفوه" ².

تساند الحجة "الله أحب أن يعرف" النتيجة "خلق الخلق وتعرف إليهم"، ونفي الحجة "لم يحب الله أن يعرف" ينتج عنه العكس "لم يخلق الخلق ولم يتعرف إليهم ولم يعرفوه".
مثال 7: "فأشقى الناس من باع آخرته بدنيا غيره، ومن هلك فيما لا يحصل بيده منه شيء فيشهد على نفسه أنه أجهل الناس بغيره" ³.

النتيجة "أكثر الناس شقاء" - وقد تقدمت - تساندها الحجتان "من باع آخرته بدنيا غيره" و "من هلك فيما لا يحصل بيده شيء" ونفيها يؤدي إلى عكس النتيجة وهي عدم الشقاء.

إذا جئنا لقانون القلب، يمكن التمثيل له من المدونة بما يلي: مثال 1: "سمع أبو يزيد البسطامي قارنا يقرأ هذه الآية (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًّا) ⁴ فبكى حتى ضرب

¹ أحمد الصادقي، حضور الغياب في صوفية ابن عربي، ص 69.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 7، ص 10.

³ المصدر نفسه، ج 6، ص 91.

⁴ سورة مريم، الآية 85.

الدمع المنبر، بل روي أنه طار الدم من عينيه حتى ضرب المنبر وصاح وقال: يا عجا كيف يحشر إليه من هو جليسه"¹.

يعود ترتيب الحجج بحسب قوتها إلى الرابطين "حتى" و "بل" على النحو التالي:

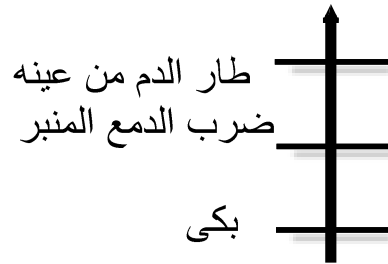
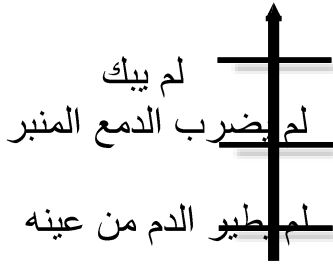
- أبو يزيد يتقي الله، فقد بكى حتى ضرب الدمع المنبر، بل طار الدم من عينيه.
- أبو يزيد لم يكن يتقي الله، لم يطير الدم من عينيه، بل لم يضرب الدمع المنبر، ولا حتى بكى.

يمثل القول "طار الدم من عينيه" في المثال 1 أقوى حجة في مساندة النتيجة

المضمرة "أبو يزيد من المتقين" مقارنة بالحجة الضعيفة "ضرب الدمع المنبر" والأضعف من الضعيفة "فبكى أبو يزيد" وتصبح الحجة الأقوى في المثال 2 هي الأضعف عند نفيها "لم يطير الدم من عينيه". وتصير الضعيفة قوية "لم يضرب الدمع المنبر" مقارنة بالحجة الأضعف "لم يطير الدم من عينيه"، وتتحول الحجة الأضعف من الضعيفة إلى الحجة الأقوى "حتى أنه لم يبك". وتمثيل ذلك على السلم يكون على الشكل التالي:

أبو يزيد لم يتق الله

أبو يزيد يتقي الله



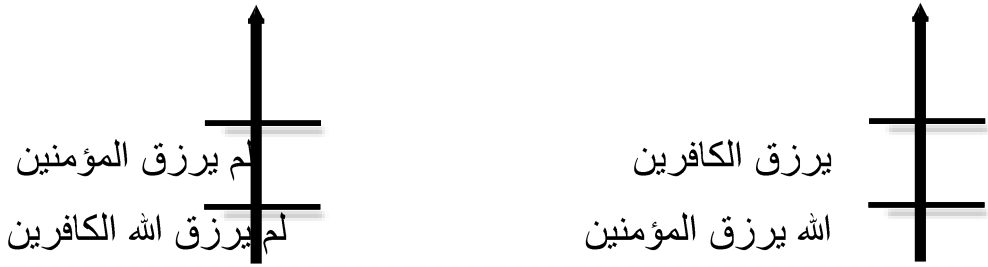
مثال 2: "فهو في الدنيا يرزق مع الكفر ويعاني ويرحم فيكف مع الإيمان"²

ترتيب الحجج في هذا المثال يكون:

1. الله يرزق ويرحم المؤمنين وحتى الكافرين.
2. لم يرزق الله الكافرين، بل لم يرزق المؤمنين.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 318.
² المصدر نفسه، ج 3، ص 544.

في المثال 1 الحجة الأقوى هي "الله يرزق الكافرين" في مساندة النتيجة "رحمة الله الواسعة لكل الأشياء" مقارنة بالحجة الضعيفة "يرزق المؤمنين" وعند قلب الحجتين بالنفي في المثال 2 تصير الحجة القوية ضعيفة "لم يرزق مع الكفر". وبالمقابل تتحول الضعيفة إلى قوية "لم يرزق مع الإيمان". وتمثيلها السلمي يكون كما يلي:



مثال 3: "كنا أهل بيت طلعت الشمس علينا وما على الأرض أحد أعز منا فما غربت تلك الشمس حتى رحمنا عدونا"¹.

ترتيب الحجج:

1. رحمنا صديقنا وحتى عدونا.

2. لم نرحم عدونا بل لم نرحم صديقنا.

أما تمثيلها البياني:



فإذا كانت حجة "رحمنا عدونا" أقوى من "رحمنا صديقنا"، فإن حجة "لم نرحم صديقنا" تصبح أقوى من "لم نرحم عدونا عند القلب".

مثال 4: "دخل رجل نصراني مشرك بعض البلاد فبينما هو يمشي وإذا بالناس يهرعون من كل مكان ويقولون هذا السلطان قد أقبل فوقف المشرك ليراه فإذا به أسود كان مملوكا

¹المصدر السابق، ج8، ص384.

لبعض الناس وأعتقه مجدع الأطراف أقبح الناس صورة فلما نظر إليه قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكه يفعل ما يريد ويحكم ما يشاء فقبل له: ما الذي دعاك إلى الإسلام والتوحيد؟ فقال: سلطنة هذا العبد الأسود فإني رأيت المحال أن يجتمع اثنان على تولية مثل هذا على الناس والأشراف والعلماء وأرباب الدين فعلمت أن الله واحد يحكم بعلمه في عبادته كيف يشاء لا إله إلا هو"¹.

جاءت الحجج مرتبة عبر الواو بوصفه رابطا بين الأقوال كما يلي:

1. العبد الأسود سلطان على الناس والأشراف والعلماء وأرباب الدين.

2. لم يكن العبد الأسود سلطانا على أرباب الدين ولا العلماء والأشراف ولا حتى

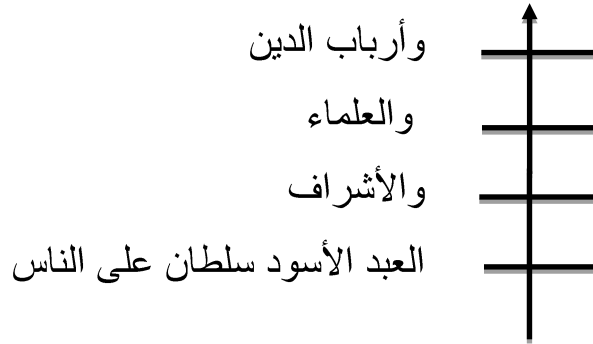
على الناس. فتولية العبد على الأشراف والعلماء أقوى نتيجة مساندة للنتيجة

"سلطنة العبد الأسود" مقارنة بالحجة "هو سلطان على الناس". فبالمقابل فإن

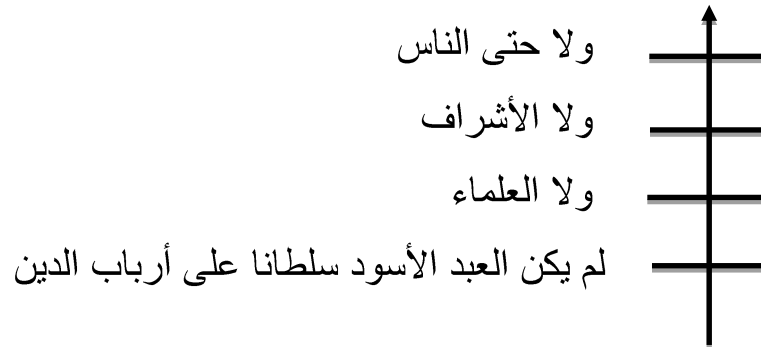
عدم توليته على الناس أقوى حجة على عدم توليته على الأشراف والعلماء

وتمثيلها السلمي يوضح ذلك:

العبد الأسود سلطان



الأسود ليس سلطانا



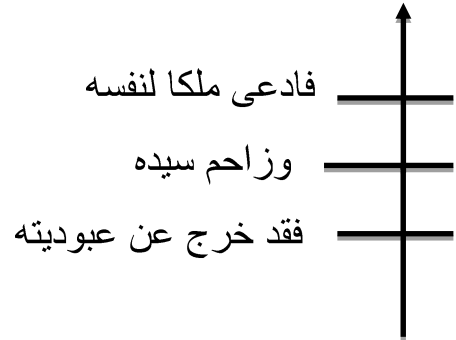
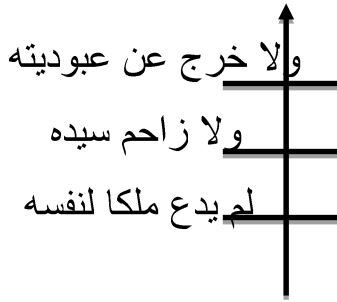
¹ المصدر السابق، ج 8، ص 302.

يبين هذا السلم أن الحجج مرتبة من العام (الأسود سلطان يتحكم في الناس) إلى الخاص (الأشراف-العلماء-أرباب الدين)، لأن التخصيص هنا هو الحجة الأقوى في أعلى هرم السلم القادر على إثارة انتباه المخاطب وإقناعه بسلطنة العبد. والدليل على ذلك أنه لو قال العبد سلطان على أرباب الدين والعلماء والناس لكان القول لاحنا حجاجيا. مثال5: "وهل رأيتم عبدا يخاصم ربه إلا إذا خرج عن عبوديته وزاحم سيده في ربوبيته فادعى ملكا لنفسه"¹.

إن الحجة "ادعاء الإنسان الملك لنفسه" أقوى من "مزاحمة الله"، والمزاحمة أقوى من "الخروج عن العبودية" في مساندة النتيجة "يخاصم العبد ربه". وتصبح الحجة الأضعف "الذي لم يخرج عن عبوديته" أقوى من الذي "لم يزاحم سيده"، وعدم المزاحمة أقوى من عدم "ادعاء الملك" في إثبات عكس النتيجة "لم يخاصم العبد ربه" والتمثيل السلمي يوضح ذلك.

لم يخاصم العبد ربه

يخاصم العبد ربه



جاء ترتيب الأقوال الحجاجية من الإجمال فقد خرج عن عبوديته إلى التفصيل : زاحم سيده فادعى ملكا لنفسه. ولأن "المجمل ما لم تتضح دلالاته"²، فإن التفصيل يأتي لتوضيح المجمل الغامض. والتوضيح يؤدي إلى الإقناع أو زيادته. ومن هنا كان التفصيل عبر الرابط الواو والفاء هو الحجة الأقوى على حمل المخاطب على الاعتقاد بالنتيجة "يخاصم العبد ربه".

¹ المصدر السابق، ج 6، ص 91.

² السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، مصر (د.ت)، ص 24.

يبين المثالان 4 و5 أن الروابط لوحدها ليست كافية في تحديد مراتب الحجج من الأقوى إلى الأضعف، أي أن الترتيب السلمي تعضده علاقات دلالية من مثل: التعميم والتخصيص، الإجمال والتفصيل، الكل والجزء.

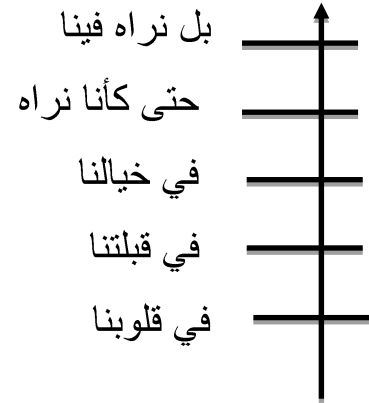
مثال6: "ونجعله نصب أعيننا في قلوبنا وقبلتنا وفي خيالنا حتى كأننا نراه بل نراه فينا لأننا عرفناه بتعريفه لا بنظرنا"¹.

أسهمت الروابط التالية: الواو- حتى-الكاف-بل في ترتيب الحجج من الأقوى إلى الأضعف. فحجة نرى الله فينا أقوى من "كأننا نراه"، وهي أقوى من "نراه في خيالنا" و "نراه في خيالنا" أقوى من "في قبلتنا". والحجة "في قلوبنا" هي الحلقة الأضعف في مساندة النتيجة "نعرف الله ونستحضره دوما". والحجج الأضعف تنقلب بالنفي وتصبح هي الأقوى في هرم السلم، بمعنى "لم نر الله في قلوبنا" هي الأقوى ثم يليها "لا في قبلتنا ... " وهكذا في مساندة النتيجة "لم نعرف الله ولم نستحضره دوما".

لم نستحضر الله دوما معنا



نستحضر الله دوما معنا



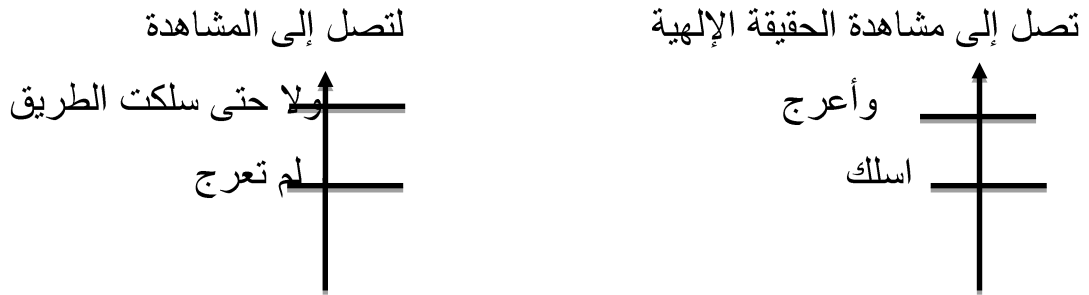
يقوم السلم الحجاجي على ترتيب الأقوال من الكل أمامنا إلى الأجزاء التالية: قلوبنا- قبلتنا- خيالنا. ومن العام نراه في غيرنا إلى الخاص نراه فينا، لأن الأجزاء أقوى إقناعا وتأثيرا في إيصال النتيجة نستحضر الله فينا مقارنة مع الكل أي أن "الجزء أكثر إقناعا، لدقته، من الكل وأن العام، لغموضه، أقل نجاعة من الخاص"².

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 3، ص 489.

² عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 134.

مثال7: "فإن فهمت فقد أوضحنا لك المنهاج ونصبنا لك المعراج، فاسلك وأعرج تبصر وتشاهد ما بيناه لك ولما عينا لك درج المعارج"¹.

الحجة التي جاءت بعد الرابط الواو وهي "أعرج" أقوى من التي جاءت قبله "فاسلك". والحجة الأقوى من أجل مساندة النتيجة "تصل إلى مشاهدة الحقيقة الإلهية" وعند القلب فإن "لا سلكت الطريق" أقوى حجة من "لم تعرج" من أجل إثبات النتيجة المعكوسة "لن تصل إلى مشاهدة هذه الحقيقة".



وترتيب الحجج من العام سلوك الطريق الصوفي إلى الخاص المعراج الصوفي

يهدف إلى الإقناع ، لأن المخاطب إذا لم يذعن إلى سلوك الطريق ، فإنه سيذعن إلى إجراءات المعراج المؤدي إلى بلوغ الحقيقة الإلهية . وعلى هذا الأساس كان التخصيص هو الحجة الأقوى القادرة على حمل المخاطب على الاعتقاد بالنتيجة المذكورة في السلم . ولو عطف المتكلم الحجة الضعيفة على القوية لكان المعنى شاذاً حجاجياً .

ومعنى هذا أن المعاني المعجمية للكلمات المنتمية إلى نفس القسم/ الحقل متقاربة، وتقاربها يقتضي الترتيب السلمي للمعاني أو الأقوال الحجاجية التي تعضد عمل الروابط السابقة، الواو، حتى، بل أو ثم كما في المثال التالي:

مثال8: "قال الله تعالى في أصحاب هذه الحضرة (سُحِبُّهُمْ وَصُحِبُّونَهُمْ)² ... فإن هذه الصفة لها

أربع أحوال لكل حال اسم تعرف به وهي: الهوى والود والحبّ والعشق، فأول سقوطه في القلب وحصوله يسمى هوى من هوى النجم إذا سقط، ثم الود وهو ثباته، ثم الحبّ وهو صفاؤه وخلاصه من إرادته فهو إرادة محبوبه، ثم العشق وهو التفافه بالقلب مأخوذ

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 255.
² سورة المائدة، الآية، 54.

من العشقة اللبلابة المشوكة التي تلتف على شجرة العنبة وأمثالها، فهو يلتف بقلب المحب حتى يعميه عن النظر إلى غير محبوبة¹.

إذا كان العشق أقوى من الحبّ والحبّ أقوى من الود والود أقوى من الهوى في مساندة النتيجة صفات حضرة الحبّ، فإن ترتيب الحجج يعود إلى الرابط "ثم"، ولأنه يفيد الترتيب في اللغة العربية، فإن وجوده مؤشر على ترتيب الأقوال بهذه القوة الحجاجية المؤكدة بالمعاني المعجمية المنتمية إلى نفس القسم حضرة الحبّ وحضرة الحبّ إجمالاً تم تفصيله عبر الواو، وتفصيل المفصل مرة ثانية بالحرف "ثم" والتفصيل أكثر دقة وإيضاحاً وإقناعاً من المجمل كما هو موضح على السلم التالي :

أربعة أحوال لإثبات حضرة الحب عدم إثبات حضرة الحب



فالحجج القوية من خلال هذا السلم صارت ضعيفة عند قلبها بالنفى.

مثال 9: "اعلموا أن المراد * في اصطلاح القوم هو المجذوب ** عن إرادته مع تهيؤ الأمور له، فهو يجاوز الرسوم والمقامات من غير مشقة بل بالتذاذ وحلاوة وطيب تهون عليه الصعاب وشدائد الأمور"².

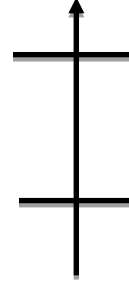
يعود ترتيب الحجج إلى الرابط "بل" والمعاني المعجمية المصنفة ضمن نفس الحقل. وقلبها بالنفى دائماً يؤكد أن الحجج القوية تصبح ضعيفة كما هي موضحة في السلم التالي:

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 7، ص 381.
* المراد: هو العارف الذي لم تبق له إرادة، وقد وصل إلى النهايات عبر الأحوال والمقامات ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 227.
** المجذوب: من ارتضاه الحق تعالى لنفسه، واصطفاه وظهره فحاز من المنح والمواهب ما فاز به في جميع المقامات، ينظر/ المرجع نفسه، ص 220.
² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 4، ص 228.

المراد المجذوب عن إرادته

بل بالتذاذ وحلاوة وطيب

يجاوز الرسوم والمقامات من غير مشقة



لم يجذب المراد عن إرادته

بل لم يجاوزها من غير مشقة

لم يجاوز المقامات بالتذاذ وحلاوة وطيب



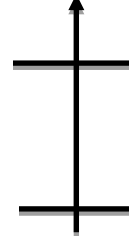
مثال 10: "فإن الإنسان الحيوان يرزق رزق الحيوان وهو للكامل وزيادة، فإن الكامل له رزق إلهي لا يناله الإنسان الحيوان، وهو ما يتغذى به من علوم الفكر الذي لا يكون للإنسان الحيوان والكشف والذوق والفكر الصحيح"¹.

الحجج له رزق إلهي أقوى من له رزق الحيوان في مساندة النتيجة الإنسان الكامل والقلب بالنفي بالقول "لم يكن للإنسان رزق الحيوان يجعلها أقوى حجة من لم يكن له رزق إلهي لإثبات النتيجة لم يكن الإنسان كاملاً. والسلم التالي يوضح ذلك:

الإنسان الكامل

له رزق إلهي (ألوهيته)

له رزق الإنسان الحيوان (جسميته)



¹ المصدر السابق، ج 6، ص 95 .

لم يكن الإنسان كاملا

ولا حتى رزق الإنسان الحيوان (جسميته)

لم يكن له رزق إلهي



مثال 11: "فآدم يقول: خلقتني ربي بيديه، وابنه شيث يقول: بيني وبين يدي ربي أبي، وهكذا الموجودات الطبيعية مع الطبيعة من ... جماد ونبات وحيوان وإنسان وملك مخلوق من نفس إنسان ... ولا يعرف ذلك من أصحابنا إلا القليل فكيف من ليس من أهل الإيمان والكشف"¹.

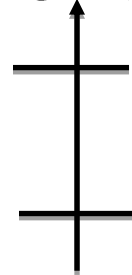
تحدث ابن عربي كثيرا عن خلق آدم، وكان يستند إلى الحديث النبوي المنسوب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وهو "خلق الله آدم على صورته" ويعلق عليه: "اعلم أن كل ما يتصوره المصور فهو عينه لا غيره، فإنه ليس بخارج عنه"². ومعنى هذا أن آدم وسائر الموجودات موجودة في علم الله القديم، وبها عرف الله نفسه في مرآة الوجود عندما أوجدها " ذلك أن الله لما أحب أن يعرف بغيره أوجد العالم لتتم له المعرفة القديمة والحادثة"³. وهذه الحقيقة لا يعرفها/ يجهلها أكثرية أصحاب الكشف وجميع من ليس من أهل الكشف.

وعليه فإن أكثرية أصحاب الكشف أقوى حجة مساندة للنتيجة للحقيقة السابقة المجهولة مقارنة بعوام الناس، وعوام الناس تصبح أقوى من حجة أكثرية أصحاب الكشف إذا نفينا الجهل بالحقيقة السابقة. والسلم التالي يوضح ذلك

يجهلون حقيقة خلق العالم

أكثرية أصحاب الكشف

عوام الناس

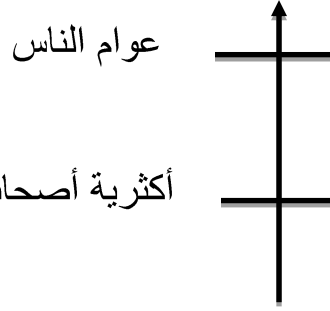


¹ المصدر السابق، ج 3، ص 163.

² المصدر نفسه، ج 3، ص 184.

³ محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص 253.

لا يجهلون حقيقة خلق العالم

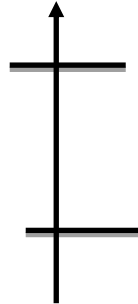


إذا كان التمثيل السلمي هنا يوضح ترتيب الحجج في ضوء قانون القلب، فإن قانون الخفض حاضر أيضاً، لأن القول بأن الحقيقة لا يعرفها من أصحاب الكشف إلا القليل يشير إلى ما هو أدنى في السلم وهو أن الكثير من أصحاب الكشف لا يعرفون حقيقة خلق العالم كما أن نفي الرزق الإلهي (الصورة الإلهية) عن الإنسان في المثال 10 ينتج عنه ما دونه وهو رزقه الحيواني الجسماني (الصورة الجسمية).

ومن الأمثلة التي تدرج ضمن قانون الخفض ما يلي:

مثال 1: "السؤال الثالث والعشرون: ما معنى قوله عليه السلام: "كان الله ولا شيء معه" الجواب: "لا تصحبه الشئية ولا تنطلق عليه، وكذلك هو ولا شيء معه، فإنه وصف ذاتي له سلب الشئية عنه وسلب معية الشئية لكنه مع الأشياء وليست الأشياء معه ... فهو يعلمنا فهو معنا ونحن لا نعلمه فلسنا معه .. الله موجود ولا شيء معه أي ما ثم من وجوده واجب لذاته غير الحق"¹.

فنفي الأشياء والموجودات عن ذات الله، يترتب عنه ما يقع تحت سلب الشئية عنه وهو وحده فقط، أي أن الذات الإلهية واحدة وليست متعددة، وتمثيل ذلك سلمياً على النحو التالي:



كان الله ولا شيء معه

الله وحده فقط

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج 3، ص 84.

مثال²: "سمي الوجود المقيد بشرا واختص به الإنسان لأنه أكم ل الموجودات خلقا، وكل نوع من الموجودات ليس له ذلك الكمال في الوجود فالإنسان أتم المظاهر"¹.

إن نفي الكمال عن الموجودات باستثناء الإنسان، يترتب عنه ما يقع تحت أسفل هذا النفي وهو أن الموجودات الأخرى أقل كمالا من الإنسان.

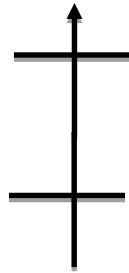
مثال³: "قال موسى: يا رب لو خلقتنا في الجنة وكفيتنا محن الدنيا ومصائبها أليس خيرا لنا؟ قال: يا موسى قد فعلت بأبيكم آدم ما ذكرت ولكن لم يعرف حقها... وآليت على

نفسي أن لا يدخلها أحد من ذريته إلا من قبل وصيتي وأوفى بعهدي (لَا يَنَالُ عَهْدِي

الظالمين)² ولا يدخل جنتي المتكبرين لأنني جعلتها للذين (لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا

فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)."⁴.

يترتب سلميا عن نفي دخول أي أحد من ذرية آدم باستثناء الذين أوفوا بعهد الله وقبلوا وصيته، ما يقع تحت هذا الاستثناء وهم أقل أو جزء من ذرية آدم الكثيرة. ويترتب أيضا عن نفي دخول المتكبرين المتعالين إلى الجنة، ما يقع معنويا تحت هذا النفي وهم المتواضعون بوصفهم يدخلون الجنة. ويمكن تمثيل ذلك على النحو التالي:



لا يدخل الجنة ذرية آدم كلهم

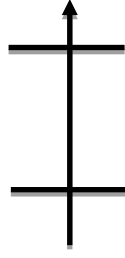
يدخلها القليل منهم (الموفون بعهد الله فقط

¹ المصدر السابق، ج 3، ص 106.

² سورة البقرة، الآية 124.

³ سورة القصص، الآية 83.

⁴ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 353.

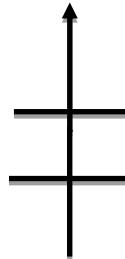


لا يدخل الجنة المتعالون

يدخلها المتواضعون

مثال 4: "قال أبو يزيد وهو من أهل الكشف والوجود: إن الله قال له في بعض مشاهدته معه تقرب* إليّ بما ليس لي: الذلة والافتقار، فاعلم أيها المستفيد أن الحق تعالى له الرحمة والعفو والكرم والمغفرة... وكذلك له الانتقام والبطش الشديد... ومن المحال أن تكون آثار هذه الأسماء فيه أو يكون محلاً لآثارها، فرحيم بمن، وعفو عن، وكريم على من، وغفور لمن، وذو انتقام ممن"¹.

إذا كان الله ليس له الذلة والافتقار، فإن ما يترتب تحت سلم هذا النفي أن الله غني عن العالمين إذ "يرى ابن عربي أن هناك صفة ثبوتية واحدة للذات الإلهية هي صفة الاستغناء الذاتي، تقابلها للممكن (العالم) صفة ثبوتية نقيضة هي الافتقار الذاتي والعلاقة بين الصفتين –الاستغناء والافتقار- هي علاقة الإله بالمألوه. ومن هذه العلاقة الأولية القائمة على الانفصال الكامل بين طرفيها تبدأ مجموعة من العلاقات المشتركة بين الذات والعالم عن طريق وسيط الألوهة هذا الذي ليس بدوره سوى مجموع هذه العلاقات"². أو مجموع الأسماء الإلهية "فإذا نظرنا إليه من حيث تعيينات ذاته في صور الوجود فهو يسمع ويبصر مثلاً، لا بمعنى أن سمعه وبصره يشبهان سمع مخلوقاته وبصرهم، بل بمعنى أنه متجل في صورة كل من يسمع وما يسمع، وكل من يبصر وما يبصر، أو أنه جوهر كل من يسمع ويبصر"³.



ليس لله الذلة والافتقار

له مجموع الأسماء الإلهية

(له الرحمة والعفو والبطش)

* القربة: ظهور العبد في تنوعات الأسماء، يريد حدوثه في العالم كأن يبيري الأكمة ويحي الموت مثلما فعل عيسى عليه السلام، وغير ذلك مما هو الله تعالى، فإنه يكون قد قارب الحق، أي صار في جوازه، فالقرب هو الجواز. ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 202.

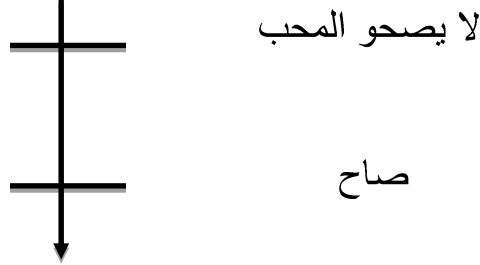
¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 6، ص 35.

² نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، ص 60.

³ محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص 302.

مثال 5: " فلنذكر طرفا من نعوت الحبّ الذي ينبغي أن يكون المحبّ عليها إن شاء الله وبها يسمى محبّا... سكران لا يصحو* مراقب متحرلمراضيه"¹.

ففي الصحو عن المحبّ إذا يترتب عنه سلميا ما هو مصرّح به أدناه وهو السكر، وتمثيل الحجاج سلميا وضح ذلك:

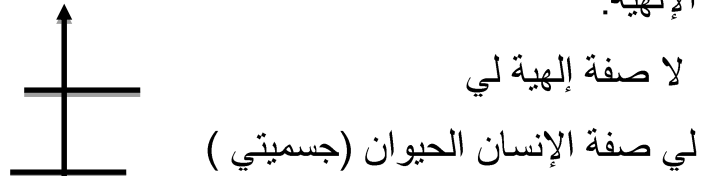


مثال 6: "ليس الأسماء أعيانا موجودة وإنما هي نسب"².

يترتب عن نفي أن تكون الأسماء الإلهية المتجلية في الإنسان أعيانا أي ذواتا موجودة حسيّا، ما يقع تحت الوجود الحسي وهو الوجود العقلي المجرد "ونتيجة لذلك فهي تقع في دائرة وسطى بين الوجود الحق (الذات الإلهية) والوجود المقيد المضاف (العالم) . ويصعب والحالة هذه أن توصف بوجود أو عدم بالمعنى الحسي"³.

مثال 7: "قيل لأبي يزيد: كيف أصبحت؟ فقال: لا صباح لي ولا مساء إنما الصباح والمساء لمن تقيد بالصفة وأنا لا صفة لي". صاحب هذا الذكر مع أمر يرد عليه من الحق"⁴.

إذا كانت الصفة تعني "قبول ذات العبد الاتصاف بصفات الرب"⁵ . فإنه يترتب عن نفيها – سلميا- ما يقع تحت هذا النفي أي الصفة الجسمية للمتكلم بوصفها أقل من رتبته الإلهية.



* الصحو هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد الغيبة، وعكسه السكر وهو الغيبة أو ذهول العقل عند مشاهدة جمال المحبوب فجأة. ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 518 .

² المصدر نفسه، ج 1، ص 251.

³ نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، ص، ص21، 22.

⁴ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 7، ص 143.

⁵ عبد المنعم الحفني ، المعجم الصوفي ، ص 146 .

تكمن أهمية السلم الحجاجي إذا في درجاته التي يخرج بمقتضاها القول من مقام الخبر إلى الحجة، بوصفه منبثقا من البنية اللغوية وليس من خارجها. وبالتالي فإن القيمة الحجاجية تتجاوز فرضية الصدق أو الكذب، لأنها لا تخضع لشروط الصدق المنطقي¹ كما يرتبط مفهوم السلم الحجاجي بالاتجاه الحجاجي L'orientation argumentative، أي أن القيمة الحجاجية للأقوال يحددها الاتجاه الحجاجي الصريح أو المضمّر. فالقول عندما يكون معلما Marque ببعض الروابط والعوامل الحجاجية فإنها تتضمن الإشارات والتعليمات Instruction المتعلقة بطريقة توجيه القول. أما إذا كان القول غير معلّم، فإن التعليمات تستنتج من الكلمات بالإضافة إلى السياق التداولي العام².

2-الروابط الحجاجية:

إذا كان الحجاج "مسجل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجه القول وجهة دون أخرى، وتفرض ربطه بقول آخر"³. فإن النص تتوالى وحداته وفقا لمنطق ترابطي هو المنطق الحجاجي المنبثق من بنية اللغة نفسها، المختلف عن المنطق البرهاني* الصارم⁴. أي أن حضور أدوات الربط يعني ان فهم العلاقة بين الأقوال المترابطة يمر عبر "تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"⁵ تشمل اللغة العربية على وسائل ربط كثيرة مثل: لكن، بل، إذا، إذن، حتى ... وهي روابط صريحة أو مضمرة، تعتمد على علاقات حجاجية قائمة على الأقوال والنتائج، علما أن اقتران الحجة بالنتيجة عبر الروابط الحجاجية جعل ديكرو يفكر في ضوء التداوليات المندمجة في مقاربة حجاجية لسانية هدفها وصف الروابط اللغوية في سياقها التداولي بعيدا عن وصفها النحوي التقليدي مميزا بين الروابط الحجاجية Les connecteurs argumentatifs والعوامل الحجاجية Les operateurs⁶ فإذا أخذنا المثال التالي: زيد مجتهد، إذن سينجح في الامتحان، فهو يشمل على الحجة (زيد

¹ محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، ص 25.

² ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 25.

³ شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 354.

*هو القياس المنطقي، وقد سبق الإشارة إليه في المدخل ص

⁴ محمد عبد الباسط عيد، في حجاج النص الشعري، ص 26.

⁵ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص ص 22، 23.

⁶ ينظر: جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص ص 38، 39.

مجتهد) والنتيجة (سينجح) والرابط (إذن) الذي يربط بينهما¹ علما أن الرابط يصل بين قضيتين اثنتين ، أما العامل فيتعلق بقضية واحدة يحدث فيها تحويلا داخليا² يقضي فيه على تعدد المعاني ويوجه القول الحجاجي نحو معنى أو نتيجة واحدة دون غيرها، فالعامل «إنما» في القول إنما ينجح المجتهد يوجه القول نحو نتيجة واحدة مضمرة يقبل بها المخاطب أو تقنعه بأن غيره أي الكسول لن ينجح .

الروابط إذا كما العوامل هي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له في بنية اللغة³. غير أن الروابط (شكلية) لا تحقق وحدها التأليف بين الجمل ولا تحدد دلالتها، وإنما الموضوع topoi الذي يرد في صورة مبدأ عام - هو العامل الأعمق الذي يصل ملفوظا بآخر ضمن التعالق التركيبي الذي يحدد قيمة الجمل⁴. يقول ديكر: "لقد طرحنا المواضيع عموما باعتبارها ضمانات للتأليفات الخطابية. فإذا كان بالإمكان الانتقال من الملفوظ م 1 إلى الملفوظ م 2 فإن ذلك يتم بفضل تدخل حدّ ثالث هو الموضوع الذي يسمح بإقامة ارتباط بين هذين الملفوظين"⁵.

يضرب ديكر و انسكومبر مثلا يوضحان به الموضوع بالسيرورة الفكرية التي تقود شخصا يحسّ بألم في رأسه إلى تناول الأسبرين بناء على قاعدة عامّة أساسها أنّ الأسبرين يقضي على آلام الرأس دون أن يكلف نفسه معرفة العلاقة الدقيقة بين فسيولوجيا الصداع وكيمياء الأسبرين⁶.

¹ ينظر: أبو بكر العزاوي ، اللغة والحجاج ، ص ص 35،36 .

² ينظر : رشيد الراضي ، المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية ، ص 99 .

³ المرجع نفسه ، ص 59.

⁴ رشيد الراضي، مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لانسكومبر وديكر، مجلة عالم الفكر، ع 2، مج 40، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ديسمبر 2011 ، ص ص 202 .

⁵J.C Anscombe, topique or not topique : forme topiques intrinseques et forme topiques extrinseques, journal of pragmatic 24, 1995, P : 119. نقلا عن :

رشيد الراضي، مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لانسكومبر وديكر، ص 200.

⁶J.C Anscombe et O.Ducrot, Argumentativite, dans de la metapysique a la rhtorique P.P 79-94 ed : Michel Meyer, in memoriam de ch.perlman, Edition de l'université libre de Bruxelles, Bruxelles, 1986p87-88 نقلا :

رشيد الراضي مفهوم الموضوع وتطبيقاته على الحجاجيات اللسانية لانسكومبر وديكر، ص 199 .

على ضوء هذا المثال يكون تعريف المواضع بداية بأرسطو كما يقول رولان بارت: "ما تلتقي فيه أغلبية الاستدلالات الخطابية"¹. وعند انسكومبر هي "مبادئ عامة تصلح لتقوية الاستدلال وماهي بالاستدلالات ... فهي تظهر كأنها ذات قوة قانونية"² يستمد منها الخطيب شرعية خطابه عند الجمهور³، على أساس أنها تمثل تواضع المتخاطبين واتفقهم حول رؤيتهم للأشياء "فهي القاسم المشترك من التقاليد والمنظومات والأفكار والمبادئ بين أفراد الأمم الواحدة، ولو أجز لنا القول لقلنا إن المواضع أعدل الأشياء قسمة بين الناس من ذلك موضع القليل الدائم أحسن من الكثير المنقطع"⁴. وكل هذه التعاريف متفقة بأن الموضع هو التفكير المشترك الذي يتفق عليه المتخاطبون. وهو المخزن الذي يلجؤون إليه ويأخذون منه مادة خطابهم الحجاجي.

إذا جئنا إلى اللغة يمكن التمثيل للموضع بالقول: زيد ما أحقره، أسديت له معروفا فاستغل ذلك في الإيقاع بي. فالمتكلم هنا لم يصرّح بقضية الاغتيال باعتباره مبدأ أو موضعا مسلما به، إذا يمكن صياغته كما يلي: "إذا أسدى إليك المرء معروفا تكون مدينا له بالجميل" فهذا المبدأ/ الموضع هو الذي يضيفي المقبولية على حالة الاغتيال، أي أنه أساس ترابط القضيتين أو الملفوظين وما ينتج عنه من ترابط للملفوظين "زيد لم يراع الجميل" و "زيد حقير"⁵. وفي قول القائل: هذه السيارة ثمنها منخفض، فهي إذن تستحق تستحق الاقتناء، تسند الحجة إلى موضع هو الرأي العام القائل "اقتن ما كان ثمنه منخفضا". والتركيب الداخلي لهذا الموضع يتضمن ربطا بين المحمول "استحقاق الاقتناء" و "خاصية انخفاض الثمن"⁶. علما أن أداتي الربط الشكلية ممثلة في (الفاء-إذن) (إذن) لو لم تتكئ على الموضع لما أدت عملية الربط بين الحجة "انخفاض الثمن" والنتيجة "الاقتناء".

ولهذا كان "ديكرو يعوّل على المواضع، باعتبارها الحلقة الواصلة بين الحجة والنتيجة، فلا نتيجة دون ما موضع ترتكز عليه ولا موضع دونما نتيجة يؤدي إليها،

¹ قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر عمر أوكان، ط2011، ص1، ص108.

²J.C Anscombe : theorie de topoi, Kime, 1995, P : 39.

³ ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 82.

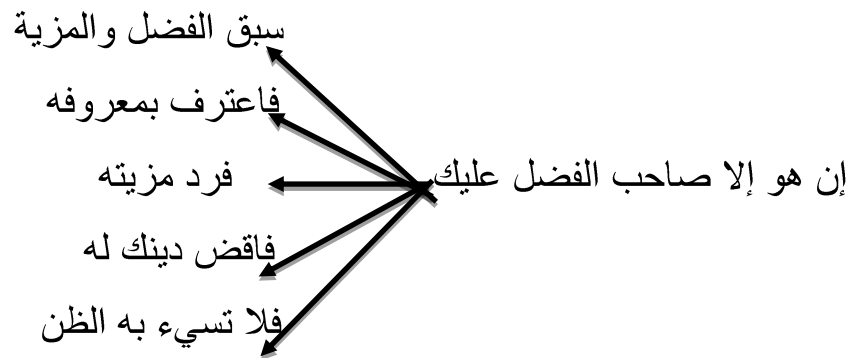
⁴المرجع نفسه، ص 84.

⁵ ينظر: رشيد الراضي، مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لانسكومبر وديكرو، ص 202.

⁶المرجع نفسه، ص 205.

فوجود أحدهما يقتضي الآخر" ¹. ومعنى هذا أن الموضوع بوصفه أفكارا ورؤى مشتركة متداولة بين المتخاطبين هو الذي يؤدي إلى تعالق معاني الأقوال الحجاجية، ويحقق الانسجام العميق بين الحجة والنتيجة والذي تعكسه الروابط والعوامل المتجلية في سطح تلك الأقوال.

ومن هذا المنطلق فإن "نجاعة المواضيع وأهميتها تكمن في إعطائها الملفوظ إمكانية مواصلة المحادثة وذلك عبر تسلسله وتواصله وذلك أن الموضوع يمكن الباحث من السيطرة على الحدث التلفظي ويحول دون إعطاء الفرصة للمتقبل في الاعتراض فما له من سبيل سوى الخضوع لقهر سلطة الموضوع والإذعان لما يسمع" ². ومن هنا فالمواضع ذات قيمة حجاجية، حيث إنها تدفع المخاطب إلى الإذعان لما يقوله المتكلم ، ولذلك كانت المواضع حاضرة دوما حتى في كلامنا وتواصلنا اليومي. والمثال التالي يوضح ذلك ³:



وجدير بالذكر أنه إضافة إلى الدور الحجاجي الذي يؤديه الموضوع، فإنه يتميز بالخاصية السلمية التدريجية التي تقوم على صياغة "بقدر ما يكون ... يكون" فإذا قلنا: هذا الدرس صعب انتبه جيدا، فإن الموضوع يصاغ بالقول: إذا كان الدرس صعبا يكون الانتباه ضروريا صورته السلمية التدريجية: بقدر ما يكون الدرس صعبا يكون الانتباه ضروريا، أي أن الموضوع يربط بين سلمين، سلم صعوبة الدرس، وسلم مستوى الانتباه ⁴.

¹ عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 101.

² المرجع نفسه، ص 102.

³ المرجع نفسه، ص 102.

⁴ ينظر: رشيد الراضي، مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، ومجلة عالم الفكر، ص ص 205، 206.

كما أن المواضع تنقسم إلى قسمين : المواضع الصاعدة والمواضع النازلة ، الصاعدة تعبر عن الكثرة¹ مثل : كلما كان الطقس جميلا كان الخروج للنزهة . فالمقدمة و النتيجة منسجمتان، وبالتالي فالموضع الصاعد د topoi ascendant صالح للحجاج ، وتمثيله يكون بالرمزين (+ +) حسب اقتراح ديكر . أما المواضع النازلة topoi descendant فتمثيلها يكون بالرمزين (- -) للدلالة على القلة أو النفي كقولنا: كلما كان الطقس ليس جميلا كان البقاء في البيت (- -) ، وهو صحيح حجاجيا ، ومعنى هذا أن حجاجية الموضع الصاعد والنازل آتية من اشتراكهما في تجانس (انسجام) طبيعة المقدمة مع النتيجة ، أي أنه إذا كانت المقدمة إيجابية تكون النتيجة كذلك (+ +) ، وإذا كانت سلبية تكون النتيجة مثلها (- -) . وعلى هذا الأساس فالقول من مثل كلما كان الطقس جميلا كان عدم الخروج للنزهة (- +) موضع فاسد² أو لاجن حجاجيا لأن المقدمة لا تنسجم مع النتيجة .

2-1 أقسام الروابط:

تشمل اللغة العربية على مجموعة من الروابط التي تربط بين الحجج والنتائج، وهي تأتي صريحة أو مضمرة³. وقبل الشروع في دراسة بعضها حجاجيا لا بد من الإشارة

إلى أنّ الروابط في اللغة العربية بصفة عامة هي⁴:

1. روابط العطف:

الواو: للجمع والاشتراك.

الفاء: للترتيب مع طول المهلة.

حتى: للدلالة على أن المعطوف جزء من المعطوف عليه.

بل: للإضراب، وهي تنفي ما قبلها وتثبت ما بعدها.

لا: للنفي، وهي تثبت ما قبلها وتنفي ما بعدها.

نقلا عن : 13 , dynamique de sens et scalade (j . c) - Anscombe¹

عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 97 .

² ينظر : المرجع نفسه، ص ص 97 ، 98 .

³ ينظر: جميل حمداوي، من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، ص: 38.

⁴ ينظر: غريد الشيخ المتقن العملي 90 سؤالا وجوابا في القواعد الوظيفية معانيها ودلالاتها ووظائفها، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، ط 1، 2007، ص 90 وما بعدها.

أو: للتخيير.

أم: للتقسيم.

لكن: للاستدراك.

2. روابط الوصل: وهي:

أحرف العطف: كما، أيضا، كذلك، بالإضافة، إلى، أضف إلى ذلك.

3. روابط التمثيل: وهي:

من هذا القبيل، نحو، من ذلك، مثال على ذلك، مثلا.

4. الروابط السببية: وهي:

لأن، بما أن، سبب هذا، لكونه، لأجل ذلك، لكي، من هنا، فاء السببية، بالفعل، تحت حجة، بناء على.

5. روابط المقابلة والتعارض: وهي:

بينما، إلا أن، بالمقابل، بالعكس، غير أن، لكن، بخلاف ذلك، في حين أن، يقابل ذلك، بل، فيما يعارض، لكن، إذا كان، وهي ذات أهمية حجاجية من حيث إنها إذا دخلت على القول عدلت النتيجة أو عكستها.

6. روابط التأكيد:

إنّ، لا شك، الصواب، نعم (إذا تصدرت الكلام)، ليس من الممكن، لا، غير صحيح، كلا (إذا تصدرت الكلام).

7. روابط الجواب:

أجل، نعم، بلى، لا، كلا.

8. روابط التعليل: وهي:

لذلك، لن، إذا، وأخيرا، في الختام، لام التعليل، بناء على ما تقدم، لأجل ذلك، لأجل هذا، هذا يؤدي، نستنتج، وهكذا.

9. الروابط الغائية:

من أجل، خوف أن، لكي، للوصول، لغاية ما.

بالإضافة إلى الروابط الظرفية مثل: أمام، خلف، تحت ... والروابط الشرطية ممثلة في أدوات الشرط. ودراسة هذه الروابط جميعا في مدونة طويلة كالفتوحات يحتاج ربما إلى دراسة خاصة لا تستوعبها الصفحات الأخيرة من هذا الفصل . وبالتالي فإن البحث انتقى بعض الروابط المتكررة الشائعة التي تشكل خاصية أسلوبية مقصودة لأداء وظيفتها الحجاجية.

2-1-1-1 الكن/لكن: الأول بالسكون حرف عطف يفيد الاستدراك يأتي ما بعده مفردا غير مقترن بالواو مسبوqa بنفي أو نهي مثل: ما قرأت قصة لكن كتاب ،والثاني مشدّد حرف مشبه بالفعل يفيد الاستدراك مثل: محمد شجاع لكنه حلیم¹ .

وما يعني البحث هنا هو لكن مشددة ومخففة المرادفة لـ: Mais والتي تستلزم حجتين الأولى ما قبلها موجهة نحو نتيجة معينة، والثانية موجهة نحو النتيجة المضادة علما أن المتكلم يقدم الثانية على أساس أنها الحجة الأقوى التي توجه الخطاب كله²، كما هو موضح في دراسة الأمثلة التالية:

مثال1: "فأنت العالم وهو العالم لكن أنت حادث، فنسبة العلم قديم والعلم واحد"³ .

مثال2: "العجز عن درك الإدراك إدراك، ... العلم بالله هو لا دركه، فاعلم ذلك ولكن لا دركه من جهة كسب العقل ما يعلمه غيره، ولكن دركه من جوده وكرمه ووهبه كما يعرفه العارفون أهل الشهود لا من قوّة العقل"⁴ .

مثال3: "وما ثم شيء إلا ويجوز أن ينال العلم به من طريق الكشف والوجود والاشتغال بالفكر حجاب وغيرنا يمنع هذا، ولكن لا يمنعه أحد من أهل طريق الله بل مانعه هو من أهل النظر الاستدلال من علماء الرسوم الذين لا ذوق لهم في الأحوال"⁵ .

مثال4: "فما في الوجود إلا محبّ ومحبوب، لكن من شأن المحبوب أن يكون معدوم ا ولا بد فيجب إيجاد ذلك المعدوم أو وقوعه"⁶ .

¹ ينظر : محمد محمد حسن شراب، معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية، دار المأمون للتراث، دمشق، سوريا، بيروت ، لبنان، ط 1، 1990، ص ص 514، 515.

² ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ص 62.

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 40.

⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 143.

⁵ المصدر نفسه، ج 4، ص 227.

⁶ المصدر نفسه، ج 3، ص 497 .

مثال5: "وهذه مسألة غير مجمع عليها من أهل النظر فإنه من لا يرى الفعل إلا الله، ثم يفرق بين الحق والخلق بأن يجعل للخلق وجودا في عينه وللحق وجودا في عينه لم يقل "أحسن الخالقين" إلا تقديرا لا إيجادا، ومن أهل الله من يرى ذلك ولكن لا يرى أن في الوجود إلا الله وأحكام أعين الممكنات في عين وجوده، وهذا هو النظر التام لذي لا ينال بالفكر ولكن ينال بالشهود وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عرف نفسه عرف ربه"... ومن عرف أن التغييرات الظاهرة في الوجود هي أحكام.¹

مثال6: "حيث نهاك أن تتخذ عدوّه وليا تلقي إليه بالمودة، فإن اضطرك ضعف يقين إلى مدراتهم فدارهم من غير أن تلقي إليهم بمودة ولكن مسالمة لدفع الشرّ عنك، ففوض الأمر إليه واعتمد في كل حال عليه".²

مثال7: "يا عبادي أنتم تخطؤون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم" (حديث شريف). والحق تعالى يعطيكم هذا كله من غير سؤال منك إياه فيه ولكن مع هذا أمرك أن تسله فيعطيك إجابة لسؤالك ليريك عنايته بك حيث قبل سؤالك"³.

مثال8: "وذلك أن العبد هو عبد لذاته ولكن لا تعقل له عبوديته ما لم يعقل له استناد إلى سيد، والربّ ربّ لذاته، ولكن لا يعقل له ربوبية ما لم يعقل له مربوب وهو مستنده، فكل واحد سند للآخر"⁴.

في جميع هذه الأمثلة ربطت "لكن" بين قولين أو دليلين، وجعلت الدليل الثاني أقوى حاجيا يرجح كفة القول برمته نحو النتيجة المقصودة. فإذا كان الوجود هو الله في غيبه والإنسان في ظاهره فيما قبل لكن والنتيجة : الإنسان (أنت) قديم موجود في علم الله الأزلي في المثال 1 ،فإن المخاطب يدرك أن ما بعده أقوى منه، إذ يعدل القول كله إلى أن الإنسان هو الوجود الحديث . علما أن الربط يستند إلى الموضع القائل: إذا كان القديم موجودا فإنه يحصل عنه نشأة الحديث. وفي المثال 2 القول 1 هو: عدم إدراك الله إدراك، ونتيجته المضمرة : ترك اعتماد الاستدلال العقلي في الوصول إلى إثبات وجود الله ، ولأن القول 2 بعد لكن أقوى منه فإنه يعارضه ويعدل وجهته كما يلي: يمكن إدراك

¹ المصدر السابق ، ج 4،ص 330.

²المصدر نفسه، ج8،ص 240 .

³المصدر نفسه، ج8،ص 245.

⁴ المصدر نفسه، ج 7، ص 151.

الله عن طريق العلم الكشفي الذي قذفه الله في قلب العارف الصوفي وليس في عقله والنتيجة : العلم الكشفي يثبت وجود الله استنادا إلى الموضع الصوفي القائل: إذ ألهمنا الله العلم الكشفي* وقذفه في قلوبنا نصل إلى معرفة الحقيقة الإلهية .

وفي المثال 3 القول 1 هو: غيرنا من علماء الرسوم* ضد الوصول إلى الحقيقة عن طريق العلم الكشفي. والنتيجة أخطأ علماء الرسوم . ولأن القول 2 بعد لكن أقوى من القول 1، فقد جاء لتعديل القول على النحو التالي: أهل الله من المتصوفة ترى أن العلم الكشفي هو السبيل الوحيد للوصول إلى الحقيقة. والنتيجة المضمرة : المتصوفة على صواب والموضع هنا هو: إذا كان الإنسان متصوفا عارفا يكون صائبا في إدراك الحقيقة إلهاما وكشفا. وفي المثال 4 الإنسان والله هما الوجود في القول 1 وما بعده عبر لكن يتجه إلى تغيير القول بأن الإنسان/ المحبوب معدوم أنشأه المحب/ الله.

إذا جننا إلى المثال 5 القول 1 هو: أهل النظر العقلي يرون أن الحق/ الله وجود والخلق وجود ثان. والنتيجة المضمرة : تعدد الوجود. والمخاطب يعلم أن القول 2 بعد لكن يعارضه بالقول أنه لا يمكن الفصل بين الله والخلق والنتيجة المضمرة دائما الوجود واحد أو وحدة الوجود. فإذا نظرنا إلى الوجود في غيبه فهو الله وفي ظاهره هو الإنسان والموضع المشترك يكون صوفيا مصاغا بالقول: إذا عرفت نفسك عرفت ربك .

وفي المثال 6 القول 1 هو: نهى الإنسان من مودة أعداء الله، والنتيجة المضمرة التي يتجه إليها القول هي : معاداة أعداء الله ، والمخاطب يدرك أن القول 2 بعد لكن يغير مسار القول برمته إلى: الاعتماد على هؤلاء الأعداء وتفويض الأمر لهم خوفا من شرهم ، وهي تخدم النتيجة المضادة المذكورة صراحة "فدارهم" والموضع الرابط بين الحجة والنتيجة هو : إذا عامل الإنسان أعداء الله امن من شرهم

بالنسبة للمثال ما قبل الأخير القول 1 يثبت أن الله يعطي دون أن تسأله، والنتيجة المضمرة إذن لا تسأله، والمخاطب يفهم أن الحجة 2 أمرك الله أن تسأله في العطاء أقوى من سابقها وتعارضها لتخدم النتيجة المضادة التي يقتنع بها وهي: اسأل الله . مع الإشارة إلى أن الرابط "مع هذا" الدال على اجتماع اثنين: العطاء بالله بالطلب أو دونه والفاء

* العلم الكشفي: يتعلمه العبد من الله مباشرة من غير واسطة كالعلم الذي للخضر عليه السلام.
* علماء الأشكال والخطوط وهم: الفقهاء وعلماء الطبيعة.

العاطفة الدالة على التعقيب؛ العطاء يحدث مباشرة بعد السؤال وأيضا اللام لتعليل إجابة السؤال بأنها من أجل أن يرى الإنسان أمر الله، كلها روابط تعضد الطاقة الحجاجية وتجعل روافدها تصب في اتجاه إقناع المخاطب بطلب العطاء من الله. والربط يستند إلى موضع مشترك بين المتخاطبين يقول : إذا سألت فاسأل الله يعطيك.

أما المثال الأخير القول 1 هو: العبد من أجل ذاته والنتيجة العبد وحده من دون الله والمخاطب يعرف أن القول 2 بعد لكن أقوى من 1 إذ يعارضه ويتجه بالقول إلى: العبد من أجل سيده (الله) والنتيجة : العبد موجود بوجود سيده استنادا إلى الموضع : إذا وجد العبد فالسيد موجود. وفي الوقت نفسه الربّ ربّ لذاته نتيجته : الرب وحده من دون العبد وما بعد لكن يغير القول إلى : الرب له مربوب الإنسان ، والنتيجة : الرب موجود بمربوبه ، والموضع : إذا وجد الرب فهذا يقتضي وجود المربوب .

2-1-2 بل:

حرف إضراب إذا أتى بعده جملة، يفيد الإبطال مثل قوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ بِهِ

حِجَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ)¹ أو الانتقال من غرض إلى آخر كقوله تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ

تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ بَلْ تُؤَثِّرُونَ الْآلِهَةَ الدُّنْيَا)² وهو حرف عطف إذا أتى

بعده مفرد يجعل ما قبله كالمسكوت عنه فلا يحكم عليه بشيء نحو: اضرب زيدا بل عمرا، وإذا تقدمه نفي أو نهى: فهو لتقرير ما قبله على حالته وجعل ضده لما بعده مثل "ما قام زيد بل عمرو"³. والذي يعني البحث هنا هو "بل" التي تربط بين حجتين أو حجج متساوقة تخدم نتيجة واحدة والحجة الواردة بعدها أقوى من التي قبلها فهي ترادف "حتى" وتعبّر عن التساوق الحجاجي. coorientation argumentative. وإذا عبرت

¹ سورة المؤمنون، الآية 70.

² سورة الأعلى، الآيات 14، 15، 16.

³ ينظر: محمد محمد حسن شراب، معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية، ص 181.

عن التعارض الحجاجي anti orientation argumentative فإنها ترادف لكن 1 في الأمثلة السابقة، ولتوضيح أهميتها الحجاجية وقف البحث على دراسة الأمثلة التالية :
مثال 1: "ومعنى ففرك من الله أن لا يشم منك رائحة من روائح الربوبية بل العبودية المحضة"².

مثال 2: "اشتدت رغبتنا في الآخرة وزاد حرصنا في طلبها وخفّ علينا كدّ العبادة، فلا نحس بها بل نرى ذلك نعمة وكرامة وفخرا وشرفا"³.

مثال 3: "فمن نظر إلى وجود تعلق رؤية العالم في حال عدمه وأنها رؤية حقيقية لا شك فيها وهو المسمّى بالعالم ولا يتصف الحق بأنه لم يكن يراه ثم رآه بل بم يزل يراه"⁴.

مثال 4: "وقد نهانا الشارع أن نتفكر في ذات الله، وما منعنا من الكلام في توحيد الله بل أمر بذلك فقال: (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ)."⁵

مثال 5: "وحجر التفكير فيها لعظيم قدرها، وعدم المناسبة بينها وبين ما يتوهم أن يكون دليلا عليها فلا يتصورها وهم ولا يقيدوها عقل بل لها الجلال والتعظيم، بل لا يحوز أن تطلب بما كما طلب فرعون فأخطأ في السؤال"⁶.

من خلال هذه الأمثلة جاءت الحجج التي بعد بل أقوى من التي قبلها، فالمخاطب يدرك أن حجة عبودية الإنسان الخالصة في المثال 1 أقوى من الاكتفاء بنفي الربوبية عنه استنادا إلى الموضع المشترك القائل: إذا كان الإنسان فقيرا فإنه يحتاج إلى الله القوي الغني والحجتان نتيجتهما واحدة مصرّح بها وهي: فقر الإنسان وحاجته إلى الله. وفي المثال الذي يليه يدرك المخاطب أن نفي الإحساس بالتعب أقوى حجة من التعب الخفيف، والنعمة والكرامة أقوى من عدم الإحساس بها، والموضع في ذلك: إذا تعب الإنسان في العبادة يعيش مكرما في الآخرة. والنتيجة واحدة للحجتين المذكورة صراحة وهي: الحرص الشديد على الآخرة. وفي المثال 3 إذا كان الله أوجد العالم من أجل

¹ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص ص، 67، 68.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 287.

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 330.

⁴ المصدر نفسه، ج 4، ص 442.

⁵ المصدر نفسه، ج 5، ص 131.

⁶ المصدر نفسه، ج 5، ص 131.

رؤيته، فإن استمرار خلق العالم أو دوام رؤيته حجة جاءت بعد بل أقوى من الانتهاء من خلق العالم، استنادا إلى الموضع الصوفي المشترك القائل : إذا كان الله خلق العالم من العدم فإنه لا يزال خلاقا على الدوام* .

بالنسبة للمثال 4 يعرف المخاطب أن القول الذي جاء بعد بل هو : أمرنا الله التفكير في توحيدته أقوى حجاجيا من عدم معنا من التفكير في التوحيد نفسه، والربط بين القولين والنتيجة عبر بل يعضده الموضع الديني الشائع بين المتخاطبين : إذا فكرنا في توحيد الله فالله واحد لا شريك له . ومن هنا فالنتيجة التي تخدمها الحجتان هي : المطلوب إثبات وحدانية الله وليس ذاته وهي النتيجة المؤكدة بالآية الكريمة في المثال السابق بوصفها حجة جاهزة لإقناع المخاطب .

وإذا جننا إلى المثال الأخير فإن عدم طلب الذات الإلهية كما طلبها فرعون جاء بعد "بل" أقوى من وصفها بالجلال والعظمة. ووصفها بالعظمة قول هو الآخر بعد بل أقوى من تصور الذات أو التفكير فيها. علما أن تكاثر هذه الحجج لإثبات نتيجة مضمرة هي : استحالة الخوض في الذات الإلهية استنادا إلى الموضع المنطقي القائل: إذا كان لا يمكن معرفة الذات الإلهية فإنه يستحيل الخوض أو البحث فيها.

2-1-3 لاسيما:

يستعمل للدلالة على أن شيئين اشتركا في أمر وما بعدها أكثر قدرا مما قبلها مثل: أحب بلاد العرب ولا سيما فلسطين¹. ومعنى هذا أن الحجة التي تأتي بعدها أقوى من التي قبلها. رغم أن الحجتين تخدمان نتيجة واحدة كما هو موضح في الأمثلة التالية:

مثال 1: "فمن ذلك التجمل لله فإنه عبادة مستقلة ولا سيما في عبادة الصلاة فإنك مأمور به

قال الله تعالى: (يَبْنِيْ ءَادَمَ خُذُوْا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ)² "3

* يقول ابن عربي موضعا هذه الفلسفة: "فالخلق لا يزال والأعيان قابلة للخلع عنها وعليها، فالعالم في كل نفس من حيث الصورة في خلق جديد لا تكرر فيه"، الفتوحات، ج 4، ص 458. ويقول أيضا: "وما ثم موجود آخر بل وجود مستمر في الأشخاص فالآخر في الأجناس والأنواع"، ج 4، ص 493.

¹ ينظر: محمد محمد حسن شراب، معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية، ص 506.

² سورة الأعراف، الآية 31.

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 246.

مثال2:" وكذلك بعض المؤمنين يضحكون من أهل الله في الدنيا، ولا سيّما الفقهاء إذا رؤوا العامة على الاستقامة يتحدثون بما أنعم الله عليهم في بواطنهم"¹.

مثال3:"وعليك بالاستغفار ولا سيما بالأسحار في حقك وفي حق غيرك"².

مثال4:"ولا تكن وصيا ولا رسول قوم ولا سيما بين الملوك، ... وإياك وسب المؤمنين ولا سيما الصحابة على الخصوص"³.

مثال5:"وإن جاورت بمكة فأكثر من الاعتمار والطواف ولاسيما في رمضان فإن عمرة في رمضان تعد حجة"⁴.

مثال6:"وتعاهد المشي إلى المساجد مساجد الجماعات في أوقات الصلوات ولاسيما العتمة والصبح من غير سراج تبشر بالنور التام يوم القيامة"⁵.

مثال7:"فهل رأيتم أحدا بنى منزلا على جسر خشب؟ لا والله ولا سيما وقد عرف أن الأمطار تنزل... وأن الجسور تنقطع"⁶.

مثال8:"نعت المحب بأنه هائم القلب لما كان القلب سمي بذلك لكثرة تصرفاته وتقليبه كثرت وجوهه وتوجهاته وهذه صفة لها الهائم ولا سيما إذا كان الحق يظهر له في كل وجه يتوجه إليه"⁷.

في المثال 1 الحجة 2 بعد لا سيما هي الزينة والجمال في الصلاة ، وهي بالنسبة للمخاطب أقوى من التجمل في العبادات وكلاهما يخدمان نتيجة واحدة مضمرة هي : نيل حب الله ، والمؤكد بالآية الكريمة بوصفها سلطة قرآنية مقدسة صادرة من الأعلى إلى الأسفل ، والأمر فيها فعل لغوي مباشر لإنجاز الزينة والجمال والموضع الديني هو: إذا كان الإنسان يأخذ بأسباب الزينة في الصلاة فهو قريب يحبه الله. وفي المثال 2 ما قبل لا سيما عام يشمل بعض المؤمنين الذين يضحكون من أهل الله وما بعده أقوى منه حاجيا خاص بالفقهاء بوصفهم أشد استهزاء بالمتصوفة ، والموضع الذي يجعل الربط منسجما

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 289.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 315.

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 314.

⁴ المصدر نفسه، ج 8، ص 312.

⁵ المصدر نفسه، ج 8، ص 311.

⁶ المصدر نفسه، ج 1، ص 322.

⁷ المصدر نفسه، ج 3، ص 531.

ليخدم النتيجة المضمرة الحقد والعداوة بأهل الله هو: إذا استهزأ الإنسان بالمؤمنين ، فهو خصم لهم حاقد عليهم.

إذا انتقلنا إلى المثال 3 الحجة 2 الاستغفار الخاص بالأسحار بالنسبة للمخاطب أقوى من الحجة 1 المتمثلة في الاستغفار في الأوقات الأخرى عامة والنتيجة المضمرة : الدعاء مستجاب ، استنادا إلى الموضع الديني القائل : إذا استغفر الإنسان ربه استجاب له كما أن نهى الإنسان عن أن يكون رسولا أو وصيا بصفة عامة قبل لا سيما وما بعده أقوى منه حجاجيا يخصص النهي ذاته بين الملوك و النتيجة المضمرة : الخوف من الوقوع في العداوة .

بالنسبة للمثال 5 ما قبل لا سيما هو :الإكثار من العمرة لمن كان في مكة ،وما بعدها الاعتمار الخاص برمضان أقوى مما قبلها. والنتيجة : أجرها عظيم والربط بين الحجة والنتيجة يتكئ على موضع ديني مفاده : إذا اعتمر الإنسان في رمضان عمرته تعدّ حجا وأيضا المشي الخاص صباحا إلى المساجد هو الحجة الأقوى من المشي في الأوقات الأخرى عامة ،استنادا إلى الموضع الديني دائما : إذا مشى الإنسان إلى المساجد في الظلام يكون الظلام نورا له يوم القيامة، والنتيجة مصرح بها : هي البشرى بالنور لمن حافظ على صلاة الصبح جماعة.

أما المثال 7 الحجة 2 بعد لا سيما لا يبني الإنسان منزلا على جسر الدنيا وهو يعلم هطول الأمطار وسقوط الجسور أقوى من الحجة 1 : لا يبني الإنسان منزلا على جسر. والنتيجة المضمرة : اترك الدنيا الفانية واعمل للأخرة والذي يضمن الانسجام بين الحجة والنتيجة هو الموضع : إذ بنى الإنسان فوق الجسور *فإن ما بناه يسقط ويزول. أخيرا الحجة 1 يهيم قلب المحب عموما والحجة 2 بعد لا سيما أقوى منها حيث خصصت إليهم والإعجاب على ظهور الحق في كل جهة يتجه إليها المحب الصوفي الهائم في الحقيقة الإلهية. والنتيجة: خلق الله الوجود ليعرف به استنادا إلى الموضع الصوفي : إذا أوجد الله الوجود فهو يتجلى فيه ليعرف به .

* التعبير مجازي: المقصود منه الكف عن العمل من أجل الدنيا.

2-1-4 مع هذا:

يدل على زمان اجتماع اثنين نحو: جئتكَ مع العصر أو مكانهما: عشت مع الأسود في الغابة¹. وإذا اقترن باسم الإشارة في صيغة "مع هذا" فإنه يربط بين حجتين تخدمان نتيجتين متضادتين. وما بعدها أقوى مما قبلها، إذ توجه القول كله لصالح النتيجة المضادة المعتمدة في القول كله، كما في الأمثلة التالية:

مثال1: "لو كنت تعتقد أن الله هو الذي وضع الأسباب ونصبها وأجرى العادة عندنا بأنه يفعل الأشياء عندها لا بها، ومع هذا كله لا تقل ما نهاك الله عنه أن تقوله وتتلفظ به"².

مثال2: "واعلم أنك فقير لم يفتقر إليك فيه (فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)³ ومع هذا يجب

دعاءهم ويقضي حوائجهم ويسألهم أن يسألوه في دفع المضار عنهم وإيصال المنافع إليهم"⁴.

مثال3: "فسكت الراهب ساعة متفكرا ثم قال: شر معاملة... لأنه أمرنا بالكّد للأبدان وجهد النفوس وصيام النهار وقيام الليل وترك الشهوات... ومخالفة الهوى... والصبر على الشدائد، ومع هذه كلها جعل الأجر بالسيئة في الآخرة بعد الموت"⁵.

الحجة 1 في المثال 1 الله هو واضع الأسباب والأشياء، والنتيجة المضمرة: أقوالنا وأفعالنا قضاء من الله لا نتحكم فيها. والرابط "مع هذا" جعل الحجة 2 أقوى لأن المخاطب يعرف أن الإنسان في الحقيقة هو الذي لا يقول ولا يفعل ما نهاه الله عنه والنتيجة المضادة: الإنسان مسؤول عن كلامه وأفعاله، والموضع الذي يضمن الانسجام بين الحجة ونتيجتها هنا: إذا كان الإنسان يفعل ويقول فهو مسؤول عن ذلك. وفي المثال 2 الحجة 1 الله غني* عن الناس، والنتيجة يستغني بنفسه على نفسه، ولا يحتاج إلى غيره، ولأن الحجة 2 أقوى منها، فإنها تعارضها بالقول: يقضي الله حوائج الناس

¹ ينظر: محمد محمد حسن شراب، معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية، ص 573.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 242.

³ سورة آل عمران، الآية 97.

⁴ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص ص، 244، 245.

⁵ المصدر نفسه، ج 8، ص 328.

* الغني بالذات ليس إلا الحق، إذ له ذات كل شيء والفقير من لا يملك شيئا، فالعبد فقير لا يستغني إلا بالله، ينظر: عبد المنعم الحفني المعجم الصوفي ص 185 وما بعدها.

ويسألهم طلب العطاء منه، والنتيجة المضادة: الله رحيم بعباده يسبغ النعم عليهم والموضع الذي يحقق الانسجام: إذا كان الله غني فإنه يقضي حوائج عباده الفقراء. وما قبل "مع هذه" في المثال الأخير يتمثل في سوء حالة النفوس والأبدان (الصيام، القيام...) والنتيجة: طمعا في نيل الأجر وما بعده الأجر السري في الآخرة يتضمن النتيجة المضادة القوية المصرح بها بحجة مضمرة هذه المرة: ما فائدة الصيام والقيام في غياب الأجر؟ ويأتي الرابط "مع هذا" أيضا بين حجتي أو حجج متساوقة تخدم نتيجة واحدة، ما بعدها أقوى مما قبلها دون أن تعارضها كما في المثالين التاليين:

مثال 1: "المريض لا يزال مع الله أي مريض كان ولو تطبب وتناول الأسباب المعتادة لوجود الشفاء عندها، ومع ذلك فلا يغفل عن الله وذلك لحضور الله عنده، الله يوم القيامة يقول: "يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا ربّ كيف أعودك، وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلانا مرض فلم تعده؟ أما إنك لو عدتني لوجدتني عنده"¹.

مثال 2: "وما فاز الإنسان الكامل * إلا بالمجموع لا بكونه جزءا من العالم ومنفعلا عن السماوات والأرض من حيث نشأته، ومع هذا فهو على الصورة الإلهية كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن الله خلق آدم على صورته"².

ما قبل "مع هذا" المريض يستحضر الله بتذكره في المثال 1 ، والمخاطب يعلم أن ما بعده - أي المريض يستحضر الله أيضا في شفاؤه - أقوى حجاجيا. والحجتان متساوقتان موجّهتان إلى نتيجة واحدة هي: الإنسان مريضا أو في صحة جيدة يستحضر الله. وهي النتيجة التي يقويها الحديث القدسي بوصفه حجة جاهزة صادرة من سلطة إلهية مقدسة مؤثرة حيث لا يمكن الاعتراض عليها. وفي المثال 2 ما قبل الرابط الإنسان الكامل يجمع بين السماوات والأرض أو بين ألوهيته وجسمه ، فهو إذا يمثل الصفات الإلهية المتجلية في الكون. ولأن ما بعده هو الحجة القوية فإن المخاطب يدرك أن الإنسان الكامل يتحقق بالصفات الإلهية. والحجتان متساوقتان نتيجتها واحدة هي:

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 243.
* يعرفه ابن عربي قائلا: "فظاهر الإنسان بخلق وباطنه حق، وهذا هو الإنسان الكامل المطلوب وما عدا هذا فهو الإنسان الحيوان"، ج 6، ص 7. فالظاهر جسم الإنسان بأطرافه وأعضائه، والباطن هو الصفات الإلهية المستعارة في الإنسان كالعزة والقدرة والحلم والغضب. والمجموع هو الظاهر والباطن معا. وفي غياب الصفات يكون الإنسان حيوانا بجسده وليس المقصود تشبيهه بالحيوان.
² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 7، ص 339.

الإنسان الكامل لا الحيوان تجلت فيه الأسماء الإلهية والحديث النبوي الشريف يقوي الطاقة الإقناعية في هذا السياق .

2-1-5 الروابط السببية:

أ-لأن:

مثال1:"فإذا أراد الأعلى أن يعرفه الأدنى لأن الأدنى لا قدم له في العلو والأعلى له الإحاطة بالأدنى فلا بد أن يتعرف الأعلى إلى الأدنى، ولا يمكن ذلك إلا بأن يتنزل إليه لأعلى لأن الأدنى لا يمكن أن يترقى إليه لأنه تنعدم عينه إذ لا قدم له في العلو"¹.

مثال2:"وكان العبد الكامل حقا له وغني عن عينه في نفسه لأنه مقابله بذاته... كذلك العبد إذا رأى الحق أو تخيله فني فيه عند مشاهدته لأنه على صورته فيقابلة بذاته... وهكذا كل جزء من العالم مع الحق إذا تجلى له خضع له وفني فيه، لأن كل ما هو عليه شيء من العالم هو صورة الحق لما أعطاه منه... ولا يفنى الحق في الخلق لأن الخلق من الحق ما هو الحق من الخلق"².

النتيجة في المثال 1 جاءت قبل الرابط لان الأعلى (الله) أراد أن يعرفها الأدنى (الإنسان) ، و الحجة بعد الرابط سببية معلة بأن الأدنى (الإنسان) ليس قديما فهو محدث أوجده الله من العدم. كما أن الأعلى يتعرف ويتنزل إلى الأدنى (يتجلى فيه) نتيجة ثانية سببها حجة استحالة أن يترقى الأدنى إلى الأعلى. وهذه الحجة تصير نتيجة في الوقت نفسه لحجة أخرى وهي : أن الأدنى ليس له قدم علم الحق (الله) الذي به يترقى إلى الأعلى، مع الإشارة إلى أن النتائج والحجج المتكاثرة عبر "لأن" يحقق انسجامها الموضوع الصوفي القائل بأن: الأعلى قديم له السبق والعلم والنزول إلى الأدنى الثابت في مرتبته.

وفي المثال 2 النتيجة 1 هي : فناء الإنسان الكامل والعبد وكل ما هو في العالم من موجودات في الحق والسبب (الحجة) لأنهم على صورة الحق وقبلوا تجلي الفاعل (الحق) النازل فيهم. وبالمقابل فإن الحق لا يفنى في الخلق نتيجة ثانية سببها أن الخلق

¹ المصدر السابق، ج6، ص 168 .

² المصدر نفسه، ج 6، ص 169 .

جزء من الحق ، والموضع الذي يسهم في الربط بين النتيجة والحجتين قاعدة صوفية تقول: إذا فني الشيء في الله ، فهو على صورته.

ب- الفاء:

السببية حرف عطف تضرع بعده أن وجوبا وينصب بعد المضارع إذا سبقها أمر أو نهي أو استفهام أو عرض أو تحضيض أو نهي أو ليت أو لعل مثل قوله تعالى: (يَلِيَّتِي

كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا)². وتكون عاطفة تضرع أن بعدها جوازا وينصب بعدها

المضارع مثل: "اجتهادك فتتال المجد خير من إهمالك".

مثال 1: "يا موسى: لا تتضرع إلى أهل الدنيا فأسخط عليك ولا تجد بدينك لدينك لدنيا فأغلق أبواب رحمتي"³.

مثال 2: "ولا تعرض عن الآخرة فتخسر الدنيا والآخرة"⁴.

مثال 3: "إذ لا يكون منهم إلا من هو صاحب ذوق، فالطبع* يشهده** فيسكر، والعقل يشهده فيسكر، والسر*** يشهده فيسكر***، ولا تجتمع هذه الإسكارات أبدا لأحد في وقت واحد"⁵.

مثال 4: "ما قضى بالذنوب على عباده إلا ليستغفروه فيعفر لهم ويتوبوا إليه فيتوب عليهم وورد في الحديث "لو لم تذنوبوا لجاء الله بقوم يذنبون ويتوبون فيغفر الله لهم ويتوب عليهم"⁶.

¹ سورة النساء ، الآية 73 .

² ينظر: محمد محمد حسن شراب، معجم الشوارد النحوية والفوائد للغوية، ص 411.

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 362.

⁴ المصدر نفسه، ج 8، ص 355.

* الطبع: ما سبق به العلم في حق كل شخص.

** يشهده: الشاهد: الحاضر التجلي. كل ما هو حاضر في القلب وقلبه ذكر حتى كأنه يراه ويبصره وإن كان غائبا عنه.

*** السرّ: لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن والسرّ محل المشاهدة كما أنّ الروح محل المحبة، والقلب محل المعرفة وبدون السرّ تعجز النفس عن العمل. ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي.

**** السكر: دهش يلحق ستر المحب بسبب مشاهدة جمال المحبوب فجأة فيحصل له الفرح والوله والحيرة.

⁵ ابن عربي، الفتوحات المكية ، ج 4، ص 262.

⁶ المصدر نفسه ، ج 8، ص 251 .

إن دعوة موسى إلى الكفّ عن التضرع إلى أهل الدنيا في المثال 1 حجة سببية باعتبار أن التضرع يؤدي إلى النتيجة 1 وهي : سخط الله، والنتيجة 2 وهي : غلق أبواب رحمة الله والربط بين الحجة والنتيجة يتكئ على موضع ديني يقول: إذا تضرع الإنسان إلى الناس سخط الله وغلق عليه أبواب رحمته. وفي المثال 2 الحجة هي : النهي عن نسيان الآخرة، ونسيانها ينتج عنها خسران الدنيا والآخرة، والربط بالفاء يستند إلى الموضوع التالي: إذا نسي الإنسان الآخرة خسرها وخسر الدنيا أيضا.

أما المثال 3 فالحجة 1 : بالطبع أو بالعلم السابق في كل شخص يشاهد ما كان غائبا والحجة 2 : العقل يبصر ويتجلى له الغائب، والسر أيضا المودع في القلب في الحجة 3 يبصر ويشاهد، وكلها حجج سببية تؤدي عبر الفاء إلى نتيجة واحدة هي: السكر الصوفي وما يتضمنه من فرح وذهول وحيرة للعقل جراء تجلي جمال المحبوب (الله) ومشاهدته قلبا . وفي المثال الأخير الحجة : لا يقضي الله على الذنوب (وجودها) في الإنسان عللت عبر الرابط لام التعليل النتيجة : طلب المذنبين الاستغفار. والحجة والنتيجة كلاهما حجة سببية تقتضي النتيجة: يغفر الله لعباده المذنبين الطالبيين مغفرته ويتوب عليهم والحديث النبوي الشريف حجة جاهزة للإقناع بهذه النتيجة باعتباره سلطة دينية لا يعترض المخاطب عليها.

وقد تأتي الفاء عاطفة (رابط ا) تدل على الترتيب والتعقيب، أي عدم وجود مهلة زمنية بين المعطوف والمعطوف عليه ومن المدونة على سبيل الاستدلال الأمثلة التالية
مثال1:"فالحق مرآة للعالم ظهر فيها صور العالم فرأت الممكنات نفسها في مرآة الحق الوجود فتوقفت في الوجود عليه"¹.

مثال2:"فكان الإنسان آخر مولد في العالم أوجده الله جامعا لحقائق العالم كله وجعله خليفة فيه فأعطاه قوة كل صورة* موجودة في العالم"².

مثال3:"وقد قال تعالى كما ورد: كنت كنزا لم أعرف فأحببت أن أعرف فبهذا الحب

¹ المصدر السابق ، ج 7، ص 31.

* المقصود بها الصورة الإلهية وهي عبارة عن الإنسان الكامل الذي يتحقق بالأسماء الإلهية (هذا الإنسان له: السمع، الرحمة، الغضب، القدرة، الحلم، وغيرها من الصفات الإلهية المتجلية فيه) ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي.

² ابن عربي، الفتوحات المكية ، ج3، ص226.

وقع التنفس فظهر النفس* فكان العماء"¹.

إن ظهور صور العالم في مرآة الحق في المثال 1 هو القول المعطوف، والمعطوف عليه بالرابط الفاء هو النتيجة الحاصلة مباشرة دون مهلة زمنية هو: رؤية الممكنات – الإنسان- نفسها أو حصول ظهورها في المرآة نفسها. وفي المثال 2 المعطوف هو: أوجد الله الإنسان آخر مولد والمعطوف عليه بالواو: وجعله خليفة ثم المعطوف عليه بالفاء: فأعطاه قوة كل صورة نتيجتان للقول المعطوف: أوجد الله الإنسان آخر مولد.

أما في المثال 3 ربطت الفاء العاطفة بين القول المعطوف : وقع التنفس والمعطوف عليه أو النتيجة 1 : ظهور النفس ، والنتيجة 2 وجود العماء. ومعنى هذا أن المعطوف حجة والمعطوف عليه يصبح النتيجة التي يرمي الخطاب إلى الإقناع بها.

إن تكرار الروابط الحجاجية في الأمثلة السابقة يشكل خاصية أسلوبية تؤثر لحجاجية الخطاب ، وتنوعها في خطاب واحد تأكيد لقوة طاقته الحجاجية يقول ابن عربي : "فأما فتنة النساء فصورة رجوعه إلى الله في محبتهم بأن يرى أن الكل أحبّ بعضه وحنّ إليه فما أحبّ سوى نفسه، لأن المرأة في الأصل خلقت من الرجل من ضلعه القصيري فينزلها من نفسه منزلة الصورة التي خلق الله الإنسان الكامل عليها وهي صورة الحق فجعلها الحق مجلى له، وإذا كان الشيء مجلى للناظر فلا يرى الناظر في تلك الصورة إلا نفسه، فإذا رأى في هذه المرأة نفسه اشتدّ حبّه فيها وميله إليها لأنها صورته، وقد تبين لك أن صورته صورة الحق التي أوجده عليها فما رأى إلا الحق ولكن بشهوة حبّ والتذاذ وصلة يفنى فيها فناء الحق بحب صدق وقابلها بذاته مقابلة المثالية ولذلك فني فيها فما من جزء فيه إلا وهو فيها، والمحبة قد سرت في جميع أجزائه فتعلق كله بها فلذلك فني في مثله الفناء الكلي بخلاف حبّه فاتحد بمحبوبه إلى أن قال: "أنا من أهوى ومن أهوى أنا"

* يقصد به النفس الرحماني والوجود الإضافي الوجداني والمتكثر بصور المعاني التي هي الأعيان وأحوالها في الحضرة الواحديّة، تشبهاً بالنفس.
3 ابن عربي، الفتوحات المكية، ج3، ص 466 .

وقال الآخر في هذا المقام: "أنا الله" فإذا أحببت مثلك شخصا هذا الحبّ رذك إلا الله شهودك وكانت الفتنة فتنة أعطتك المهداة"¹.

تكررت " لأن السببية مرتين، وكانت رابطا بين النتيجة حبّ الرجل للمرأة والسبب الحجة بأنها جزء من الرجل خلقت من ضلع آدم . ومعنى هذا أن الرجل أحبّ نفسه وبوصفه إنسانا كاملا ربانيا تجلت فيه صورة الحق أو صفاته فإن حبّه "في الحقيقة حنين الحق إلى نفسه في صورة خلقه المتعين " ². وربطت الفاء في (فينزلها، فجعلها، فإذا) بين الحجة :خلقت المرأة من الرجل والنتيجة : ينزلها منزلة نفسه لأنها صورته، وصورته صورة الحق، ورؤيته للمرأة وميله لها رؤية للحق حجة قبل لكن وما بعدها قوى منها حجاجيا وعدلت القول برمته إلى أنّ: الرؤية تكون بشهوة حبّ وفناء والحجة القوية هنا تعلل - عبر الرابط "ذلك" الذي تكرّر مرتين - النتيجة الحاصلة وهي فناء الإنسان في الخالق من خلال "تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات... فيكون الحق سمعه وبصره"³. أي أنّ الغيبة عن الصفات البشرية يقتضي الحضور للمحبوب الخالق والبقاء فيه ولذلك فإن الاستشهاد بأقوال المتصوفة دون ذكر أسمائهم (أنا من أهوى ومن أهوى أنا) (أنا الله) يدخل ضمن حجة السلطة وأيضا حجة علاقة الجزء/ المرأة بالكل/ الرجل كلها حجج حشدها المتكلم لتخدم النتيجة المصرّح بها الفناء أو وحدة الوجود التي لا تفصل بين المخلوق والخالق أو المحب والمحبوب والتي يهدف الخطاب إلى إقناع السامع بها.

2-1-6 روابط التعليل:

هي الأسباب التي يمكن أن تقدم لخدمة إثبات... (أو) الطرق التي تقود المعطيات إلى النتائج⁴ ، أي أن ما قبلها علة لما بعدها وهذا ما تثبته الأمثلة التالية .
مثال 1: " الشوق لا يصحّ أن يتعلق بحاضر وإنما متعلقة غائب غير مشهود له في الحال، ولذا كان الشوق من أوصاف المحبة، ولهذا يطرد وينعكس فيقال: كل محبّ مشتاق وكل

¹ المصدر السابق، ج8، ص247.

² محمد بن الطيب ، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي ، ص 258 .

³ عبد المنعم الحفني ، المعجم الصوفي ، ص 196 .

⁴ ينظر: محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، ص 61.

مشتاق محب، ومن ليس بمشتاق فليس بمحب، ومن ليس بمحب فليس بمشتاق"¹.
مثال2: "ومن الفكر فيها في خزانة الخيال يحصل له علم بأمر آخر بينه وبين هذه الأشياء التي فكر فيها مناسبة، ولا مناسبة بين الله وبين خلقه، فإن لا يصح العلم به من جهة الفكر، ولهذا منعت العلماء من الفكر في ذات الله تعالى"².
مثال3: "فالعالم كله جماله ذاتي وحسنه عين نفسه إذ صنعه صانعه عليه، ولهذا هام فيه العارفون وتحقق بمحبته المتحققون، ولهذا قلنا فيه في بعض عباراتنا عنه أنه مرآة الحق"³.

مثال4: "وأهل البداية في هذا الطريق كلهم عند حصول التوبة ملتذون بكل شدة تطرأ عليهم فهي شدة عند غيرهم وهي ملذوذة هينة عندهم، ولهذا أهل النهاية من العارفين يحنون إلى البداية لأجل هذه اللذة فإنهم لا يجدونها في النهاية... فهم أهل غضب ورضى فيحنون إلى البداية لأجل ما فيها من الالتذاد"⁴.
مثال5: "فالمريد في هذه الطريقة يحمل المشاق والشدائد، والمكاره مشاق وشدائد ومكاره غير ملتذ بها بل يحملها من أجل الله أو أجل ما له فيها أي في حملها من السعادة الأبدية"⁵.

إذا قلنا في المثال 1 لماذا أو ما علة حدوث الشوق؟ الجواب علة حدوثه أنّ الله غائب غير مرئي، أي أن الغياب علة بسببها تحصل النتيجة الشوق. والرابط بينهما "لذا" والموضع الذي يحكم الربط هو: كلما غاب الشيء ولم يشاهده الناس كلما أثار فيهم الشوق والحب والحجة 1 في المثال 2: لا يمكن تلقي الذات الإلهية بواسطة الحواس والفكر علة للنتيجة منع العلماء من التفكير في الذات الإلهية، الرابط دائما "لهذا" يتكئ على الموضع الصوفي القائل " ذات الله تعالى غيب الأحادية لا تدري بمفهوم عبارة ولا تفهم بمعلوم إشارة "⁶.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 3، ص 545.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 147.

³ المصدر نفسه، ج 6، ص 223.

⁴ المصدر نفسه، ج 4، ص 230.

⁵ المصدر نفسه، ج 4، ص 232.

⁶ عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 98.

في المثال 3 صنع الله العالم على صورته هو الحجة التي عللت النتيجة 1 : حبّ العارفين له ،والنتيجة 2 وهي: العالم مرآة الحق استنادا إلى الموضع الصوفي : ما دام أنّ العالم مصنوع على الصورة الأزلية في علم الله القديم فهو مرآة رأى فيها نفسه. والقول :التوبة لذيدة في بداية أهل الطريق حجة لتعليل النتيجة حنين أهل النهاية من العارفين إلى بداية الطريق في المثال 4، علما أن النتيجة ذاتها تمثل الحجة 2 التي عللت عبر الرابط "لأجل" النتيجة: طلب اللذة والمؤكد بالنتيجة ذاتها بعد "لأجل" الثانية. وتكاثر الأقوال الحجاجية ونتائجها.والربط بينها يحكمها الموضع الصوفي المشترك: يلتذ الإنسان ببداية توبته أكثر من غيرها. وبالنسبة للمثال الأخير القول يتحمل المرید مشاق ما يكرهه حجة أيضا لتعليل النتيجة: نيل رضا الله وحصول السعادة، والرابط "لأجل" يستند إلى الموضع التالي: إذا صبر الإنسان على مشاق الطاعات والعبادات يعيش سعيدا ينال رضا الله.

بالنسبة للام التعليل جاءت في أمثلة كثيرة والبحث اقتصر على الاستدلال بعضها:

مثال1:"فأعطاك لتشكر كما أخذ منك لتبصر"¹.

مثال2:" فإنّ الله ما كثر لنا الآيات في العالم وفي أنفسنا إذ نحن من العالم إلا لنصرف نظرنا إليه ذكرا وفكرا وعقلا وإيمانا وعلمًا... وما خلقنا إلا لنعبده"².

مثال3:" وما خلق الله العالم الخارج عن الإنسان إلا لضرب مثلا للإنسان ليعلم أنّ كل ما ظهر في العالم هو فيه والإنسان هو العين المقصودة فهو مجموع الحكم، ومن أجله خلقت الجنة والنار والدنيا والآخرة"³.

اللام هنا يربط ويعلل الأقوال بنتائجها. ففي المثال 1 النتيجة :الشكر معللة بوجود العطاء، والصبر بالأخذ والربط في حقيقته يقوم على موضع ديني يشترك فيه المتخاطبون بقولهم: إذا نال الإنسان العطاء شكر الله وإذا أخذه منه صبر عليه . وفي المثال 2 النتيجة : نذكر الله ونفكر ونؤمن به يعلّلها وجود الأشياء الكثيرة في العالم وفي أنفسنا، والموضع: بقدر ما تكون الأشياء كثيرة في العالم بقدر ما نفكر في الله. أمّا المثال

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 8، ص 251.

² المصدر نفسه، ج 6، ص 223.

³ المصدر نفسه، ج 6، ص 180.

الأخير فالقول خلق الله العالم تعليل للنتيجة أن يعلم الإنسان أن العالم تجليات لله وأن الجنة والنار والدنيا والآخرة علة وجود الإنسان.

تبين الأمثلة المدروسة أن الروابط الحجاجية متجلية في سطح الخطاب بوصفها حلقة واصله رابطة بين الحجة والنتيجة شكليا، وأن المواضع المشتركة المنطق عليها بين المتخاطبين هي الضامن لهذا الترابط، فهي تمثل الانسجام العميق أو تعالق الحجة مع النتيجة. علما أن الحجة لا تكون كذلك إلا إذا وجهت المخاطب إلى نتيجة مذكورة صراحة أو مضمرة. فإن كانت مضمرة، فإنها تمثل المسكوت عنه تداوليا أو الفراغ المتروك للمتلقى لإكماله، بدفعه وإشراكه في إنتاج قسم من الحجة من خلال الربط بين المصرح به (الحجة) والمضمر (النتيجة) أي أن الإضمار انسجام عميق بينه المتلقي، والتصريح اتساق معطى في بنية الخطاب من المتكلم.

3-العوامل الحجاجية:

يعرفها ريبول Olivier Reboul وموشلار Jaques Moeschler من خلال كتاب ديكر ووانسكومبر بأنها "الأثار الظاهرة التي تؤكد حجاجية الملفوظ... وليس لها من وظيفة سوى ضمان التوجيه الحجاجي للملفوظ"¹. والفكرة نفسها يؤكد عليها جون كارون Jean caron عندما يقول "إنما يكمن دورها في توجيه الحجاج خاصة والخطاب عامة نحو نتيجة واحدة"². وعلى هذا الأساس فإن وظيفة العوامل هي تقوية درجة التوجيه في الخطاب، فإذا كان ق 1 السيارة جاهزة موجه نحو ق 2 أو النتيجة: لنخرج إلى النزهة، فإن النتيجة ذاتها تكون أقوى بصفة مؤكدة بدخول العامل "إنما" عند القول: إنما السيارة جاهزة³.

إن دخول العوامل الحجاجية على الملفوظ يؤدي إلى تحقيق الوظائف الحجاجية Les fonctions argumentative التالية⁴:

¹ عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ،ص33.
²Caron jean ,les regulations du discours ,psycho l'inguistique et pragmatique du langage p173.
³ نقلا عن : عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 25.
⁴ ينظر: عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ،ص 32.
⁴ المرجع نفسه، ص 35.

مثال1:تقلص أو تقضي على تعدد الاستلزامات والنتائج بنقل المتقبل من التعدد والغموض إلى وحدة النتيجة والمقصد، أي أنها تقوم بحصر المسالك التأويلية حتى تقود إلى نتيجة واحدة، وذلك برسم مسلك تأويلي قصير محدد يربط ق 1 ب ق 2. وبالتالي لا يضيع السامع وسط المفاهيم والتأويلات، فينتجه تأويله إلى ما لم يقصده المتكلم فلا يضمن بذلك تسليم المتقبل وإذعانه.

مثال2:عمل المواضيع وتنشيطها l'activation d'un topoi، لأن الموضوع هو أساس ارتباط ق 1 المعطى بالنتيجة ق 2 وهو الضامن لتسلسل الخطاب l'enchaînement de discours وتناسقه بمعنى حصول الانسجام بين الحجة والنتيجة. تقوية التوجيه نحو النتيجة "ن" على صعيد المربعات الحجاجية والسلام الحجاجية بوصفها آلية من آليات إثبات مقولة التوجيه الحجاجي وحجاجية اللغة. والمثالان التاليان يوضحان الوظيفيتين 1 و2:

1. الساعة تشير إلى الثامنة

2. لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة

فرغم دخول العامل (لا- إلا) في المثال 2 إلا أنه لا يختلف عن المثال 1 في القيمة الإخبارية أو المحتوى الإبلاغي la valeur acquise، والذي تأثر هو القيمة الحجاجية la valeur argumentatif أو الإمكانيات الحجاجية التي يتضمنها القول. وعليه فالقول 1 يستلزم تعدد النتائج التالية: الدعوة إلى الإسراع، التأخر، هناك متسع من الوقت، موعد الأخبار¹.

وبتعبير آخر يمكن أن تكون النتيجة التي يخدمها هي:

إذن أسرع استنادا إلى موضعين²:

1. كلما كان أمامنا متسع من الوقت أكبر أسرعنا أكثر

2. كلما كان أمامنا وقت أقل أسرعنا أكثر

ويمكن أن تكون النتيجة مضادة: إذن لا تسرع استنادا إلى موضعين أيضا:

3. كلما كان أمامنا وقت أقل قللنا من السرعة

¹ ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص، ص34، 35.

² ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 190.

4. كلما كان أماننا وقت أكثر أقللنا السرعة

إذا جميع المواضع جائزة، وهي تمثل مسارات مقبولة إلى نتيجة وعكسها ودخول العامل (لا، إلا) قضى على تعدد النتائج، وأكد على نتيجة واحدة: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة، إذن لا تسرع.

ولبلوغ هذه النتيجة لا يمكن أن نعتمد سوى على موضع واحد هو الموضع 4 بالقول: لا تشير الساعة إلى الثامنة فلا تسرع، ويبطل عمل الموضع 2 بدخول العامل السابق، لأن القول: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة أسرع يكون لاحقاً حجاجياً، ذلك أنه كلما كان أماننا وقت أقل أسرعنا أكثر، فالموضع صحيح لكن تسلسل الخطاب خاطئ، ويبطل الموضع 3 إذ لا يجوز القول: لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة فلا تسرع ذلك أنه كلما كان أماننا وقت أقل تمهلنا.

العوامل إذن تنشط الموضع وتبطله أي تتحكم فيه. وهي الفيصل في حسم تعدد النتائج المحتملة في الملفوظ لصالح نتيجة واحدة وبصفة مؤكدة. والمواضع تضطلع بضمان التسلسل الحجاجي للأقوال بحيث تنسجم الحجة مع النتيجة.

والبحث إذ يدرس العوامل على كثرتها فإنه ينتقي أكثرها شيوعاً وتكراراً وتعبيراً عن الرؤى والطروحات التي يدافع عنها ابن عربي رغبة منه في حمل المخاطبين على الإذعان إليها خصوصاً ما تعلق منها بوحدة الوجود والإنسان، والعالم والله والسكر الصوفي. وعلى ضوء ذلك فالعوامل المدروسة في هذا السياق هي: النفي والاستثناء، إنما وبعض أدوات النفي، ضمير الفصل.

3-1 النفي والاستثناء:

تكرر في جميع أجزاء المدونة، حتى أضحت خاصية أسلوبية تؤكد عامليته الحجاجية بإخراج الخطاب من محتواه الإبلاغي الإخباري إلى أداء وظيفته الحجاجية تقوي توجيه الملفوظ نحو نتيجة واحدة فقط كما في الأمثلة التالية:

مثال 1: "فما صدرنا إلا عن واحد، كما أن العالم كله ما صدر إلا عن إله واحد، فالعين واحدة كثيرة"¹.

مثال 2: "فما في الوجود إلا الله، فالوجود وإن كان عينا واحدة فما أكثره إلا أعيان الممكنات فهو الواحد الكثير"².

مثال 3: "فما في الوجود إلا الله وأحكام الأعيان، وما في العدم الشيء إلا أعيان الممكنات مهياًة للاتصاف بالوجود ... فلا هي كما هو ولا هو لأنه الظاهر، فهو والتميز بين الموجودات معقول ومحسوس لاختلاف أحكام الأعيان.

فما ثم إلا الله والكون حادث وما ثم إلا الله والكون ظاهر³

مثال 4: "فما في الوجود إلا محب ومحبوب، لكن من شأن المحبوب* أن يكون معدوما ولا بد فيجب إيجاد ذلك المعدوم أو وقوعه في موجود ولا بد لا في معدوم، هذا أمر محقق لا بد منه"⁴.

مثال 5: "فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا عبد ولا حر، ولا حياة ولا موت، ولا فرح ولا قرح، ولا متحرك ولا ساكن ولا شيء من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات والتماتلات إلا وهو مراد للحق تعالى"⁵.

مثال 6: "فما في العالم أو ما هو العالم سوى كلمات الله"⁶.

في المثال 1 الملفوظ من دون العامل (ما- إلا) صدرنا عن واحد إخبار لا حجاج فيه يحتمل نتيجتين الأولى: وحدة الوجود (الخالق والموجودات الكثيرة شيء واحد لا يقبل الفصل) استنادا إلى الموضع:

1. إذا صدرنا نحن والعالم من شيء واحد. فالوجود واحد

* إشارة إلى ذات الشيء الذي تبدو منه الأشياء، عين الله الإنسان الكامل فيه ينظر إلى العالم، والإنسان هو عين العالم، لأنه متحقق بالإسم البصير، لأن كل ما يبصر في العالم من أشياء فإنما يبصر بهذا الإسم.

ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 112.

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 6، ص 201.

² المصدر نفسه، ج 5، ص 407.

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 240.

* المحب والمحبوب شيء واحد بمعنى أن الخلق الظاهر هو الحق الباطن.

⁴ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 3، ص 497.

⁵ المصدر نفسه، ج 1، ص 63.

⁶ المصدر نفسه، ج 4، ص 47.

2. لم تصدر من واحد. فالوجود واحد

والثانية:

3. لم تصدر من شيء واحد. فالوجود ليس واحدا (متعدد)

4. إذا صدرنا من واحد. فالوجود ليس واحدا

وللقضاء على هذا التعدد، جاء العامل السابق متبوعا بعامل آخر هو الصفة من أجل تحديد وجهة الملفوظ وتقويته نحو نتيجة واحدة يقبلها المخاطب ولا يعارضها وهي: وحدة الوجود* بالاعتماد على الموضع 1، أي إذا كان صدورنا من شيء واحد فالوجود واحد لا يقبل التجزئة والتعدد. وعليه يكون القول: فما صدرنا إلا عن واحد. فالوجود واحد. ولا تنسجم الحجة مع النتيجة إذ قلنا: فما صدرنا إلا عن واحد فالوجود متعدد في حالة النتيجة الثانية المضادة. والمثال 2 تكرر لما جاء في المثال 1، فالعامل نفسه (لا- إلا) والصفة (عينا واحدة) (الواحد الكثير) لتقوية النتيجة وحدة الوجود.

ومن هنا فإن العاملين الحجاجين اللذين هما الصفة والحصر... يضيقان من تعدد النتائج المستفادة من الملفوظ بل إنهما يضربان صفحا عن الطاقة الإبلابية ويجعلان المتقبل مباشرة في مواجهة حجاجية وأمام نتيجة واحدة¹ يقبلها ولا يعترض عليها. بالنسبة للمثال 3 القول: في العدم الشيء أعيان الممكنات دون العامل (لا- إلا) يحتمل نتيجتين أولهما: الوجود المعدوم هو الوجود الظاهر اعتمادا على موضعين:

1. إذا كانت الأعيان في العدم مهياة للوجود، فالوجود المعدوم* هو الوجود الظاهر.

2. لم تكن الأعيان مهياة للوجود. فالوجود المعدوم هو الظاهر

وثانيهما: لا يكون الوجود المعدوم هو الوجود الظاهر اعتمادا على:

3. لم تكن الأعيان مهياة للوجود. فلا يكون المعدوم هو الظاهر.

* الحقيقة الوجودية واحدة، والكثرة الظاهرة مظاهر وتعيينات فيها، وبالتالي الخلق الظاهر هو الحق الباطن، ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 257. وعن الفكرة نفسها يقول عبد الجليل بن عبد الكريم ساهم في كتابه وحدة الوجود عند ابن عربي "فأضحت الحقيقة عنده شيئا واحدا، إذا نظرت إلى ظاهرة سميته خلقا وموجودا، وإذا ما ناداك باطنه ألقينته خالقا وموجدا"، ص 82.

¹ عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 64.

* في نظر ابن عربي لا فرق بين الوجود في العلم الإلهي والوجود في عالم الحس الظاهر، فهما مرتبتان من مراتب الوجود. بمعنى أن الوجود العلمي والحسي وجهان لحقيقة وجودية واحدة. ينظر: أحمد بن الطيب، وحدة الوجود عند ابن عربي، ص 178.

4. إذا كانت الأعيان في العدم ليست مهياً للوجود، فلا يكون الوجود المعدوم هو الظاهر.

وعليه يكون القول ما في العدم الشيء إلا أعيان الممكنات موجه بقوة إلى النتيجة الأولى: الوجود المعدوم (المعلوم) هو الوجود الظاهر بفضل العامل (لا- إلا) الذي أبطل المواضع 2، 3، 4، ونشط الموضع 1 لانسجامه مع النتيجة السابقة بدليل أن القول لا ينسجم حجاجياً إذا قلنا: ما في العدم شيء إلا أعيان الممكنات. فالوجود المعدوم ليس هو الظاهر. والأمر نفسه في المثال 4 فالمحبوب موجود سابقاً في العدم (علم الله)، وبالتالي المحب (الموجد) والمحبوب (الموجود) حقيقة وجودية واحدة أو وحدة الوجود.

إذا جردنا المثال 5 من النفي والاستثناء بالقول: في الوجود طاعة وعصيان... مراد للحق فالنتيجة الصفات الإلهية المتجلية الكثيرة لله استناداً على الموضوعين التاليين:

1. إذا كانت الصفات الإلهية المتجلية في الكون لله وحده، فالوجود واحد
2. إذا كانت الصفات ليس لله . فالوجود واحد مع احتمال نتيجة ثانية هي: الصفات ليست لله. الوجود متعدد استناداً إلى الموضوعين:
3. إذا كانت الصفات ليست لله. فالوجود ليس واحداً.
4. إذا كانت الصفات لله فالوجود ليس واحداً (متعدد)

إن عامل النفي والاستثناء يبطل المواضع 2، 3، 4، ويعمل الموضع 1 بالقول: ما في الوجود طاعة ولا عصيان ولا ربح ولا خسارة... إلا وهو مراد للحق تعالى لينسجم مع النتيجة وحدة الوجود ويؤكد لها "ذلك أنه بمقتضى منطق وحدة الوجود أنه حتى إضافة الصفات إلى الله لا تمس وحدانية الله وتفردته إذ تكون هنا نسب وإضافات متكررة لوجه ظاهر، أما وجه الحقيقة الباطن فهو واحد"¹. ومعنى هذا أن "وحدة الوجود... أمر لا يتحقق بالمشاهدة، إذا المشاهدة تختص بالجانب الظاهر المتعدد... (و) ما نصف به أنفسنا من إرادة وعلم وقدرة وغيرها من الصفات، الله هو عينها، إذ إنه المصدر الباطن لكل صفات العالم الظاهري المتعدد،

¹ عبد الجليل بن عبد الكريم سالم، وحدة الوجود عند ابن عربي، ص 85.

فصفاته هي عين وصف الإنسان ونفسه¹ . أي أن الصفات الإلهية متجلية في الإنسان "إذا نظرنا إليه من حيث تعينات ذاته في صور الوجود، فهو يسمع ويبصر مثلاً، لا بمعنى أن سمعه وبصره يشبهان سمع مخلوقاته وبصرهم، بل بمعنى أنه متجل في صورة كل من يسمع وما يسمع، وكل من يبصر وما يبصر"².

إذا كان الملفوظ السابق موجهاً إلى عكس النتيجة: تعدد الوجود، أو بالاستناد إلى موضع آخر: الصفات لغير الله فإنه يصبح شاذاً حجاجياً لا انسجام فيه بين الحجة والنتيجة. وفي المثال الأخير المعنى الإخباري من دون الأداة (لا- إلا) يؤدي إلى نتيجتين: الأولى المتكلم في الحقيقة الله *وليس الإنسان (الوجود واحد) تجلى فيه الله عبر اللغة، والثانية المتكلم ليس الله (تعدد الوجود) والأداة السابقة عامل قام بحصر الملفوظ وتقوية توجيهه نحو النتيجة الأولى استناداً إلى الموضع الصوفي القائل: إذا كان الله متكلماً متجل في كل من يتكلم، فالوجود واحد (كلام الناس صورة حسية لجوهر اللغة الإلهية). وبالتالي يكون لاحقاً حجاجياً إذا قلنا: إذا كان الله متكلماً متجل في كل من يتكلم. فالوجود متعدد (كلام الناس مختلف عن اللغة الإلهية).

والأمر نفسه في المثال الأخير، فالعامل (لا- إلا) يحصر الملفوظ في نتيجة واحدة هي: الوجود كلمات الله أو هو اللغة الإلهية حتى لا يعتقد المخاطب أن في الوجود كلمات ليست لله، أو غير كلمات الله، لأن الموجودات وجدت عن الأمر الإلهي "كن" والذي وجد هو الآخر عن تركيب في حروف الإله باتصال حرفين هما الكاف والنون، ومن هنا فاللغة توازي الوجود كله³ . فلوجود إذن هو كلمات الله المرقومة⁴.

3-2إنما:

¹المرجع السابق،ص 85.

² محمد بن الطيب ، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي ،ص 302 .
*الدلالة العرفية الظاهرة للغة البشرية خادعة، فالله هو المتكلم من خلال كل إنسان، ومن خلال كل صورة وجودية.

³ينظر : نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي ،ص299.

⁴ينظر : المرجع نفسه ،ص301 .

"حرف حصر وقصر ويأتي محصورها متأخرا" ¹ مثل إنما ينجح المجتهد فالمعنى دون إنما يكون للمجتهد وقد يكون لغير المجتهد ، ودخول الأداة ضيق المعنى وحصر صفة النجاح وأكدها على المجتهد فقط.

يرى عز الدين الناجح أن ع ب القاهر الجرجاني بين وظيفتها الحجاجية عندما قال: "اعلم أنها تفيد في الكلام بعدها إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره فإذا قلت: إنما جاءني زيد: عقل منه أنك أردت أن تنفي أن يكون الجاني غيره فمعنى الكلام معها شبيه بالمعنى في قولك: جاء زيد لا عمرو" ² . وعلى ضوء ذلك فالملفوظ في الآية: (إنما نحن مصلحون) ³ له نتيجة واحدة لا ثانية لها وهي: إننا لسنا مفسدين ردا * على من قال لهم: لا تفسدوا في الأرض، وبالتالي "إنما" جعلت الجملة جملتين:

1. نحن مصلحون

2. لسنا مفسدين ⁴

إذا العامل إنما مؤشر قوي على حجاجية الملفوظ، وبعدم وجوده "يكون الكلام حينئذ لما عليه الأشياء في الكون "نحن مصلحون" وليس عملا قوليا مفيدا معنى نقلت رأيكم أو ننفي أطروحتكم أو ندحض ما تدعون ⁵، أي أنها تغير اعتقاد المخاطب وتوجهه نحو نتيجة واحدة يقبلها بدلا من البقاء مترددا في متاهة الإخبار عن تعدد النتائج المحتملة.

مثال 1: "وصية إلهية بتعظيم الأولياء: ... يا ابن آدم إنما أمرتك ونهيتك لتستعين بها وتعصم بحبلي لا أن تعصيني... إنما خلقت الدنيا وسخرتها لك لتسعد للقائي وتنزود منها" ⁶

¹ محمد محمد حسن شراب ، معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية ، ص 136.

² عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، موفم للنشر ، الجزائر ، 1991، ص 311.

³ سورة البقرة ، الآية 11.

* المخاطب يعتقد أننا مفسدون، أي عكس ما يقوله المتكلم بذلك كان أسلوب القصر "إنما" قصر قلب ردا على هذا الاعتقاد وتوجيها نحو النتيجة "لسنا مفسدين" علما أن هذا النوع من القصر سيحضي بالدراسة أيضا في الفصل الأخير.

⁴ ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 56.

⁵ الهرج نفسه، ص 56.

⁶ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج8، ص 354.

مثال 2: "فاعلم أن الله تعالى ما خلق العالم لحاجة كانت له إليه، وإنما خلقه دليلا على معرفته ليكمل بذلك ما نقص من مرتبة الوجود ومرتبة المعرفة"¹.

مثال 3: "وإنما السكران* من أهل الله يرتقي في سكره من سكر إلى سكر"²

مثال 4: "اعلم أن الإنسان ما أعطى التحكم في العالم بما هو إنسان وإنما أعطي ذلك بقوة إلهية ربانية**، إذ لا تتحكم في العالم إلا صفة حق"³.

مثال 5: "وإنما يقرب*** العبد من سيده بعلمه أنه عبد له"⁴

مثال 6: "ففيض الوجود العيني إنما وقع على تلك المرئيات لله في حال عدمها"⁵

المثال 1 كان ردا على من يعتقد أن غير الله يستعان به أيضا ويعتصم به، وبالتالي العامل إنما يقوم بقلب اعتقاد المخاطب وتغييره إلى نتيجة واحدة :هي قصر صفة الاستعانة على الله ونفيها عن غيره، علما أن النتيجة نفسها "الاستعانة بالله فقط" يعلها القول/ الحجة أوامر الله ونواهيها عبر الرابط لام التعليل استنادا إلى الموضوع: يستعان بالله في كل شيء وهذا ما يقوي عمل إنما. وبالنسبة لـ إنما الثانية فهي أيضا رد على من يقول أن الدنيا للإنسان وحده وليس لغيره، وهذه النتيجة تصير حجة تغل نتيجة أخرى تتمثل في الاستعداد للحساب في الآخرة والرابط بينهما لام التعليل والموضع: إذ سخر الله الدنيا من أجل الإنسان، فإنه سيحاسبه.

في المثال 2 إنما تنفي النتيجة القائلة أن خلق الله للعالم ليس دليلا أن الوجود في العلم الإلهي وعالم الحس مرتبتان لحقيقية واحدة، وتؤكد على توجيه الملفوظ إلى نتيجة واحدة تقنع المخاطب وهي: الوجود العلمي والحسي شيء واحد أو وحدة الوجود " ومن ثم لزم أن يكون ظهوره في هذا العالم من هذا الوجه . وهذا الأمر الأخير يوجبه ظهور الذات

¹المصدر السابق، ج 4، ص 285

* نشوة النفس التي يشعر بها من يشاهد بقلبه المحبوب الله.

² ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج4، ص261.

** الصفات الإلهية مثل: العزة، الذل، القدرة، السماع.

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 3 ص 463.

*** القرب حال يقتضي حال المحبة والخوف والقرب الدنو من المحبوب (الله) بالكشف والمشاهدة عبر القلب وضده

البعد عن المكاشفة، ينظر: عبد المنعم الحفني، المعجم الصوفي، ص 201.

⁴ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 4 ص 285.

⁵ المصدر نفسه ج 4، ص 442.

الإلهية من غيب الكنزية إلى الظهور أو التجلي ، ليعرف الله بصفاته لغيره" ¹ . وما يؤكد ذلك أن النتيجة نفسها اكتمال الوجود العلمي (الباطن) والحسي (الظاهر) معللة بالحجة خلق الله العالم دليلا على معرفته والرابط دائما لام التعليل.

وبالنسبة للمثال 3 إنما تنفي ارتقاء غير السكران من أهل الله وتقوي توجيه الملفوظ (القول) نحو النتيجة: السكران بالخمرة الإلهية فقط وحده من يرتقي في المحبة الإلهية. وللتذكير فالسكر الروحي نشوة تفيض عن النفس الممتلئة بمحبة الله الغائبة وعيا وجسدا القريبة من الحقيقة الإلهية ، وهو ما يرمى بالشطح ² . وفي المثال 4 إنما تؤكد على نتيجة واحدة هي: الإنسان الكامل لا الحيوان الذي تجلت فيه الصفات والأسماء الإلهية * وحده المتحكم في العالم الماسك للوجود "لأن الأسماء الإلهية تطلب وجوده ولا وجود لها إلا بالإنسان" ³ . وحصر الملفوظ في هذه النتيجة وإقناع المخاطب بها جاء ردا على من يعتقد أن غيره من الموجودات هي التي تمسك العالم وتضمن استمرارية الوجود.

أما المثال 5 فالملفوظ يتجه إلى تأكيد نتيجة واحدة هي: قصر صفة قرب العبد (الإنسان) من سيده (الله) على العلم الكشفي الموهوب في قلبه إلهاما، انكفاء على الموضوع الصوفي: كلما ألهم الله قلب عبده بالعلم، كلما كان قريبا من مشاهدة الحقيقة الإلهية، ردا على من قال: ليس العلم القلبي (الكشفي) هو الذي يقرب به العبد من الحقيقة الإلهية وإنما العلم النظري (العقلي). وأخيرا النتيجة الوحيدة المؤكدة.

في المثال 6 هي: المرئيات الكثيرة أو الموجودات المتجلية كانت موجودة سابقا في العدم في علم الله. فالوجود إذا واحد والموضع وحدة الوجود، ردا على من يرى أن الوجود الظاهر والباطن متعددا وليس واحدا .

وفي سياق آخر يرى الجرجاني أن "إنما" تدخل على خبر يكون معلوما عند السامع لغرض تنبيهه "اعلم أن موضوع إنما على أن تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع

¹ محمد بن الطيب، وحدة الوجود عند ابن عربي، ص256 .
² ينظر عبد الحميد هيمة، الخطاب الصوفي وآليات التأويل قراءة في الشعر العربي المعاصر، للنشر، الجزائر، 2008، ص257.

وأيضاً: أمين يوسف عودة، تجليات الشعر الصوفي قراءة في الأحوال والمقامات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2001، ص 269 وما بعدها

* هو الإنسان المخلوق على لصورة الإلهية والذي تجلت فيه الصفات الإلهية، فالله حي عليم قادر سميع والإنسان كذلك.

³ محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصوف الإسلامي، ص 231.

صحته... تفسير ذلك أن تقول للرجل: إنما هو أخوك وإنما هو صاحبك القديم: لا تقوله لمن يجهل ذلك ويدفع صحته ولكن لمن يعلمه ويقر به إلا أنك تريد أن تنبهه للذي يجب عليه من حق الأخ وحرمة الصاحب"¹. إن الخبر الذي لا يجهله المخاطب هو الموضوع الذي يقر به لأنه فكرة عامة مشتركة، والتنبيه بالخبر المعلوم في حقيقته توجيه إلى النتيجة².

في المثال الذي استدل به الجرجاني حذف العامل إنما بالقول هو أخوك يكون للإبلاغ، والمتكلم يكتفي بالسكوت (لأنه يخبر بوجود الأخ دون أن يهدف إلى الإقناع)، ولذلك فإن إدخال العامل بالقول: إنما هو أخوك من أجل أداء وظيفة حجاجية، لأن العامل يوفر للمتكلم إمكانية استمرار الحديث الذي تتناسل منه مجموعة من الأقوال/ النتائج التي يضمنها الموضوع³ على الشكل التالي:

المواضع	النتائج
الأخ يكرم	إذن فأكرمه
الأخ يسامح	فسامحه
الأخ يعطف علي	فاعطف عليه
الأخ لا يتعدى عليه	فلا تتعدى عليه

الموضع إذا يربط الحجة بالنتيجة، وقوته تكمن في القدرة على توليد النتائج وتكاثرها "فلولا الموضع لما كان ثمة انسجام بين الحجة والنتيجة... والطريف في الأمر أنه على قدر قدرة الموضع في المحاجة يكون عدد الإمكانيات في مواصلة الملفوظ وعلى قدر قوة العامل الحجاجي يكون ظهور الموضع وقده"⁴، أو عمله لتحديد وضبط النتيجة المقصودة ومن المدونة وقف البحث على دراسة الأمثلة التالية:

¹ عبد القادر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 307.

² عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 106.

³ المرجع نفسه، ص 106.

⁴ المرجع نفسه، ص، ص 102، 103.

مثال 1: "ومن وصايا العارفين بالله... يا عبدي ما أمرتك بشيء تعاونني فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرني إن فعلته، بل إنما أمرتك لتعلم أن لك ربا وإلها هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشيك وحافظك وصاحبك وناصرك ومعينك"¹.

إن قوة الموضوع يجعل النتائج مستمرة على النحو التالي:

هو خالقك	الله يخلق الإنسان	
هو رازقك	الله يرزقه	
إنما أمرتك لتعلم أن لك ربا وإلها	حافظك	الله يحفظه
معبودك	الله يعبد الإنسان	
ناصرك	الله ينصر الإنسان	
معينك	الله يعينه	

جاءت النتائج صريحة تتضمن نتيجة مضرة يحددها قوة العامل "إنما" وهي: الله موجود قادر على كل شيء بناء على الموضوع: وجود الله وقدرته كفكرة مشتركة بين المتخاطبين علما أن الحجة بعد بل (أن يعلم الإنسان أن له ربا وإلها هو خالقه) ، هي الأقوى في سلم ترتيب الحجج وتوجيه القول كله نحو النتيجة نفسها والمعللة أيضا بالحجة نفسها عبر لام التعليل. أي أن الرابطين بل ولام التعليل يعضدان قوة "إنما".

مثال 2: "فبه تعالى يسمعون ويبصرون ويأكلون ويشربون وينامون ويقومون، وله يسمعون ويبصرون ويأكلون ويشربون وينامون ويقومون وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه في الثناء على الله "فإنما به وله"².

النتائج المذكورة صراحة هنا هي:

- نسمع الله يسمعنا

- نبصر الله يبصرنا

- فإنما نحن به وله:

- نشرب يشربنا

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 355.
² المصدر نفسه، ج 7، ص 95.

- ننام ينومنا

وجميعها تتضمن نتيجة واحدة مضمرة يحددها العامل إنما وهي: تجلي الصورة أو الصفات الإلهية (السمع - البصر - القيام...) في الإنسان الكامل المخلوق على الصفات الإلهية. وهي تركز على الموضع الصوفي: الإنسان الكامل بالصفات الإلهية وليس بجسميته.

مثال3: "والإنسان إنما يعامل الناس لصفاتهم لا لأعيانهم"¹.

بالاستناد إلى الموضع : إذا عاملت الناس تكون النتائج هي:

- كن صادقا إذا كنت صادقا يعاملك الناس
- كن أميناً إذا كنت أميناً يعاملك الناس
- كن مخلصاً إذا كنت مخلصاً يعاملك الناس
- كن

وكل هذه النتائج تصب في اتجاه تحديد نتيجة واحدة هي قصر صفة معاملة الناس على الأخلاق الحسنة.

مثال4: "فحسن الخلق إنما هو فيما يرضى الله فلا تصرفه إلا مع الله"².

في هذا المثال تقديم وتأخير لأن أصل التركيب هو: إنما حسن الأخلاق هو إرضاء الله والعامل "إنما" يستمد قوته من ضمير الفصل "هو" ، ومن قدرة الموضع على تنبيه السامع إلى نتيجة يعلمها وهي: أطع الله (الموضع الله يطاع). لا تغضب الله بسوء خلقك (الله يغضب من سوق الأخلاق). استحضر الله في أخلاقك (الله حاضر معنا).

تكمّن العاملة الحجاجية لـ "إنما" في إعمال الموضع من أجل تقوية توجيه الملفوظ نحو نتيجة لا يجهلها السامع ، أو في حالة الرد على من يقول عكسها، وبالتالي فإن "القصر بانما أكثر دعماً للنتيجة أي إن الملفوظ أصبح به أقرب إلى النتيجة"³ خصوصاً إذا نظرنا معه عوامل أخرى كالضمير والنفي والاستثناء كما في المثالين 3-4.

¹ المصدر السابق، ج 8، ص 263.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 255.

³ عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 151.

3-3 أدوات النفي:

النفي يكون بالأدوات: لم- لن- ليس- ما- لا و"عاملية النفي الحجاجية لا يمكن إدراكها إلا بإدراك النتيجة التي يريد الباحث توجيه جمهوره إليها"¹ مثل:²

- ليس على المريض حرج: النتيجة: الحرج على غيره (الصحيح)
- لا ينجح المتكاسلون: ينجح المجتهدون
- لا يسقط المجتهدون: غيرهم (الكسالى يسقطون)

إن أدوات النفي هنا تؤكد نفي الحرج عن المريض، والنجاح عن المتكاسل، والسقوط عن المجتهد، وتتجه إلى إثبات النتيجة غير المصرح بها وهي: وقوع الحرج على غير المريض والنجاح للمجتهد والسقوط للكسالى . "فما لم يحدده (المتكلم) بالإثبات يحدده بالنفي"³ . وعلى هذا الأساس كانت "وظيفة النفي... هي الإثبات"⁴. والإثبات يقوي الإقناع. أي أن الإثبات هنا إقناع بطريقة ضمنية .

لم:

مثال 1: والباري سبحانه لم يزل عالما بالعالم أزلا ولم يكن على حالة لم يكن فيها بالعالم غير عالم، فما اخترع في نفسه شيئا لم يكن يعلمه"⁵ . ينفي العامل "لم" عدم علم الله بالعالم قبل ظهوره وتجليه ويتجه إلى تأكيد وجود علمه قبل ظهورها استنادا إلى الموضوع: الله يعلم الأشياء قبل خلقها. وتكرار النفي بلم 4 مرات، وبالأداتين "غير عالم" "فما اخترع". تؤكد قوي يجعل المخاطب أمام نتيجة واحدة لا يعترض عليه ا هي: العالم كان موجودا سابقا في علم الله. ولذلك كان بإمكان المتكلم القول: يعلم الله ويخترع الأشياء الموجودة في العالم. وفي هذه الحالة يكون الكلام إخبار ا عن علم الله واختراعه للأشياء ومن هنا ندرك عاملية لم النافية والتعويل عليها في الحجاج.

¹ المرجع السابق، ص 50.

² المرجع نفسه، ص 53.

³ وضحي بونس، القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق

⁴ سوريا 2006، ص 171.

⁵ المرجع نفسه، ص 171.

⁵ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 142.

مثال2:" إذ كان وجودنا على حدّ ما كئنا في علمه، ولو لم يكن كذلك لخرجنا إلى الوجود على حدّ ما لم يعلمه... فنكون إذن موجودين بأنفسنا أو بالاتفاق"¹.

لو هنا حرف امتناع لامتناع متضمن معنى الشرط غير الجازم * بمعنى امتنع خروجنا إلى الوجود دون علمه لامتناع نفي علمه مسبقا بوجودنا** . إن لو الامتناعية في هذا السياق تعضد النفي بلم وتوجهه بقوة لإثبات النتيجة : أوجدنا الله في علمه قبل إخراجنا إلى الوجود الحسي. والموضع الرابط بين الحجة والنتيجة: الله يعلم بوجودنا قبل خلقنا.

مثال3: فإذا جعلت حياة الرب على ما تستحقه الربوبية وحياة العبد على ما يستحقه الكون فقد انبغى للعبد أن يكون حيا، ولو لم ينبغ له ذلك لم يصح أن يكون الحق أمرا ولا قاهرا إلا لنفسه"².

تبيين لو أن الحق/ الله امتنع أن يأمر ويقهر نفسه لامتناع نفي وجود من يأمره ويقهره حيا. وهو ما يقوي عمل "لم" في إثبات النتيجة المضادة: الحق أمر للعبد قاهر له، بناء على الموضع: الله يأمر عباده ويقهرهم.

مثال4:" فإن المربوب والمألوه لو لم يتولّ الله حفظه دائما لفني من حينه إذ لم يكن له حافظ** يحفظه ويحفظ عليه بقاءه، فلو احتجب عن العالم في الغيب انعدم العلم"³.

إن نفي الفناء عن المألوه/ الإنسان بنفي عدم حفظه من الله يقوي توجيه الملفوظ للقول: بوجود الصفة الإلهية الحفظ كنتيجة للملفوظ للقول: بوجود الصفة الإلهية الحفظ كنتيجة مضمرة ترتكز على الموضع: الله يحفظ الإنسان والعالم.

لا النافية للجنس:

¹ المصدر السابق، ج 1، ص 142.
*لها معاني كثيرة: تدل على التقليل، التمني، العرض، الشرطية كما في هذا المثال ينظر: محمد محمد شراب، معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية، ص ص 519، 520.
** سبق توضيح هذه الفكرة في ص 221 من هذا الفصل.
² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 137.
* يوضح ابن عربي أن الصفات الإلهية لا يمكن أن تظهر من دون وجود الإنسان قائلا: "فاعلم أيها المستفيد أن الحق تعالى له الرحمة والعفو والكرم والمغفرة، وهي له حقيقة... وعفو عمن، وكريم على من، وغفور لمن" ينظر: الفتوحات المكية، ج 6، ص 35.
³ المصدر نفسه، ج 5، ص 95.

تعمل عمل إن وتفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نفيًا عامًا¹ ، أي أنها تنفي حقيقة النكرة كلها فإذا قلت: لا رجل في الدار نفيت جنس الرجال من الدار حتى لا يجوز أن يقال: "بل رجلان"². ونفي الخبر عن جنسها يعني إثبات جنس آخر غيرها، والإثبات في الحقيقة هو النتيجة المضمرة المحددة عبر لا النافية للجنس.

مثال 1: "يا إخوتي و يا أحبائي... أشهدكم... أن الله تعالى إله واحد، لا ثاني له في أولوهيته منزله عن الصاحب والولد، مالك لا شريك له ملك لا وزير له، صانع لا مدبر له"³.

يمكن توضيح النتيجة التي يحددها العامل لا النافية كما يلي:

- إله واحد لا ثاني له: غيره من البشر يكون ثانيًا وثالثًا
 - مالك لا شريك له: الشراكة لغيره من البشر
 - لا وزير له مدبر معه: غيره من يتخذ وزيرًا أو مدبرًا معه
- مثال 2:** "وإنما العلم الصحيح إنما هو ما يقذفه في قلب العالم. وهو نور إلهي. يختص به من يشاء من عباده... ومن لا كشف له لا علم له"⁴

من لا كشف له لا علم له ، له علم الاستدلال العقلي (علمه غير صحيح) . والدليل على ذلك أن "إنما" تكررت مرتين ردا على من يقول بصحة علم الاستدلال (النظر) العقلي.

مثال 3: "فنحن بحكم الأصل عبيد عبودتي لا حرية فيها فما نحن سادة ولا أرباب"⁵.

- فنحن عبيد عبودية لا حرية فيها: غيرنا: أي من كان عار فلصوفيا وصل إلى الله عبو المقامات والأحوال وصار حرا سقطت عنه العبودية.
- فما نحن سادة ولا أرباب: غيرنا من وصل إلى الله أرباب تألهوا ومن عبواتهم: أنا الله وسبحاني.

ليس:

¹ ينظر محمد محمد حسن شراب، معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية، ص 497.

² ينظر رشيد الشرروتي، مبادئ العربي، ص 288.

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية، ج 1، ص 62.

⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 331.

⁵ المصدر نفسه، ج 2، ص 534.

تناولها البحث عند دراسة السلاالم الحجاجية، وبالتحديد قانون سلم الخفض، ولذلك فإن النفي بليس عن اقتران خبرها بحرف الجر الزائد هي التي تكون موضوعا لدراسة عاملية ليس. يبين ابن جني (390 هـ / 463 هـ) أن الغرض من استعمال الباء هو الإيجاز "وإذا قلت: ليس زيد بقائم، فقد نابت الباء عن (حقا)، و(البئة)، وغير (ذي شك)... وإذا قلت: أمسكت بالحبل، فقد نابت الباء عن قولك: أمسكته مباشرة له وملاصقة يدي له"¹. وأن وظيفتها توكيد المعنى " وأما زيادتها فلإرادة التوكيد بها"².

والتوكيد تمكين المعنى في النفس وتقويته لإزالة الشكوك عما أنت بصدد الإخبار عنه³. ولذلك تزداد اطرادا لتأكيد الخبر المنفي مثل: لست بقارئ⁴، أو لتأكيد الإيجاب نحو (كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا)⁵،⁶ فإذا كانت أدوات النفي السابقة تقوي توجيه الملفوظ نحو

النتيجة، فإن وجود الباء مع ليس توكيد للمؤكد، أي أنها تعمل بقوة على منع المخاطب على الاعتراض أو الرفض، وتحمله على القبول والإذعان.

مثال 1: "من ليس بمشتاق فليس بمحب، ومن ليس بمحب فليس بمشتاق"⁷.

- من ليس بمشتاق فليس بمحب: النتيجة المثبتة هي: المشتاق وحده هو المحب الصوفي.
- من ليس بمحب فليس بمشتاق: المحب وحده هو المشتاق.

إن تعزيز نفي الشوق عن المحب بليس والباء يقوي التوجيه والنتيجة: المشتاق

وحده هو المحب لله. والموضع: إذا اشتاق الإنسان للشيء أحبه. والموضع الثاني: إذا أحب الإنسان شيئا اشتاق إليه. ولو جاء التعبير مجردا من العوامل بالقول المشتاق محب يحتمل معنيين: الأول: المشتاق محب، والثاني: غير المشتاق محب أيضا. ومن هنا فإن تعدد المعنى إخبار لا حجاج فيه لأن المخاطب لا يدري النتيجة التي يريد المتكلم إقناع المخاطب بها.

¹ ابن جني، الخصائص، تحقيق محمد على النجار، ج 2، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دبت، ص 274.

² المصدر نفسه، ص 284.

³ ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص 51.

⁴ ينظر: سعيد الأفغاني، الموجز في قواعد اللغة العربية، دار الفكر، ط 1، و ط 2، 1970، ص 335.

⁵ سورة الرعد، الآية 43.

⁶ ينظر: رشيد الشرتوني، مبادئ العربية، ص 310.

⁷ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 4، ص 263.

مثال2:"وأما قبل السكر فليس بصاح ولا هو صاحب صحو"¹.

النتيجة التي يحددها تكرار النفي هي: بعد السكر الروحي (الغيبية) يكون العارض صاح راجعا إلى إحساسه والموضع الصوفي يصحو السئبي.

مثال3:"والباري سبحانه ليس بمحسوس أي ليس بمدرک بالحس"².

- الباري ليس بمحسوس: الباري غيب توارى وراء الحجاب
- ليس بمدرک بالحس: يدرك وعيا وذهولا (أي كشفا عن طريق القلب)
والموضع في ذلك: الغيب يدرك إلهاما بالقلب

مثال4:"والإله ليس بعاجز، فالإله من نفذت إرادته وهو الله الواحد لا شريك له"³

النتيجة: الله قادر على فعل ما يريد والموضع: قدرة الله نافذة.

مثال5:"التوحيد ليس بأمر وجودي، وإنما هو نسبة والنسب لا تدرك كشفا وإنما تعلم من طريق الدليل"⁴.

النتيجة: التوحيد نسبة أو صفة إلهية لله تعالى مطلقا، أي نفيها عن غيره، وهي مذكورة مؤكدة بالقول "وإنما هو نسبة" كما أن عامل النفي في القول "النسب لا تدرك كشفا" إثبات للنتيجة المصرح بها والمؤكدة بأداة الحصر "وإنما تعلم عن طريق الدليل باعتبار أن "الاسم... والصفة معالم للذات، فلا يكون الاسم والصفة إلا لذي ذات"⁵
مثال6:"فلو صح للمحب أن يشهد غير محبوبه في عين ما لدخل عليه من ذلك ما يزيل حبه وهذا ليس بواقع في الحب"⁶.

إذن النتيجة المحب يشاهد محبوبه، والربط بينها وبين الحجة ليس بواقع في الحب أن يشهد المحب غير محبه يركز على الموضع: المحبوب يشاهد، مع العلم أن امتناع (نفي) إزالة الحب لامتناع أو نفي أن يكون صحيحا مشاهدة غير المحبوب (الله).

¹ المصدر السابق، ج 4، ص 263.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 147.

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 435.

⁴ المصدر نفسه، ج 3، ص 439.

⁵ عبد المنعم الحفني، المعجم الصرفي، ص 245.

⁶ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 7، ص 121.

يخدم النتيجة السابقة ويؤكدها عبر العام لو الامتناعية. ثم إنه ليس صحيحا أن يشاهد المحب ما لم يحبه، لأن ذلك يعد تناقضا. أو حجة أخرى تؤكد النتيجة المحب يشاهد محبوبه، ومعنى هذا أن وجود أكثر من عامل مع حجة التناقض يقوي حجاجية الملفوظ.

3-4 ضمير الفصل أو العماد:

هو ضمير رفع منفصل يؤتى به بين المبتدأ أو الخبر المعرفتين فائدة لفظية لتمييز الخبر من التابع نحو "أخوك هو العالم. فلولا الضمير لظن السامع أن العالم صفة "الأخوك" لفائدة معنوية تتمثل في قصر المعنى. فالقول زيد هو الكريم يدل الضمير أن الكرم مقصور على زيد لا يتجاوزه إلى عمرو ،ولذلك يقال في تأكيده "لا عمرو" وأيضا الغيور هو النافع لوطنه، بمعنى ليس الغيور إلا النافع لوطنه¹.

وعليه فإذا أدرك السامع المعنى الذي يحصره ضمير الفصل هو، فإنه يدرك عامليته الحجاجية في القضاء على تعدد النتائج وغموضها نحو حصرها في نتيجة واحدة يدعن لها ولا يرفضها. والأمثلة التالية كفيلة بتأكيد هذا الطرح.

مثال 1: "فإن المؤمن هو القوي في حق الله خاصة الضعيف في حق الهوى لا يساعد هواه في شيء إذا جاءه الهوى"².

مثال 2: "فالعلم* هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب، والعالم هو القلب، والمعلوم هو ذلك الأمر المحصل"³

في المثال 1 صفة القوة مقصورة على المؤمن وحده فقط ،أي أن غير المؤمن ليس قويا هو النتيجة التي يتجه العامل هو إلى تأكيدها. والموضع: الإنسان قوي بالإيمان أو بقدر ما يزداد إيمانا يكون قويا. وفي المثال 2 النتيجة التي ينفىها العامل هو ويؤكد عليها هي: الحصول على العلم عن طريق العقل ليس صحيحا ويقال في توكيده: العلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب وليس العقل. وغير القلب أي العقل ليس عالما، وتأكيده يكون: العالم هو القلب وليس العقل.

وأخيرا النتيجة: ليس الأمر المحصل في العقل هو المعلوم.

¹ ينظر: رشيد الشرتوني، مبادئ العربية، ص 206.

² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 280.

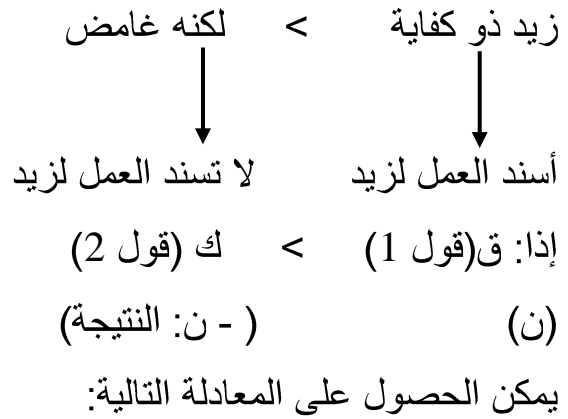
* العلم الذي يقذفه الله في قلب الصوفي دون واسطه، وهو معرفة ذات الله وصفاته، ينظر: المعجم الصوفي، ص 179.

³ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 1، ص 142.

يفهم من هذا أن إثبات المعنى بضمير الفصل يقوي معنى النفي كنتيجة مضمرة، وأن ما لم يحدده المتكلم بالنفي يحدده بالإثبات، والدليل على ذلك أن النفي ذاته جاء صريحا في قول ابن عربي: "فالوجود المحض هو الله ليس غيره، والعدم المحض هو المحال وجوده ليس غيره، والإمكان المحض هو العالم ليس غيره"¹. ومن هنا كانت العاملية الحجاجية لضمير الفصل هي النفي، على عكس أدوات النفي السابقة التي تؤدي وظيفة الإثبات.

4-المربع الحجاجي:

تبين الروابط المدروسة في هذا الفصل أن الحجج قسمان: حجج متساوقة تنتمي إلى قسم حجاجي واحد وتوجه السامع إلى نتيجة واحدة، وأخرى متعارضة لا تنتمي إلى نفس القسم وتؤدي إلى نتيجتين مختلفتين. وفيها يوجه الرابط لكن وما شابهه المخاطب إلى النتيجة الثانية بوصفها النتيجة الأقوى التي تغطي على القول كله. وقد فسرها موشلار بما سماه المربع الحجاجي الموضح على النحو التالي²:



$$ق \leftarrow ن \text{ و } ك \leftarrow ن \text{ و } (ق + ك) \leftarrow ن$$

تشير المعادلة إلى أن عدم إسناد العمل لزيد هو النتيجة النهائية التي تنسجم مع حجتين مختلفتين. وفرضا أن المثال السابق كان على النحو التالي: زيد ذو كفاية لكنه غامض أسند العمل لزيد، فإن نتيجته لا تنسجم مع الحجة وعدم انسجامها يخل حجاجيتها. يقول موشلار: "لكي يكون الملفوظ ذا بعد حجاجي يجب أن يكون ثمة تطابق تام بين

¹ المصدر السابق، ج 4، ص 84.

² ينظر: عز الدين الناجح، العوامل الحجاجية في اللغة العربية، ص 161.

النتيجة والقسم الحجاجي للحجة"¹. وحتى لا يكون البحث تكرارا لما سبق دراسته فإنني سأكتفي بتوضيح المربعات الحجاجية للأمثلة التالية في شكل خطاطات موجزة.
مثال1:"قد علمنا إيماننا أن الله أقرب إلينا من حبل الوريد ولكن لا نبصره لهذا القرب المفرط"².

الله أقرب إلينا من حبل الوريد
 ↓
 المفرط

ولكن لا نبصره لهذا القرب
 ↓

ن = قريب نبصره

ن = بعيد لا نبصره

مثال2:"فالعين* من الحق واحدة والعين من العبد واحدة، لكن عين العبد ثبوتيه ما برحت من أصلها ولا خرجت من معدنها، ولكن كساها الحق حلة وجوده"³.

عين الحق واحدة وعين العبد واحدة
 ↓
 ن = تماثل ذات الحق وذات العبد

لكن عين العبد ثبوتيه
 ↓
 ن = ذات العبد تختلف عن ذات الحق

مثال3:"كالمعرفة بالله من حيث كونه إلها لا يكون إلا بخلق لا بد من ذلك فهي حق في

خلق والخلق متأخر حيث عقل أبدا"⁴

المعرفة بالله من حيث كونه إلها لا يكون إلا بخلق
 ↓
 ن = الخلق هو الحق

والخلق متأخر
 ↓
 ن = ليس الخلق حقا (إلها)

مثال4:"صفات التنزيه... معاني قائمة بذات الله لا هي هو ولا هي غيره ولكن هي

¹Reboul et moschler : dictionnaire en cyclopedique de pragmatique , du seuil, 1994, P

284. نقلا عن: عز الدين الناجح ، العوامل الحجاجية في اللغة العربية ، ص 161 .

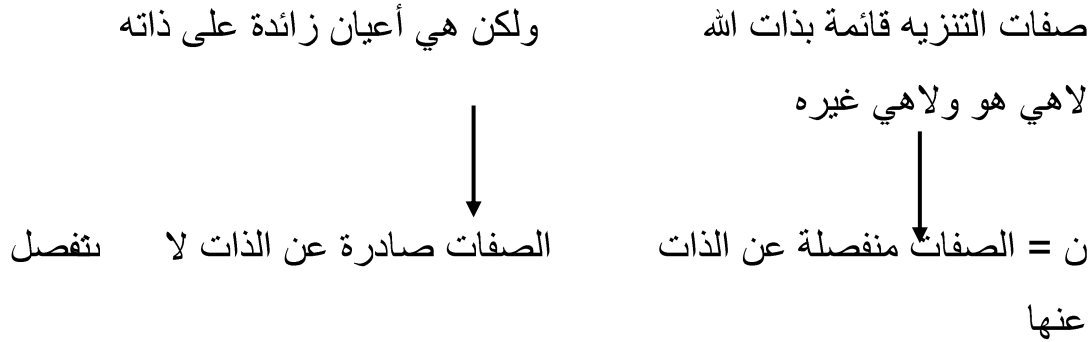
² ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 8، ص 35.

*العين هي ذات الشيء .

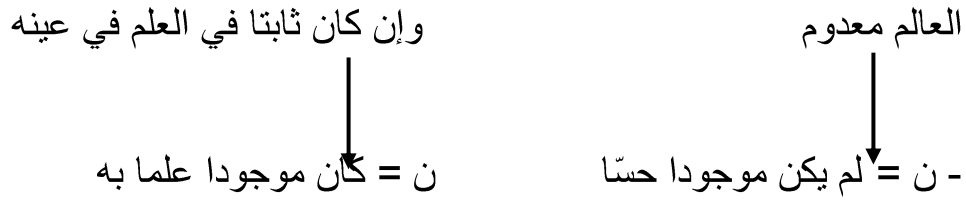
³ المصدر السابق ، ج 3، ص 9.

⁴ المصدر نفسه ج 7، ص 132.

أعيان زائدة على ذاته"¹.



مثال 5: "والعالم معدوم غير موجود، وإن كان ثابتا في العلم في عينه"².



مثال 6: "إذ كان نعيم الدنيا مشوبا بالبؤس ولذاتها بالآلام وسرورها بالحزن وفرحها بالغم"³.

بالبؤس

نعيم الدنيا

لا تحرص عليه

احرص على نعيمها

يجب الإشارة في هذا السياق أن "لكن" رابط حجاجي، وإدراجها ضمن العوامل لأنها تقوي التوجيه نحو نتيجة واحدة على صعيد المربعات الحجاجية، والتي لم تدرس ضمن الروابط نظرا إلى أن البحث كان بصدد توضيح كيف يتحقق الانسجام بين الحجة والنتيجة، استنادا إلى المواضيع المشتركة. ثم إنني استلهمت الدراسة من بحث جدير بالتنويه هو الع وامل الحجاجية في اللغة العربية للباحث عز الدين الناجح، وفيه جعل الروابط والعوامل الحجاجية شيئا واحدا.

¹المصدر السابق، ج1، ص309.

²المصدر نفسه، ج 1، ص 63.

³المصدر نفسه، ج 8، ص 329.

والذي أذهب إليه أن العنصر اللساني لكن يقوم بوظيفة الربط بين حجتين متعارضتين وفي الوقت نفسه يكون عاملاً حيث إنه يقضي على تعدد النتائج ويقوي التوجيه ويقوده إلى نتيجة واحدة فهو مزدوج الوظيفة . والأمر نفسه بل فهو يربط بين حجج متساوقة ويؤدي دور العامل لأنه يعزز الطاقة الحجاجية للمفوض ويوجه نحو النتيجة على مستوى السلالمة الحجاجية كما جاء في بداية هذا الفصل . و أما أدوات النفي والاستثناء فهي عوامل خالصة وظيفتها تحديد النتيجة .

الفصل الرابع

الحجاج الأسلوبى

مباحث الفصل الرابع

- خصائص الأسلوب واهميته الحجاجية
- التكرار
- تكرار الكلمات المعجمية
- تكرار الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية
- التوازي
- الصور البيانية
- البديع

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبي

إذا كان ابن عربي يصرح أن الفتوحات المكية إلهامات ورؤى تلقاها من الله، وأن فضله يتمثل في الصياغة اللغوية لتلك الإلهامات من أجل إبلاغها للناس، أي إعطائها الغطاء اللغوي،¹ فإن تلك الإلهامات فتح رباني له أثر بالغ في مضمون الخطاب و تشكيل أسلوبه، وأضحى من الضروري أن يحسن الباحث الإنصات للغة ابن عربي وتأمل مستوياتها بهدف الدخول إلى عالمه والتعرف على تضاريس تجربته الروحية.² إنصات يكون بملاحظة أساليب التعبير المتكررة في المدونة و القدرة على التأثير في المخاطبين واستمالتهم لتغيير أفكارهم واعتقاداتهم لتتماشى مع ما يدعو إليه المخاطب .

يرى جون كوهين أن الأسلوب هو ما ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قوالب مستهلكة؛³ إنه "تلك اللغة التي تخلق منطقتها الخاص التي تهدم العالم وتهدم كل ما سبقها وتعيد إنتاجه في سياقات جديدة مختلفة، لغة اختراق المؤلف والتعبير عما لا يعبر عنه"⁴. ومفهوم الأسلوب هنا يقوم على الانزياح deviation أي أنه "ليس التعبير الأمين أو الصادق لكون غير عادي، ولكن التعبير غير العادي لكون عادي"⁵.

وفي ضوء هذا التحديد الموجز تكون الظواهر الأسلوبية "علامات أسلوبية تكشف لنا عن حقيقة قائلها، وما يحمله من أفكار ومعتقدات وعواطف ومشاعر تقوم دراستها على "تعرية النص وإظهار خصائصه وسماته من حيث إنه شكل فني يهدف المنشئ عن طريقه إلى التأثير"⁶.

إذا كان الأسلوب يقوم على الاختلاف في طريقة التعبير، أوفي طريقة استخدام الكلام فهو مرادف للخطاب ، والخطاب كما سبق الإشارة في المدخل هو الحجاج وبالتالي فالأسلوب في ضوء علاقة التعدية حجاج أو خطاب حجاجي "بحيث بات تكرار الظاهرة اللغوية الذي عنه ينشأ الأسلوب يعني تكرار المعنى الحجاجي"⁷ وأصبح "من شأن كل

¹ ينظر : نصر حامد أبو زيد ، هكذا تكلم ابن عربي ، ص 99 .

² ينظر :المرجع نفسه ، ص 124 .

³بناء لغة الشعر ، تر ، أحمد درويش ،سلسلة كتابات نقدية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، عدد3 ،أكتوبر 1990 ،ص 23

⁴سحر سامي ، شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي ، ص 74 .

⁵يمنى العيد ، فن القول الشعري ، الدار البيضاء ، المغرب ، دار توبقال للنشر ، ط1 ، 1997، ص20. نقلا عن سحر سامي، ص36 .

⁶فتح الله سليمان ، الأسلوبية ، مدخل نظري ودراسة تطبيقية ، الدار الفنية للنشر والتوزيع ، مصر ، 1990، ص 35 .

⁷عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 53 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبي

خطاب، خصوصا إذا كان خطابا فنيا، أن يحمل الحجاج فيه خصائص أسلوبية تسمه بميسم خاص وتطبعه بطابع مميز لا يكاد يشاركه فيه غيره"¹ بل إن الحجاج والأسلوب متكاملان، إذ لا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الآخر "فالأسلوب حجاجي والحجاج يحمله الأسلوب"².

خصائص الأسلوب وأهميتها الحجاجية :

1- التكرار :

يسعى المبدع عندما يعبر عن حالته النفسية، إلى إسماعها إلى السامع عبر بنية التكرار لهذا "يعتمده الشاعر الغنائي للتعبير عن لواعج الذات وتشريك المستقبل فيما يعتمل داخل النفس من الأشجان والأحزان. وهذا ما يجرئنا على القول بأن بين التكرار والحديث عن الذات صلة خفية وبأن الكتابة – شعرا كانت أو نثرا- كلما ازدادت د لوقا في عالم الذات وضربا في فيافيه، وكشفا لخباياه ازداد تعويلها على التكرار"³ أي أن "تكرار لفظة ما، أو عبارة ما، يوحى بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الكاتب ومشاعره"⁴ وأن "العنصر المكرر لا يخرج عن ذاتية المرسل، فذات المرسل كامن في تلك العناصر، التي تشكل في حقيقتها صورة الذات في الوجود، الصورة التي تمت في النص المنجز من أول كلمة إلى آخر كلمة"⁵.

ومن هذا المنطلق فإن "التكرار ظاهرة نفسية مرتبطة ارتباطا وثيقا بعملية اللاشعور عند المرسل، فتكرار كلمة أو جملة أو عبارة ،ما هو إلا سلسلة من التدايعات التي تلحق بالباث في أثناء عملية الإبداع، فتنتقله من حدث إلى حدث أو من نص إلى نص، فتتولد عنده عملية التدايع التي تخرجه من الوعي إلى اللاوعي"⁶ والتي "يرزخ المبدع تحتها ولا يملك لنفسه تحولا عنها، إذ تبقى ملحمة عليه ولا تفارقه فتظهر مكررة فيما يقول ويعتمد استمرار

¹المرجع السابق ، ص 53 .

²المرجع نفسه ،ص 58 .

³حاتم عبيد، التكرار وفعل الكتابة في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي ، التفسير الفني سفاقس ،تونس ، ط1، 2005 ،ص ص 25، 26 .

⁴أحمد الزمر ، ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن ، مركز عبادي ، صنعاء ،اليمن ،1997، ص 254.

⁵يوسف محمد الكوفحي ، اللغة الإبداعية دراسة أسلوبية لأعمال جبران خليل جبران العربية ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،إربد ، الأردن ، ط1، 2011، ص 17 .

⁶المرجع نفسه ، ص 17 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبي

ظهورها على بقاء الحالة الشعورية كمحفز للتكرار" ¹ علما أن "هذه الحالة هي ما يرتضيها الباحث ويطلبها حثيثا، وذلك ليصل بالمتلقي أثناء التلقي إلى قارئ لاشعوريا، ومتأثر لا شعوريا يصل بتأثره وانفعاله إلى درجة الباحث" ² .

وتجمع الدراسات حول الحجاج على أهمية الدور الحجاجي لأسلوب التكرار أو المعاودة، وهو لا يدرس ضمن الحجج وإنما يعد رافدا للحجج يوفر لها طاقة مضافة تحدث أثرا في المتلقي، وتسهم في إقناعه أو حمله على الإذعان لأن التكرار يساعد أولا على التبليغ والإفهام، ويعين المتكلم ثانيا على تبين وترسيخ مقاصد الفكرة التي ظل يرددتها. ³

إذا عدنا إلى المدونة فإن التكرار برز فيها بصورة لافتة للانتباه مشكلا ظاهرة أسلوبية حجاجية، مع العلم أن ما قدمه الأستاذ صولة - رحمه الله - من أن تكرار الظاهرة اللغوية هو تكرار للمعنى الحجاجي جدير باستثماره في هذا البحث لأنه ينظر إلى التكرار من زاوية حجاجية. أما التعريفات الأخرى وإن كانت تشير إلى دور التكرار في التأثير في المخاطب من خلال نقل مشاعر المتكلم إليه إلا أن مجالها الأدب والنقد .

يضطلع التكرار بدور حجاجي كبير وكثافته قادرة على توكيد المعنى وتحديد الوجهة التي يتجه إليها الخطاب والمتمثلة في إنتاج المفهوم ، والمفهوم Le sous-entendu في تعريف o.Ducrot "ما يستنبط من المنطوق" ⁴ وعند أوركيني C. K. Orechioni "ما يفهم ولا يصرح به" ⁵. أو هو توجيه الحجة نحو النتيجة كما - في دراسة العوامل والروابط الحجاجية - التي يحددها العنصر المكرر. فالمفهوم /النتيجة قسمان : الأول هو المفهوم الدلالي le sous-entendu semantique يستخرجه المتلقي باستخدام كفايته اللغوية إلى جانب كفايته المنطقية والثقافية. والثاني المفهوم اللاقولي- le sous-entendu illocutoire وهو عمل القول الضمني من خلال الدعوة إلى عمل ما في

¹فهد عاشور ، التكرار في شعر محمود درويش ، دار الفارس ، عمان ، الأردن ، 2004 ، ص 56 .

²يوسف محمد الكوفي ، اللغة الإبداعية دراسة لأعمال جبران خليل جبران العربية ، ص 16 .

³سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة ، ص 168 .

⁴O ducret : dire et ne pas dire (1980) 2 eme edition. Hermann. P 25. نقلا عن :

عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه ، ص 264 .

⁵C.K orechioni : l'implicite. Armand Colin. Paris 1986 . P 25. نقلا عن :

عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الاسلوبية ، ص 264 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

ضوء الفكرة التي يتضمنها المفهوم الدلالي¹ ، مع الإشارة إلى أن المفهوم الدلالي يأتي مترتبا على ما أكده مثل ترتيب النتيجة على السبب بأداة تربط بينهما هي إذن . وانطلاقا من المفهوم الدلالي يأتي المفهوم اللاقولي مواصلا للكلام باستخدام الأداة "إذن" أيضا² . ففي الآية الكريمة (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ)³ المفهوم الدلالي الذي يستنتجه المخاطب هو: إذن ليس

البعث كذبا والمفهوم اللاقولي : إذن آمنوا بالبعث⁴ .

1-1-1 تكرار الكلمات المعجمية:

جاءت الكلمات والظواهر اللغوية في المدونة مكررة في الخطاب ذاته وجاءت متواترة في خطابات مختلفة مشكلة خصائص أسلوبية ذات أبعاد حجاجية.

1-1-1-1 كلمة "حق":

يقول ابن عربي "وإني مؤمن بكل ما جاء به صلى الله عليه وسلم مما علمت وما لم أعلم ... فأنا مؤمن بهذا إيماناً لا ريب فيه ولا شك، كما آمنت وأقررت أن سؤال فتاني القبر حق، وعذاب القبر حق، وبعث الأجساد من القبور حق، والعرض على الله تعالى حق، والحوض حق، والميزان حق، وتطير الصحف حق، والصراط حق، والجنة حق، والنار حق، ... وشفاعة الملائكة والنبیین والمؤمنين، وإخراج أرحم الراحمين بعد الشفاعة من النار من شاء حق، وجماعة من أهل الكبائر المؤمنين يدخلون جهنم ثم يخرجون منها بالشفاعة والامتنان حق، وكل ما جاءت به الكتب والرسول من عند الله علم أو جهل حق"⁵

تكمن القوة الحجاجية لكلمة (حق) في تكرارها 13 مرة من خلال الضغط على المعنى وتحديد الاتجاه الذي يسير إليه الخطاب ، بمعنى توليد النتيجة المفهوم⁶ الضمني الذي يريد المتكلم تبليغه للمخاطب وهو أن الآخرة والبعث ،وعذاب القبر والعرض على الله، والصراط ،والجنة موجودة لا يمكن إنكارها. والمفهوم اللاقولي : إذن آمنوا بالآخرة

¹ ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 268.

² ينظر المرجع نفسه، ص 270 .

³ سورة طه، الآية: 15 .

⁴ ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 271.

⁵ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 1 ، ص 65 .

⁶ عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 286 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

واستعدوا لها . ومن هنا فإن " الدال أو الدوال المكررة تكتسب حجاجيتها من مدى مساهمتها في تعزيز القضية المطروحة ومنحها جانبا شرعيا يجيز لها قبولا لدى المتلقي"¹ وإلا كان التكرار محض صدفة وهو أمر مستبعد انطلاقا من أننا نتكلم عامة قصد التأثير. فكيف لا يكون التكرار إذن وسيلة للتأثير خصوصا في مدونة صوفية مثل الفتوحات من جزئها الأول إلى الثامن خطاب حجاجي . صاحبها أضحى يسعى إلى الإقناع بما أوتي من الوسائل والآليات الحجاجية . والجدول التالي يوضح المفهومين الناشئين عن التكرار.

المنطوق	المفهوم الدلالي(الربط بأذن)	المفهوم اللاقولي (الربط بأذن)
أمنت أن سؤال فتاني، القبر حق ،وعذاب القبر حق، وبعث الأجساد حق والعرض على الله حق.	إذن العقاب والثواب في الآخرة ليس كذبا.	إذن آمنوا بوجود الثواب والعقاب وغيرها من الغيبيات في الآخرة بصفة مؤكدة.

إن الاكتفاء بمنطوق واحد، يلغى تكرار كلمة "حق" وبعدهم تكرارها يضعف المفهوم / النتيجة إن لم يخفف . واختفاؤه إضعاف أو إلغاء لحجاجية الخطاب .

1-1-2 كلمة " اختار "

" فإن الكيس ينبغي أن لا يكون غاية عمله إلا نبوة أصلية لا فرعية، إذ كان له الاختيار في الاختيار لما كانت الأمور في أنفسنا تقبل الاختيار كما فعل سبحانه في جميع الموجودات فاختر من كل أمر في كل جنس أمرا ما، كما اختار من الأسماء الحسنى كلمة الله واختار من الناس الرسل، واختار من العبد الملائكة، واختار من الأفلاك العرش، واختار من الأركان الماء، واختار من الشهور رمضان، واختار من العبادات الصوم، واختار من القرون قرن النبي صلى الله عليه وسلم، واختار من أيام الأسبوع يوم الجمعة واختار من الليالي ليلة القدر، واختار من الأعمال الفرائض واختار من الأعداد التسعة والتسعين، واختار من الديار الجنة، واختار من أحوال الساعة في الجنة الرؤية، واختار من

¹أميمة صبحي ، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي ، ص 98 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

الأحوال الرضا، واختار من الأذكار لا إله إلا الله، واختار من الكلام القرآن، واختار من سورة القرآن سورة يس، واختار من آية القرآن آية الكرسي، واختار من قصار المفصل (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)¹ واختار من أدعية الأزمنة دعاء يوم عرفة، واختار من المراكب

البراق، واختار من الملائكة الروح، واختار منى الألوان البياض، واختار من الأكوان الاجتماع، واختار من الإنسان القلب، واختار من الأحجار الحجر الأسود، واختار من البيوت البيت المعمور، واختار من الأشجار السدرة، واختار من النساء مريم وآسية واختار من الرجال محمد صلى الله عليه وسلم؛ واختار من الكواكب الشمس، واختار من الحركات الحركة المستقيمة، واختار من النواميس الشريعة المنزلة، واختار من البراهين البراهين الوجودية، واختار من الصور الصور الأدمية لذاك أبرزها على الصورة الإلهية، واختار من الأنوار ما يكون معه النظر، واختار من النقيضين الإثبات، واختار من الضدين الوجود، واختار الرحمة على الغضب، واختار من أحوال أفعال الصلاة السجود، ومن أقوالها ذكر الله ومن أصناف الإرادات النية فلها الحكم في قبول العمل ورده، فإنه لكل امرئ ما نوى، ويلحق غير العامل بالعامل في الأجر...².

يحوم تكرار الفعل اختار 41 مرة حول توكيد توجيه الخطاب نحو النتيجة التالية :

الإيمان بجبرية الله ومشينته المطلقة ، وحكمته في خلق الموجودات واختيارها على الصور السابقة بوصفه الخالق الوحيد للكون و"هو الفاعل على الحقيقة لأنه هو الروح الساري في الصور المتكثرة وهي أعيان الموجودات ، ومن هذه الزاوية ليس للخلق فعل ولا اختيار"³ وهو مفهوم يدحض ضمناً النظرية القائلة بعدم إيجاد الموجودات من الله وعلى ضوء هذا المفهوم يكون المفهوم اللاقولي كما يلي: اعترفوا بوجود خالق للكون وفق إرادته ومشينته علماً أن تجريد الخطاب من التكرار يجرده من طاقته الحجاجية ويجعله ذا طبيعة إخبارية وصفية لا إقناع فيه . ويجب الإشارة في هذا السياق أن كثافة تكرار الفعل اختار يسهم في

¹سورة الإخلاص ، الآية 1 .

²ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج3 ، صص 253 ، 254 .

³محمد العدلوني الإدريسي ، ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط4 ، 2004 ، ص 73 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

اتساق الخطاب وترابطه ، ويوفر له إمكانية مواصلة الكلام " بتوليد بنيات لغوية جديدة باعتباره أحد ميكانيزمات عملية إنتاج الكلام "1. أي أن " الطاقة الكامنة في التكرار الذي يساهم بكل قوة في دفع العملية الحجاجية للأمام "2. إذ يستحضر الأشياء في أذهان المخاطبين ويحول دون إعطاء الفرصة لهم في الاعتراض ، فما عليهم سوى الخضوع للمفهوم الذي يحوم حوله التكرار والذي يستنتجونه بأنفسهم ، أي أن إدراكهم للمعنى الضمني عبر التكرار يعني حصول الإقناع والتأثير .

1-1-3 كلمة "النور":

مثال 1: " وجعل نبيه في هذا المقام سراجا منيرا وبه ضرب الله المثل في نوره الذي أنار به السماوات والأرض فمثل صفته بصفة المصباح "3.

مثال 2: "واعلم أن المشي في الظلمة بغير سراج وضوء ... ينبغي (على المشي) أن يجتنب مما يضره ... وليس له ضوء سوى نور الشرع الذي قال فيه تعالى (نُورًا يَهْدِي بِهِ

مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا) 4 "وقال (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ)5 وقال (نُورٌ عَلَى

نُورٍ)6 فإذا اجتمع نور الشرع مع نور بصر التوفيق والهداية بأن الطريق بالنورين "7.

مثال 3: "ولو لا النور ما ظهر للمكنات عين ... فإنه النور المعنوي خفي لا تدركه الأبصار، ... فالحق مخبوء في الخلق من كونه نورا فإذا قدحت زناد الخلق بالفكر ظهر نور الحق من عرف نفسه عرف ربه"8.

مثال 4: "سئل صلى الله عليه وسلم: هل رأيت ربك؟ فقال: " نور أنى أراه" ... فالحق هو النور المحض والمحال هو الظلمة المحضة"9.

¹ أبو بكر العزاوي ، الخطاب والحجاج ، ص 48 .

² أميمة صبحي ، حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيد ، ص 102 .

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 4 ، ص 73 .

⁴ سورة الشورى ، الآية 52 .

⁵ سورة النور ، الآية ، 40 .

⁶ سورة النور ، الآية 35 .

⁷ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 4 ، ص ص 472 ، 473 .

⁸ المصدر نفسه ، ج 6 ، ص 143 .

⁹ المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 405 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

يسهم تكرار كلمة "النور" في كل مثال مرتين ، وتواترها في بقية الأمثلة الأخرى في تأكيد إنتاج المفهوم أو توجيهه المخاطب إلى النتيجة : الوجود في حقيقته نور والله نور الأنوار ، لأن "المخرج كل الأشياء من ظلمة العدم إلى ظهور الوجود، جدير بأن يسمى نورا، والوجود نور فائض على الأشياء كلها من نور ذاته"¹ وبناء على هذا المفهوم يكون المفهوم اللاقولي إذن : لا تنكروا وحدة الوجود القائلة بأن الله نور تجلى في الوجود بالنور أيضا بمعنى أن "الله بؤرة نور تجلياتها هي المخلوقات فكل موجود بوصفه صادرا عن الله منير بدرجات متفاوتة"² وحتى العلم الكشفي الذي ألهم به الله عزوجل قلوب العارفين الصوفيين وقذفه في قلوبهم هو نور من الله لهؤلاء .

1-1-4 كلمة "أحب":

مثال 1: وهو أن يحبنا لنا ولنفسه أما حبه إيانا لنفسه فهو قوله: "أحببت أن أعرف فخلقت الخلق فتعرفت إليه فعرفوني*" ... وأما حبه إيانا لنا فلما عرفنا به من الأعمال التي تؤدينا إلى سعادتنا ونجاتنا من الأمور التي لا توافق أغراضنا ولا تلائم طباعنا، خلق سبحانه الخلق ليسجوه فنطقهم بالتسبيح له والثناء عليه والسجود له"³.

مثال 2: "فهذا واحد أحب واحدا، وذلك الواحد المحبوب موجود في كثيرين فأحب الكثير لأجل ذلك، وهذا كحبنا الله تعالى له ومنا من يحبه لنفسه ومنا من يحبه للمجموع وهو أتم في المحبة لأنه أتم في المعرفة بالله والشهود"⁴.

مثال 3: "فحب الله أحببنا الله وحب الحق لا يتغير، فحب الكون لا يتغير، فقليل له: فحب الكون هل يتغير؟ فقال: لا لأن الكون محبوب لذاته، والمحبة الذاتية لا يمكن زوالها"⁵

¹أبو حامد الغزالي ، المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، تحقيق فضلة شحادة ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1970 ، ص ص 157 ، 158 .

²أسين بلاثيوس ، ابن عربي حياته ومذهبه ، تر عبد الرحمن بدوي ، دار القلم بيروت ، 1979 . ص 214 . نقلا عن سحر سامي ، شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي ، ص 100 .

* يفسر ابن عربي معنى "أحببت" في الحديث القدسي بأنه العشق الذي يؤدي إلى ضيق التنفس، فيحاول العاشق التنفيس عن الضيق بإخراجه من صدره عن طريق التنفس العميق (فالحب سبب الوجود) والوجود نشأ حروفا في النفس الإلهي. ينظر: نصر حامد أبو زيد، هكذا تكلم ابن عربي ، ص 213. حينما كان الله يعرف بذاته فأحبه أن يعرفها معرفة غيرية فأوجد الإنسان لأنه سيعرف بظهوره في صورة غير ذاته، يتجلى فيها، ويرى نفسه من خلالها ينظر: المصدر نفسه، ص 213، وأيضا: محمد بن الطيب، وحدة الوجود في التصرف الإسلامي، ص 253.

³ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 3 ، ص 491 .

⁴المصدر نفسه ، ج 3 ، ص 494 .

⁵المصدر نفسه ، ج 7 ، ص 121 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

مثال 4: "فما في الوجود إلا محب ومحبوب، لكن من شأنه المحبوب أن يكون معدوما ولا بد فيجب إيجاد ذلك المعدوم أو وقوعه في موجود ولا بدلا في معدوم"¹.

مثال 5: "خلق آدم على صورته والإنسان مجموع العالم ... إذ لم يكن في الوجود إلا هو فلا بد أن يكون على صورته، فلما أظهره في عينه كان مجلاه فما رأى فيه إلا جماله فأحبه الجمال، فالعالم جمال الله فهو الجميل المحب للجمال، فمن أحبه العالم بهذا النظر فقد أحبه بحب الله، وما أحبه إلا جمال الله، فإن جمال الصنعة لا يضاف إليها وإنما يضاف إلى صانعه"².

مثال 6: "المحب الله أثر الانسان من كونه محبوبه على جميع العالم فأعطاه الصورة الكاملة ولم يعطها لأحد من أصناف العالم"³.

يؤدي تكرار كلمة "أحب" أو مشتقاتها في هذه الأمثلة إلى تأكيد إنتاج النتيجة : الحب / الخلق معرفة من الله لذاته بإيجاد غيره من الموجودات ومعرفة من الإنسان إلى الله . وعليه فالمعنى الذي يستنتجه المخاطب ضمنيا هو : إذن اعلم أن الوجود هو الحب (الخلق) وبانعدامه يستحيل استمراره . وجدير بالذكر أن علاقة التعدية في المثال 2 المدروسة في الفصل الأول ص وللتذكير إذا كان حبه لذاته أو إيجاده له يتجلى في الكثرة التي أوجدها . وأيضا في المثال ما قبل الأخير الله جميل يحب الجمال وحب الإنسان للعالم هو حب لحب الله ، وهي علاقة مؤكدة بالاستثناء (وما أحب إلا الله) بوصفه عاملا حجاجيا يقوي توجيه الملفوظ نحو نتيجة واحدة وهي حب الله فقط والرابط لكن في المثال 4 يوجه الملفوظ السابق إلى النتيجة المحبوب (الوجود) كان معدوما غير موجود كلها تؤكد حاجية التكرار وتعضد طاقته التأثيرية .

1-1-5 كلمة "اعلم":

مثال 1: "اعلم وفقنا الله وإياكم أن الحروف أمة من الأمم مخاطبون ومكلفون، وفيهم رسل من جنسهم، ولهم أسماء من حيث هم، ولا يعرف هذا إلا أهل الكشف من طريقنا"⁴.

¹المصدر السابق، ج 3، ص 497.

²المصدر نفسه، ج 3، ص 517 .

³المصدر نفسه، ج 3، ص 532 .

⁴المصدر نفسه، ج 1، ص 95 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

مثال 2: "اعلم أيد الله القلوب بالأرواح أن النون من عالم الملك والجبروت ... عنصره التراب" ¹.

مثال 3: "اعلم أيها الصفي الكريم أن الصاد من عالم الغيب والجبروت" ².

مثال 4: "اعلم أيدك الله بروح الأزل أن الزاي من عالم الشهادة والجبروت والقهر" ³

مثال 5: "اعلم أيها العاقل أن الطاء من عالم الشهادة والجبروت والقهر" ⁴

مثال 6: "اعلم أيد الله القلب الإلهي أن الفاء من عالم الشهادة والجبروت والغيب واللفظ" ⁵

مثال 7: "اعلم أيدك الله أن العلم العيسوى هو علم الحروف، ولهذا أعطي النفخ وهو الهواء الخارج من تجويف القلب الذي هو روح الحياة، فإذا انقطع الهواء في طريق خروجه إلى فم الجسد سمي مواضع انقطاعه حروفا فظهرت أعيان الحروف، فلما تألفت ظهرت الحياة الحسية في المعاني وهو أول ما ظهر من الحضرة الإلهية للعالم ولم يكن للأعيان في حال عدمها شيء من النسب إلا السمع، فكانت الأعيان مستعدة في ذواتها في حال عدمها لقبول الأمر الإلهي إذا ورد عليها بالوجود فلما أراد بها الوجود قال لها "كن" فتكونت وظهرت في أعيانها فكان الكلام الإلهي أول شيء أدركته من الله تعالى بالكلام الذي يليق به سبحانه" ⁶

مثال 8: "اعلموا أن المعلومات أربعة: الحق تعالى وهو الموصوف بالوجود المطلق ... والعلم به ... ووجوده ليس غير ذاته" ⁷

تكررت كلمة "اعلم" في ج 1 أكثر من 130 مرة، 28 منها في سياق الحديث عن الحروف، وتواترت أيضا في بقية الأجزاء الأخرى . وهي صيغة "قائمة على ضمير الخطاب دون الغيبة، وهو ما يقتضي وجود متلق مباشر معني بالكلام" ⁸ حاضر فعلا أو ذهنا ، انطلق منه المتكلم ليشمل المتلقي الكوني عامة ، بدليل أن عدول الخطاب من ضمير المفرد إلى الجمع كما في المثال الأخير إشعار "بجعل المخاطب جمهورا لا فردا، وأفضل

¹المصدر السابق، ج1، ص 112 .

²المصدر نفسه، ج1، ص 113 .

³المصدر نفسه، ج1، ص 115 .

⁴المصدر نفسه، ج1، ص 116 .

⁵المصدر نفسه، ج1، ص 117 .

⁶المصدر نفسه، ج1، ص 256 .

⁷المصدر نفسه، ج1، ص 283 .

⁸عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص398 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبي

الحجاج ما جعله ربه عاما فهو للجمهور الواسع وإن كان المعني به في أصل إنشائه فردا أو جماعة ضيقة"¹.

يقول أوليفي روبول Olivier Rebul في هذا المعنى "رغم أن الخطيب يعلم أنه إنما يخاطب جمهورا خاصا فإنه يقدم له خطابا يسعى إلى أن يتجاوز الحدود الضيقة ويتعدى ذلك الجمهور الخاص إلى جماهير أخرى ممكنة واضعا في حسابه -ضمنيا- ما تنتظره تلك الجماهير وما يمكن أن تعترض عليه ... فهذا يقاس مدى نجاعة الحجاج"². إذا كان تأثيره يشمل عددا كثيرا من الناس، وربما يمتد عبر الزمان.

لاشك أن حذف كلمة "اعلم" المتواترة بكثرة في بدايات خطابات المدونة يجردها من حجاجيتها ويحولها إلى طبيعتها الوصفية الإخبارية، فتكرارها إذا يؤكد على توجيه الأقوال السابقة نحو النتيجة: حروف اللغة أمة من المخلوقات لها أسماؤها ورسالتها وهي تمثل "عبر الخيال والتجريد عالما بديلا ووجودا آخر يوجد الكون في اللغة"³.

والكلمات أو علم الحروف علم إلهي على أساس أن الله أذن لعيسى قدرة إحياء الصور بالنفخ والنفخ في الحقيقة هو النفس الإلهي، وهو كلمة الله التي ألقاها إلى مريم بمعنى أن وجود عيسى كان عن نفخ ملكي بإذن إلهي ومن هذا المنطلق "تجسد الحروف لدى ابن عربي إمكانية للتعبير عن رؤية جديدة للخالق والخلق والعلاقات الكونية، تتحرر فيها دلالة كل حرف من حدود المنطق اللفظي لتمثل جزء حيويا في المشهد الكوني إضافة لكونها جزء من المشهد الإبداعي"⁴. والحروف المقصودة هي حروف اللغة الإلهية، أما حروف لغتنا الإنسانية فهي صور ظاهرة حسية لأرواح الحروف الإلهية⁵.

وعلى ضوء هذا المفهوم يكون المفهوم اللاقولي المذكور مباشرة مصرح به في صيغة الأمر التي تقتضي وجوب معرفة السامع للفكرة أو النظرية الجديدة التي أراد ابن عربي إرساء مفاهيمها والدفاع عنها للتأثير في السامع وحمله على الاعتقاد بها.

¹المرجع السابق، ص 205 .

² olivier rebul. Introduction a la rhetorique. Op. cit. p p 101- 102. نقلا عن

عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 205 .

³سحر سامي، شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي، ص ص 79، 80 .

⁴المرجع نفسه، ص 79 .

⁵نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، ص 303 .

2-1 التكرار المعنوي:

يكون تكرار المعنى في جملة واحدة أو جملتين ، وهو أكثر حجاجية من سابقه نظرا إلى ما "تفتحه الجملتان المتتاليتان من أبواب على المعاني الضمنية من جهة والمفهوم وهو ما لا يتوافر في التكرار لفظا ومعنى"¹.

مثال 1: "إذ كان نعيم الدنيا مشوبا بالبؤس ولذاتها بالآلام وسرورها بالحزن ... فأراد ربي أيها الراهب أن يخلصهم من هذه الأمور والآلام المشوبة بالذات وينقلهم منها إلى نعيم لا بؤس فيه ولذة لا ألم فيها وسرور بلا حزن وفرح بلا غم وعز بلا ذل وكرامة بلا هوان ... وحياة بلا موت وشباب بلا هرم ... وصدقة بين أهلها بلا عداوة ولا حسد ولا غيبة"².
جاء توكيد المعاني بمعان أخرى في شكل ثنائيات متتالية (نعيم – لا بؤس)

(لذة – لا ألم) (سرور – بلا حزن) (فرح – بلا غم) (عز – بلا ذل) (حياة – بلا موت) . وتوكيد المعاني وكثافة تكرارها بهذا الشكل تجعل الراهب يدرك النتيجة : نعم الجنة ليست كذبا أو باطلا ، ويدرك المعنى الضمني الناجم عن ذلك بالقول غير المباشر : اعمل أيها الراهب من أجل دخول الجنة واجتماع النفي مع الباء الزائدة توكيد ثان مضاعف أقوى من الأول أي النفي وحده ، والإكثار من وسائل التوكيد هنا أساسه البحث عن إقناع المخاطب الراهب. ومن كان على شاكلته من الراضين المنكرين للجنة، بأن النعم الموجودة في الجنة يقين لا شك فيه، ومن هنا كلما كانت وسائل التوكيد والحجاج متنوعة كان التأثير أقوى والتعبير بالتوازي* في هذا السياق وسيلة حجاجية أخرى تدعم الطاقة الحجاجية للمعاني المؤكدة سابقا.

مثال 2: "وليتبين لك وتعرف أنك مفتقر ومحتاج إلي ولا بد لك مني، فعند ذلك لا تعرض عني ولا تتشاغل عني ولا تنساني ولا تشتغل بغيري، بل تكون في دائم الأوقات في ذكري"³

¹ عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 339 .

² ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 8 ، ص 329 .

*التوازي والفقرة نفسها يدرسان في ما بعد في هذا الفصل

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 8 ، ص 355 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبي

إذا كان المعنى الموجود في العبارتين "لا بد لك مني" و "محتاج إلي" هو نفسه في "أنتك مفنقر" فإن هذا التكرار يوجه المخاطب إلى النتيجة : ضعف الإنسان وحاجته إلى الله وهو بدوره ينجم عنه معنى غير مباشر هو اعبد الله وتوكل عليه ولا تشرك به شيئاً . وكثافة صيغ النهي التي تطلب صراحة من المخاطب تذكر الله وعدم نسيانه أو الانشغال بغيره (لا تعرض – لا تتشاغل – لا تنساني) تأكيد لذلك . وعلى هذا الأساس فإن تكرار المعنى ذو أهمية حجاجية ، ما دام أنه يؤثر في المتلقي ويغير سلوكه واعتقاده والدليل على ذلك أن الاكتفاء بواحدة من المعاني السابقة كالقول: (أنتك مفنقر إلي) يخفي النتيجة والمعنى الضمني ، واختفاؤهما إلغاء لحجاجية الخطاب السابق .

2-التضام:

تأتي بعض أزواج الكلمات متصاحبة في شكل "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"¹ ويؤكد علم النفس بواسطة تجريب (اختيار التداعي) أن مفهوم الكلمات لا يخزن لوحده في الذاكرة ، وإنما توجد بين بعض المفاهيم علاقات مثل (تلميذ – يتعلم) (قرد – يتسلق) وأن المفاهيم التي يملكها الفرد تحكمها شبكة من العلاقات الدلالية ، وهي ذات أهمية عند إنتاج النص أو عند تلقيه² لأن المتكلم " يبرز من خلاله مخزونه اللغوي عبر تضام الكلمات المرتبطة بذلك الموضوع ، والتي تمثل أساساً مشتركاً في إدراك وحدة النص وتماسكه"³ .

إن المخزون المشترك يوفر للمتخاطبين إمكانية الذهاب إليه من أجل أخذ المادة اللغوية لخطاب ما ، والاشتراك في المخزون اللغوي يعني أن المتلقي متفق مع المتكلم أو شريك له ، ومن ثم فلا يمكن له رفض ما يدعيه ولا يملك إلا خيار الخضوع لما يستحضره التضام والإذعان لما يسمع .

وقد رصد النصيون تضام الكلمات أو ورودها من خلال العلاقات التالية :

1 -علاقة التضاد بين الكلمات المتعارضة.

¹ محمد خطابي ، لسانيات النص ، مدخل إلى انسجام الخطاب ، ص 25 .
² فولجانج هاينة وديتر فيهفيجر ، مدخل إلى علم لغة النص ، تر سعيد حسن بحيري ، مكتبة الزهراء الشرق ن القاهرة ، د ت ، ص ص 82،83 .
³ عزة شبل محمد ، علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ص 157 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

2-علاقة التدرج التسلسلى المرتب بين زوجين من الكلمات (أيام، الأسبوع، الشهر) 3- علاقة الجزء بالكل مثل: السقف، الجدران، الحجرة علاقتها المنزل، علاقة الجزء بالجزء: الأنف، الذقن، العين.

4-علاقة الاندراج في الصنف العام: الطواف، الكعبة، السعي، تدرج ضمن صنف الحج.

5-علاقة التلازم الذكري: المرض، الطبيب، السفر، الطائرة.¹

ودراسة الفقرة السابقة التي تكررت كلمة "اختار" في ص؟ من هذا الفصل تبين أن علاقات التضام جاءت كما يلي:

1- علاقة الكل بالجزء: تمثلها العناصر المعجمية التالية:

(الأسماء الحسنى، الله)، (الناس، الرسل)، (الشهور، رمضان)، (العبادات، الصوم)، (القرون، قرن النبي)، (الأسبوع، الجمعة)، (الليالي، ليلة القدر)، (الأعمال الفرائض)، (الأعداد، التسعة)، (الديار، الجنة)، (الأحوال، الرضى)، (الأذكار، لا إله إلا الله)، (الكلام، القرآن)، (سور القرآن، سورة يس)، (القرآن، آية الكرسي)، (قمار المفصل، قل هو الله)، (الأدعية، دعاء عرفة)، (المراكب، البراق)، (الملائكة، الروح)، (الألوان، البياض)، (الأكوان، الاجتماع)، (الإنسان، القلب)، (الأحجار، الحجر الأسود)، (البيوت، البيت المعمور)، (الأشجار، السدر)، (النساء، مريم وآسية)، (الرجال، محمد صلى الله عليه وسلم)، (الكواكب، الشمس)، (الحركات، الحركة المستقيمة)، (النواميس، الشريعة)، (الصور، الصور الأدمية)، (الصلاة، السجود)، (الصلاة، ذكر الله).

2-علاقة التدرج التسلسلى المرتب:(القرون، أيام الأسبوع، الليالي) (الله، القرن، سورة يس، الكرسي) .

3-علاقة التباين:(الرحمة، الغضب).

تبين عملية الوصف أن علاقة الكل بالجزء هيمنت على الخطاب السابق، ثم تأتي علاقة التدرج التسلسلى، والمتكلم إذ يستحضر ما هو معروف ويخاطب المتلقي بما هو مشترك لغويا بينهما، فإن المتلقي يدرك ضمنا أنه يريد تذكيره بجبرية وحدة الوجود وأزليته إذ "يقدر وفقا لنظريته في وحدة الوجود أن العالم يسير وفق قانون أزلي وضرورة

¹ينظر : محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 25 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

صارمة تخضع لها جميع الكائنات" ¹ ثم إن تكرار الفعل اختار يؤكد البعد الحجاجى للتضام . وبالتالي فالتضام لوحده لا يمكن أن يضطلع بهذا الدور .

مثال 2: "إذ كان نعيم الدنيا مشوبا بالبؤس ولذاتها بالآلام وسرورها بالحزن وفرحها بالغم وراحتها بالتعب وعزها بالذل وصفوها بالكدر وغناها بالفقر وصحتها بالسقم، أهلها فيها معذبون في صورة المنعمين ومغرورون في صورة الوائقين، مهانون في صورة المكرمين، وجلون غير مطمئنين، خائفون غير أمنين مترددون بين المتضادين، نور وظلمة وليل ونهار وصيف وشتاء وحر وبرد ورطب ويابس وعطش وري وجوع وشبع ونوم ويقظة وراحة وتعب وشباب وهرم وقوة وضعف وحياة وموت وما شاكل هذه الأمور التي أهل الدنيا وأبناؤها فيها مترددون مدفوعون إليها متحiron فيها فأراد ربي أيها الراهب أن يخلصهم من هذه الأمور والآلام المشوبة بالذات وبنقلهم منها إلى نعيم لا بؤس فيه ... " ² .

يكمن البعد الحجاجى للتضام في ثنائيات الكلمات المتعارضة التالية : (لذتها بالآلام) (سرورها بالحزن) (ليل ونهار) (صيف وشتاء) ... وتكرارها يمنح للخطاب جمالية الأسلوب وسرعة استحضار ماهو معروف بين المتكلم والسامع ، واستمراره لإثبات الوجود القائم فعلا على الأضداد والتي تضمن استمرار الدنيا وبقائها ، قاطعا الطريق على المتلقي اعتراض أو رفض هذه الفكرة .

مثال 3: "فما في الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران، ولا عبد ولا حر، ولا برد ولا حر، ولا حياة ولا موت، ولا حصول ولا فوت، ولا نهار ولا ليل، ... ولا فرح ولا قرح، ولا روح ولا شبح، ولا ظلام ولا ضياء، ولا أرض ولا سماء، ولا تركيب ولا تحليل، ... ولا بياض ولا سواد، ولا رقاد وسهاد، ولا ظاهر ولا باطن، ولا متحرك ولا ساكن، ولا يابس ولا رطب، ولا قشر ولا لب، ولا شيء من النسب المتضادات منها ولا المختلفات والمتماثلات إلا وهو مراد للحق تعالى" ³ .

يقوم التضام في هذا الخطاب على ثنائية الكلمات المضادة (الطاعة – العصيان)، (الريح – الخسارة)، (الصحة – المرض)، (الأرض – السماء)، (الظلام – الضياء) وكثافة

¹ محمد العدلوني الإدريسي ،ابن عربي ومذهبه الصوفي ،ص 73 .

² ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 8، ص 329 .

³ المصدر نفسه ، ج 1، ص 63 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

تكرارها يمثل خاصية أسلوبية متميزة ذات بعد حجاجى من خلال التعبير الجميل القادر على استحضار الصفات الإلهية المتعددة المرئية ، وإثبات أنها للذات الإلهية الواحدة المتوارية عن الأنظار ، أو الإقناع بوحدة الوجود التي لا تفرق بين الذات وصفاتها ، علما أن عامل النفي والاستثناء يوجه الملفوظ نحو النتيجة : وحدة الوجود بصفة مؤكدة . بالإضافة إلى التوازي وكلها تقوي حجاجية التضام .

مثال 4: "ألا إن الدنيا بقاؤها قليل ... أين سكانها الذين بنوا مدائنها وشققوا أنهارها وغرسوا أشجارها وأقاموا فيها أياما يسيرة غرتهم بصحتهم فاغثروا ... ماذا صنع التراب بأبدانهم والرمل بأجسادهم والديدان بعظامهم وأوصالهم؟ كانوا في الدنيا على أسرة ممهدة وفرش منضودة بين خدم يخدمون وأهل يكرمون وجيران يعضدون... واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون وعن الأعين التي كانوا بها ينظرون، واسألهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان؟ محت الألوان وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه ومحت المحاسن وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء ... يا ساكن القبر غدا ما الذي غرك من الدنيا هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك، أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟ وأين ثمرتك المحاضرة ينعها؟ وأين رفاق ثيابك؟ وأين طبيبك؟ وأين نحورك؟ وأين كسوتك لصيفك وشتانك؟¹

جاءت علاقة التضام في هذه الفقرة كما يلي:

1-علاقة الكل بالجزء: إنهم يمثل الكل وأجزاؤه هي: (بأبدانهم- بأجسادهم- بعظامهم- بأوصالهم- الألسن- الأعين- الجلود- الوجوه- الألوان- اللحمان- المحاسن - العظام الحدقات- الوجنات- الأفواه- أعناقهم).

2-التضاد: (غنيهم- فقيرهم)، (الليل- النهار)، (ناعم- ناعمة)، (الصيف- الشتاء).

3-الاندراج في صنف عام: (مدائننا، أنهارنا، أشجارنا، أسرة، فرش، قبابهم، خدمهم، عبيدهم، دارك، نهرك، ثمرتك، ثيابك، بخورك، كسوتك).

يدرك السامع في هذا الخطاب أن المتكلم يعرض ما هو معلوم بينهما ويستحضره في ذهنه بثنائيات مستمدة من مخزونهم اللغوي بأسلوب على مستوى عال من الجمال لهدف

¹ المصدر السابق، ج8، ص 364، 365 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

التأثير فى المخاطب واستمالاته لىترك الدنيا ويعمل من أجل الآخرة . والأفعال غير المباشرة من خلال الاستفهام المتكرر الذى يتضمن إنجاز معانى نفي خلود الناس فى الدنيا والتعجب من غرورهم من الدنيا ذاتها ، وتهديدهم وتخويفهم بالموت لإقناعهم بهجر شهوات الدنيا وملذاتها حجة تداولية أقوى من التضام . أى أن التضام ترفده حجج أخرى تتضافر معه لكي يكون آلية حجاجية مؤثرة .

3- تكرار الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية : 3-1 اسم الفاعل:

صيغة تدل على ما وقع منه الفعل أو قام به على معنى الحدث ... والمراد بالحدث أن يكون الحدث أى المعنى القائم بالفاعل متجددا لصاحبه فى أحد الأزمنة الثلاثة، مثل: الجندي مقاتل، فإن صفة القتال يتصف بها الجندي فى زمن الحرب فقط على عكس الصفة المشبهة، فإنها تدل على معنى ثبوت الصفة فى صاحبها مطلقا مثل: الجندي شجاع؛ فصفة الشجاعة ثابتة فى الجندي أيام السلم والحرب¹ . وعلى ضوء هذا التعريف فإن حجاجية اسم الفاعل تكمن فى تكراره مشكلا ظاهرة أسلوبية ذات طاقة تأثيرية وهذا ما سيتأكد من خلال الأمثلة التالية:

مثال 1: "يا عبدي ما أمرتك بشيء تعاونني فيه ولا نهيتك عن شيء كان يضرني إن فعلته بل إنها أمرتك لتعلم أن لك ربا وإلها هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشيك وحافظك وصاحبك وناصرك ومعينك"² .

مثال 2: "فلنذكر طرفا من الحب الذى ينبغي أن يكون المحب عليها إن شاء الله ... فمن ذلك أنه موصوف بأنه مقتول تالف سائر إليه بأسمائه طيار دائم السهر كامن الغم راغب فى الخروج من الدنيا إلى لقاء محبوبه، متبرم بصحبة ما يحول بينه وبين لقاء محبوبه ... موافق لمحباب محبوبه، خائف من ترك الحرمة فى إقامة الخدمة"³ .

¹ ينظر أنطوان الدحاح ، معجم قواعد اللغة العربية ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط9، 1970، ص 80 وما بعدها .

² ابن عربى ، الفتوحات المكية ، ج 8، ص 355 .

³ المصدر نفسه ، ج 3، ص 518 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

مثال 3: "فلما رأيتك متعديا جائرا باغيا خائنا طاغيا متجاوزا الحد والمقدار، عرفتك الحدود والأحكام والقياس والمقدار والإنصاف والحق والصواب والخير"¹.

مثال 4: "وسئل ذو النون عن حملة القرآن من هم؟ فقال: ... صحبوا القرآن بأبدان ناحلة،

وشفاه ذابلة، ودموع زائلة، وزفرات قاتلة"².

تكررت صيغة اسم الفاعل في المثال 1 ، 7مرات وهي صيغة صرفية لم تأت لمجرد الإخبار عن الحقائق ووصفها وإنما لإثبات أن الخلق والرزق والإعانة والحفظ صفات إلهية متعددة متجددة باستمرار ، وإقناع المخاطب أن الله هو الذي يرزق وقد يتوقف عن ذلك ، وينصر كما أنه لا ينصر ،يخلق ويميت ، فعال لما يريد بعباده .

وفي المثال 2 تكرار اسم الفاعل يثبت وجود الأحوال الصوفية ويقنع المخاطب أن السير ، والكتمان ، والرغبة في لقاء المحبوب ، والخوف صفات وحالات نفسية متجددة يتصف بها المحب الصوفي تارة ثم ينقطع عنها ثم يتصف بها مرة أخرى وهكذا . وفرضا أن التعبير جاء بالأفعال الماضية التي صيغت منها أسماء الفاعل السابقة بالقول : (سار- دام، رغب- تبرم) لكان الخطاب إخبارا لا أثر فيه للحجاج ووصفا للحالة النفسية الماضية للمحب ، في حين أن القضية قضية دعوة ضمنية للمخاطب للعمل بهذه الصفات أو الأحوال النفسية المتجددة ، كما جاء في قول ابن عربي نفسه (فلنذكر طرفا من الحب الذي ينبغي أن يكون المحب عليها إن شاء الله) .

وفي المثال ما قبل الأخير تكرر اسم الفاعل 6 مرات وهو إذ يثبت تجدد تجاوز الحد واستمرار التعدي، فإنه يقنع المخاطب ضمنيا بالعدول عن الظلم، والكف عن التعدي والخيانة والعصيان . بالنسبة للمثال الأخير إذا كانت أسماء الفاعل (ناحلة – ذابلة – زائلة) تثبت انقطاع هذه الصفات وتجدها لدى حفظة القرآن ، فإن تكرار اسم الفاعل يهدف حجاجيا إلى إقناع المخاطب لأن يكون حافظا للقرآن الكريم هزيل الجسم ذابل الشفتين وإن شئت يقلد نموذج حملة القرآن . كما جاء في حجة النموذج المدروسة في الفصل الأول

¹المصدر السابق، ج8، ص 356 .

²المصدر نفسه، ج3، ص 518 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

وليس الإخبار عن صفات حملة القرآن ، والدليل على ذلك أن الفقرة ذاتها ستكون محل الدراسة المتعلقة بالاقضاء الحجاجى فى سياق دراسة البعد الحجاجى للنعته

3-2 النعت: *

يمثل النعت أحد الظواهر الأسلوبية البارزة المتكررة فى نفس الخطاب. وهو دون تكراره يقوم بدور حجاجى. وإذا تكرر يتضاعف دوره لاحتوائه على الخصائص الاقتضائية. يقول عبد الله صولة: "والمقتضى موجود أيضا فى النعت يؤتى به تأكيدا لمنعوته فهو كالزائد لكون معناه قد فهم بعد من منعوته"¹. ولأن مفهوم الاقتضاء وأبعاده الحجاجية سبق وأن درسته فى الفصل الأول، ولذلك سأكتفى بدراسة الأمثلة التى تكرر فيها النعت بوصفه حجاجا أسلوبيا قادرا على النفاذ إلى قلوب وعقول السامعين .

والمثال الأخير المتعلق بتكرار اسم الفاعل والذي يتحدث عن صفات حفظة القرآن، مضافا إليه الأمثلة التالية :

مثال 1: "واذكر سالف إنعامى عليك وقديم إحسانى إليك وجميل آلائى ليك إذ خلقتك ولم تك شيئا مذكورا خلقا سويا، وجعلت لك سمعا لطيفا وبصرا حادا وحواسا دراية وقلبا ذكيا وفهما ثاقبا وذمنا صافيا وفكرا لطيفا ولسانا فصيا وعقلا رصينا وبنية تامة وصورة حسنة وأعضاء صحيحة وأدوات كاملة وجوارح طائعة"².

مثال 2: "قال الراهب: زدنى فى البيان فإنها وصية عجيبة ما سمعت بمثلها من أهل هذا الشأن، قال العارف: أزيدك اسمع ما أقوله وافهم ما تسمع وأعقل ما تفهم: إن الله جل ثناؤه لما خلق الإنسان من طين ولم يك شيئا مذكورا ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين نطفة فى قرار مكين ثم قلبه حال بعدها لتسعة أشهر إلى أن أخرجه من هناك خلقا سويا ببنية صحيحة وصورة تامة وقامة منتصبه وحواس سالمة ... ثم أعطاه قلبا ذكيا وسمعا دقيقا

* النعت نوعان: "النعت الحقيقى: هو الدال على صفة من صفات منعوتة هذا الثوب ممزق" و "النعت السببى: هو الدال على صفة من صفات متعلق منعوته: هذا ثوب ممزق أطرافه" ينظر: أنطوان الدحداح، معجم قواعد اللغة العربية، ص 217.

¹ الحجاج فى القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 308 .

² ابن عربى ، الفتوحات المكية ، ج 8، ص 356 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

وبصرا حادا وذوقا لذيذا وشما طيبا ولمسا لينا ولسانا ناطقا وعقلا صحيحا وفهما جيدا
وذهنا صافيا" ¹.

مثال 4: "واسألهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنه والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان
داخل القبر" ².

جاء منطوق النعت المصرح به في هذه الأمثلة لتأكيد حقيقة أصحاب القرآن وحقيقة
الخلق من الناس، وما تتعرض له أطراف أجسامهم وهم تحت التراب، وضمنا إقرار صحة
حصول النحافة والذبول في المثال الأول، واللطافة وقوة الحواس والذكاء والصفاء
والفصاحة وتمام البنية ... في المثال الثاني. وفي المثال الثالث الاستواء وصحة البنية
وتمامها وانتصاب القامة والطيب والليونة... ثم الرقة والحسن والنعومة في المثال الأخير.
وعند إخضاع هذه المنطوقات إلى النفي وتحويلها إلى الاستفهام ، فإن المقتضى يبق
شيئا ضمنا ثالثا - لا يعترض عليه بتعبير عبد الله صولة: "نفي النفاة واستفهام المتشككين
والمتردددين من الخصوم" ³ - هو حدوث المصاحبة بالأبدان والشفاه للقرآن، ووجود الخلق
وإخراج الناس في بنية وصورة كاملة ، والاستفسار عن جلود الموتى ووجوههم أي إن النفي
يكون للصفات المؤكدة لحقيقة الموصوف وليس الموصوف ذاته كما هو موضح في
الجدول التالي باختيار منطوق واحد للنعت من كل مثال على سبيل الاستدلال .

المنطوق	إخضاعه للنفي والاستفهام	المقتضى
صبحوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاه ذابلة.	لم يصبحوا القرآن بأبدان ناحلة ولا بشفاه ذابلة. هل صبحوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاه ذابلة؟	صبحوا القرآن بأبدانهم وشفاههم.
إذ خلقتك خلقا سويا.	لم أخلقك خلقا سويا. هل خلقتك خلقا سويا؟	خلقتك خلقا.
اسألهم عن الجلود الرقيقة.	لا تسألهم عن الجلود الرقيقة. هل تسألهم عن الجلود الرقيقة؟	اسألهم عن جلودهم.

¹المصدر السابق، ج8، ص 329 .

²المصدر نفسه، ج8، ص 365 .

³الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 310 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبي

إن: "النعته يأتي لينتج مقتضى مهما جدا من الناحية الحجاجية وذلك لعدم قدرة الخصم على دحضه ورفضه فهو من قبيل المقتضى يبقى رغم امتحانه بالنفي"¹ . وحذفه يعرض "القضية لإمكان أن تنفى والمقتضى لإمكان أن يزول"² . والخطاب لأن يصبح وصفاً أو إخباراً لا حجاج فيه.

ويجب الإشارة إلى أن كثافة الصفات وهيمنتها يؤدي إلى مضاعفة إنتاج المقتضيات المتكاثرة صانعة للخطاب جمالية أسلوبه و شعريته الأدبية الفنية القادرة على الولوج إلى قلوب السامعين والتأثير فيهم ، وإقناع عقولهم من خلال المقتضى الذي يتضمنه النعت مفرداً دون تكراره .

3-3 تكرار المبني للمجهول:

في حالة الفعل المبني للمجهول، يحذف الفاعل ويؤتى بالمفعول به مكانه ويصير نائب فاعل، ويأتي حذف الفاعل لعدة أسباب موجزة فيما يلي:

1- الجهل بالفاعل فلا يمكن تعيينه مثل : ضرب زيد.

2- الرغبة في إخفائه مثل : سرق البيت.

3- شهرته فيكون ذكره عبثاً : خلق الإنسان ناطقاً.

4- عدم تعلق غرض بذكره: "وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها"³ .

ومن الناحية الحجاجية فإن المبني للمجهول يستعمل على الأقل لغايتين: الأولى: هي أنه يجعل الضمير المجهول (حذف الفاعل) قائماً مقام هم ، الآخرون، الخصوم، المعارضون. والثانية تتمثل في جعل الضمير المجهول يعبر عن آراء متشابهة لآراء المتكلم وموافقة لمواقفه، فيكون الضمير سندا يعضد أفكار المتكلم الذي يخفي مواقفه ويوهم بحجب ذاته عن العمل المكتوب والحقيقة أن تلك الذات تواصل من وراء قناع الضمير المجهول التعبير عن مواقفها وآرائها دون عناء⁴ .

¹ المرجع السابق، ص 309 .

² المرجع نفسه، ص 310 .

³ أنطوان الدحداح ، معجم قواعد اللغة العربية ، ص 141 .

⁴ ينظر : سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ، ص 159 وما بعدها .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

تعج المدونة بأمثلة كثيرة للمبني للمجهول، إلا أن البحث سيقصر على دراسة أكثرها شيوعاً وتكراراً بوصفها تمثل خاصية أسلوبية حجاجية ليس شرطاً أن تكون في نص واحد وإنما في سياقات متعددة لأن المدونة خطاب حجاجي واحد.

مثال 1: قال الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ)¹ وليست سوى الحضرات الإلهية التي تطلبها

وتعينها أحكام الممكنات وليست أحكام الممكنات سوى الصور الظاهرة في الوجود الحق، فالحضرة الإلهية اسم لذات وصفات وأفعال... فلنذكر في هذا الباب الحضرات الإلهية التي كنى الله عنها بالأسماء الحسنى حضرة حضرة².

مثال 2: "والمخلوق بهذا الاسم يسمى عبد الجبار هذه الحضرة لها الإجمار في الأعراف ولا أثر لها إلا فيهم"³.

مثال 3: "يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الخالق"⁴.

مثال 4: "يدعى صاحبها عب البارئ"⁵

مثال 5: "يدعى صاحب هذه الحضرة عبد المصور والمصور من الناس من يذهب يخلق خلقاً كخلق الله وليس بخالق وهو خالق"⁶.

مثال 6: "يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الوهاب ، والوهاب العطاء من الوهاب على جهة الإنعام"⁷.

مثال 7: "يدعى صاحبها عبد الواحد بالجيم وهو الذي لا يعتاص عليه شيء وهو الغني بالأشياء"⁸.

¹سورة الأعراف ، الآية 180 .

²ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 7 ، ص 288 ، 289 .

³المصدر نفسه، ج 7، ص 306 .

⁴المصدر نفسه، ج 7، ص 309 .

⁵المصدر نفسه، ج 7، ص 311 .

⁶المصدر نفسه، ج 7، ص 312 .

⁷المصدر نفسه، ج 7، ص 319 .

⁸المصدر نفسه، ج 8، ص 12 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

مثال 8:"يدعى صاحبها عبد المقدم من هذه الحضرة يثبت بالدليل ثبوت المرجح وهو الله وذلك أن الممكنات بالنسبة إلى الإيجاد أو نسبة الإيجاد إليها على السواء على كل واحد منها"¹.

مثال 9:"يدعى صاحبها عبد الظاهر ويلقب بالظاهر بأمر الله هذه الحضرة له تعالى لأنه الظاهر لنفسه لا لخلقه فلا يدركه سواه أصلا والذي تعطينا هذه الحضرة ظهور أحكام أسمائه الحسنى وظهور أحكام أعياننا في وجود الحق"²

مثال 10: يدعى صاحبها عبد الباطن ... فالباطون يختص بنا كما يختص به الظهور"³ تكررت صيغة المبني للمجهول 99 مرة، 66 منها في الجزء 7، والبقية في الجزء 8. وجلها بصيغة "يدعى" والقليل منها بصيغتي "يسمى" أو "يقال" أو توكيدها بالمرادف "يلقب". معجميا تقتضى هذه الكلمة وجود طرف أو متكلمين آخرين يشتركون مع المتكلم في التسمية ذاتها (يدعى) . وبالأحرى فهم يضمون صوتهم إليه مؤيدين ما يدعيه المتكلم ، بدليل أنه لو عدل عن المبني للمجهول إلى المعلوم كان من المفروض أن يقول سماها الناس أو قال عنها ، أو اسميها .

حاجيا فإن تكرار المبني للمجهول خاصية أسلوبية تقتضى بقوة حقيقة وجود الأسماء الإلهية أو حضورها مجسدة في الإنسان . فمن الناحية التجريبية نحن لا نعرف تلك الأسماء إلا بمعرفتنا لأنفسنا ، والله يصف نفسه لنا بنا، أي أن الأسماء الإلهية في جوهرها تتعلق بالكائنات التي تسميها أو بالشكل الذي تكتشفها وتحس بها هذه الكائنات في نمط وجودها الخاص لهذا تسمى هذه الأسماء حضرات⁴ ، لأن حضورها في الإنسان يجعله يماثل الحق مماثلة معرفية لا وجودية إذ يصل إلى معرفة أنه على صورة الله جامع الأسماء الإلهية جمعية استعارية ، بمعنى أن الأسماء أصيلة في الله مستعارة في الإنسان⁵ .

¹المصدر السابق ، ج8 ، ص 19 .

²المصدر نفسه، ج8 ، ص 22 .

³المصدر نفسه ، ج8 ، ص 24 .

⁴أبو علاء عفيفي ، الفلسفة الصوفية لمحي الدين بن عربي ، كامبردج ، 1939 ، ص 35 وما بعدها . نقلا عن هنري كوربان ، الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي ، تر فريد الزاهي ، منشورات الجمل ، كولونيا ، ألمانيا ، ط2 ، 2008 ، ص 135 .

⁵نصر حامد أبو زيد ، فلسفة التأويل دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي ، ص 188 وما بعدها .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبي

واختبار الأمثلة السابقة بالنفي والاستفهام يبين بقاء الاقتضاء الناجم عن المبني للمجهول كما هو موضح بهذين المثالين على سبيل الاستدلال .

المنطوق	امتحانه بالنفي والاستفهام	المقتضي
يدعى صاحبها عبد البارئ.	لا يدعى صاحبها عبد البارئ. هل يسمى صاحبها عبد البارئ؟	الحضرة لها صاحبها موجودة
يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الخالق.	لا يدعى صاحب هذه الحضرة عبد الخالق. هل يدعى صاحبها عبد الخالق؟	الحضرة لها صاحبها موجودة متجلية

إذا ينتج عن تكرار المبني للمجهول تكرار حجة اقتضاء وجود الصفات والأسماء الإلهية ، وتأكيد ما هو موجود عدة مرات بين المتخاطبين يعني إشراكهم في بناء جزء من الحجة ، وإضفاء طابع الصحة والقبول لدى جمهور واسع من الناس ، لإثبات أن الإنسان الكامل على الصورة الإلهية (الصفات) ، أو هو صاحبها الذي يتخلق أو يتصف بها .

3-4 الحذف:

عملية يقدرها السامع "حسب ثقافته وأفقه ومعرفته بعالم ذلك النص وسياقه ذلك الأفق الذي يمكنه من ملأ الفراغ الكامن بين عناصر ذلك النص، على وجه الخصوص ما يتصل بحذف العديد من العناصر في النص، وهنا تبرز مهمة المتلقي" ¹ الذي يكون شريكا في بناء التركيب واكتشاف المعنى من خلال ملأ الفراغات وسدها ².

وعلى هذا الأساس "تتمثل طاقة الحذف الحجاجية في كون المتكلم يسقط الحجة l'argument من حديثه ليدفع المخاطب إلى أن يلتقطها فيتبناها ويجعلها حجته الخاصة ، وإلى أن يملأ بنفسه الفراغ المشار إليه بنقاط الاسترسال" ³ . ودراسة الأمثلة التالية تسعى إلى الإجابة كيف يكون الحذف حجة مؤثرة في المخاطب .

مثال 1: "قال صاحب الشبلي وهو صاحب الحكاية عن نفسه: قال لي الشبلي: عقدت الحج؟ قال: فقلت نعم، فقال لي: فسخت بعقدك كل عقد عقده منذ خلقت مما يضاد ذلك العقد؟

¹ صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة على السور المكية ، ج 2 ، ص 213 .

² ينظر : حسن المودن ، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2014 ، ص 234 .

³ نقلا عن : o. reboul. Introduction a la rhetorique. Op. cit. P 11 3

عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص ص 400 ، 401 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

فقلت: لا، فقال لي ما عقدت، ثم قال لي: نزعت ثيابك؟ فقلت نعم، فقال لي: تجردت من كل شيء؟ فقلت لا، فقال لي: ما نزعت...¹

مثال 2: "بل إنما أمرتك لتعلم أن لك ربا وإلها هو خالقك ورازقك ومعبودك ومنشيك وحافظك وصاحبك وناصرك ومعينك ولتعلم أنك محتاج في جميع ما أمرتك إلى معاونتي وتوبتي وهدايتي وتيسيري وعنايتي"².

مثال 3: "من كانت همته ما يدخله في جوفه فقيمه ما يخرج منه"³.

مثال 4: " وقال بعض الصالحين: من ترك الشغل بفضول الدنيا فهو زاهد، ومن أنصف في المودة وقام بحقوق الناس فهو متواضع ومن كظم الغيظ واحتمل الضيم والتزم الصبر فهو حلیم...ومن تفرغ إلى الأمور المقربة إلى الله وتفرغ من نكد الدنيا إن لم تأكل مت وإن شبعت كسلت وإن زدت مرضت فهو عابد"⁴.

مثال 5: "فنحن عبید وإن ظهرنا بنعوته، وهو ربنا وإن ظهر بنعوتنا"⁵.

مثال 6: "فإن رزقك من حيث لا تحسب فذلك بشرى من الله أنك من المتقين... وإن رزقك الرفعة في قلوب الخلق فذلك إليه عز وجل"⁶

يقوم حرفا الجواب: نعم للإثبات ولا للنفي في المثال 1 مقام جملة محذوفة. وإذا كان المحذوف مشتق من السؤال المذكور ويحيل على مرجعيته، فإن السؤال يتضمن جوابا غير مصرح به يوجه ذهن المتلقي إلى الإقرار به للقول: (نعم عقدت الحج) و (لا، لم أفسخ) و(لم أكف ما يناقض العقد)، أي أن المحذوفات هنا هي الحجة الساقطة التي يدفع المتكلم المخاطب إلى التقاطها بنفسه حتى يقر ببطلان حجه.

وفي المثال 2 الضمير المنفصل المصرح به "هو" خالقك، وانطلاقا من السياق اللغوي يدرك المخاطب أن الضمير هو محذوف بعد الواو، وأن الجملة (ولتعلم أنك محتاج في جميع ما أمرتك) محذوفة هي الأخرى بعد كل واو. والمذكور إذ يوجه المخاطب إلى

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج 2، ص 437.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 355.

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 377.

⁴ المصدر نفسه، ج 8، ص 331.

⁵ المصدر نفسه، ج 6، ص 93.

⁶ المصدر نفسه، ج 8، ص 253.

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

تقدير المحذوف أو ملأه بكلمات وجمل مناسبة معروفة عنده ، فإنه يدفعه ليكون شريكا في بناء الحجة حتى يسهل إقناعه . وبالأحرى يقنع نفسه أن الله خالقه وهو رازقه وهو معبوده وحافظه أيضا ، وأن يعلم أنه محتاج إلى الله في توبته ومحتاج إلى الله في هدايته ومحتاج إليه في عنايته . وفرضا أن المتكلم صرح بالضمير والجملة على هذا النحو ، فهذا يعد تكرارا يؤكد ما أراد إقناع المخاطب به .

وفي بقية الأمثلة جاء جواب الشرط جملة اسمية وكان من المفروض أن يأتي جملة فعلية شأنه شأن فعل الشرط . يقول ابن يعيش: "الشرط والجزاء لا يصحان إلا بالأفعال فأما الشرط فلأنه علة وسبب لوجود الثاني والأسباب لا تكون بالجوامد وإنما تكون بالأعراض والأفعال، وأما الجزاء فأصله أن يكون بالفعل أيضا لأنه شيء موقوف دخوله في الوجود على دخول شرطه ، والأفعال هي التي تحدث وتنقضي ويتوقف وجود بعضها على بعض"¹ ومعنى هذا أن جملة الجواب الأصلية فعلية حذف وجيء بالاسمية دليلا عليها وبديلا عنها² في الأمثلة 3 إلى 7 . والكلمات أو التعابير المحذوفة المقدره موضوعة بين قوسين على النحو التالي :

1- من كانت همته ما يدخله في جوفه (انحطت قيمته) فقيمه ما يخرج منه .

2- من ترك الاشتغال بفضول الدنيا (ينال درجة الزاهد) فهو زاهد .

3- من أنصف في المودة وقام بحقوق الناس (يرزقه الله التواضع) فهو متواضع .

4 - من كظم الغيظ واحتمل الضيم (يرزقه الله الحلم) فهو حلیم .

5- من تفرغ إلى الأمور المقربة إلى الله ... (يعبد الله) فهو عابد .

6- إن ظهر بنعوتنا (ظهر الله) فهو ربنا .

7- فإن رزقك من حيث لا تحتسب ، (بشرك بالخير) فذلك بشرى من الله .

يسرى حذف جواب الشرط في بعض الفقرات بشكل لافت للنظر ، حيث يترك المتكلم المجال مفتوحا للسامع ليسهم في إنتاج جزء من الحجة وهو يقدر الكلمات المحذوفة . يقول ابن عربى: "... فإن نظرنا فإليه، وإن سمعنا فمنه، وإن عقلنا، وإن فكرنا ففيه، وإن

¹ شرح المفصل ، ج9، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، د . ت ، ص 2 .

² عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص436 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

علمنا فإياه، وإن آمنا فبه، فهو المتجلي في كل وجه ... والمقصود في الغيب والشهود" ¹.
فمن خلال السياق دائما يدرك السامع أن جواب الشرط المحذوف تقديره على النحو التالي :
فإن نظرنا (ننظر إليه) وإن سمعنا (نسمع) منه ، وإن عقلنا وفكرنا (نعقل ونفكر فيه) .
إن دفع المخاطب إلى التقاط الحجة بملأ الفراغ بكلمات مناسبة معروفة لديه هو
إشراك له في صنع جزء من الحجة حتى يكون الإقناع بها أسهل وأقوى ، لأنه يترك
المجال مفتوحا على المعاني الضمنية المسكوت عنها نحويا وتداوليا باعتبار أن المعنى
الضمني أقوى حجاجيا في التأثير على المخاطب من المعنى المصرح به .وعلى هذا
الأساس كان الحذف حجة تداولية .وإذا شاع تكراره في الخطاب أضحى يمثل حجاجا
أسلوبيا ، أسلوبه قادر على استمالة المتلقي من جهة ومن جهة أخرى يرفد بتعبير سامية
الدريدي حجة الحذف ويدعم طاقتها الحجاجية .

3-5 التقديم والتأخير :

انطلاقا من أننا نتكلم عامة بقصد التأثير فإن عناصر الكلام تتعرض إلى التقديم
والتأخير لذات الغرض ، والمتكلم "يعمد إلى التركيب المحدد دون سائر التراكيب لأنه
يلتمس فيه قدرة على استمالة المتلقي والفعل فيه" ² . وإذا كان الأمر كذلك فما المعاني التي
يريد ابن عربي استمالة المتلقي إليها ؟ وهو يقدم ويؤخر في التركيب مخالفا طريقة استخدام
الكلام العادي الشائع في عرف قواعد اللغة ونظمها في الأمثلة التالية :

مثال 1: "ثم قيل له: أنت على ملكك وعن ملكك زائل، وعن بلدك راحل، وعن الدنيا منتقل،
فلا تفرط في الزاد فإنك ما تأكل إلا ما تحمل معك" ³ .

مثال 2: "ومن وصايا ذي النون بعض الفتيان: يا فتى خذ لنفسك بسلاح الملامة، واقمعها
برد الظلام، تلبس غدا سراويل السلامة ... ، فقال له الفتى: وأي نفس تقوى على هذا؟ فقال
نفس على الجوع صبرت وفي سراويل الظلام خطرت ... وإلى الآخرة نظرت وإلى العينا

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج6 ، ص 223 .

² سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية من الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ، ص 109 .

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج5 ، ص 340 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

أبصرت وعن الذنوب أقصرت وعلى النزر من القوت اقتصرت ولجيش الهوى قهرت
وفي ظلام الدياجى زهرت ... " ¹.

مثال 3: "يا موسى إن لي عبادا إن ناجوني أصيغت إليهم ... هم في حماي وبى يفتخرون أنا
مدبر أمورهم وأنا سايس قلوبهم وأنا متولى أحوالهم" ².

جاء في المثال 1 الجار والمجرور (على ملكك) بعد المبتدأ أنت متقدما على الخبر
(زائل)، وتقدم أيضا الجار والمجرور (عن بلدك) و (عن الدنيا) على الخبرين (راحل)
و(منتقل) للاهتمام بأمر المتقدم من طرف الإنسان المهتم بالملك والمال والدنيا ، لإقناعه أن
ما يرغب فيه ويهتم بجمعه يتركه وراءه لا محالة، وأنه يحمل معه فقط عمله الصالح و
التقوى للانتفاع بهما. ولذلك قصر صفة الانتفاع وحدها على العمل الصالح فى الآخرة
(فإنك ما تأكل إلا ما تحمل معك). والقصر هنا ينفي الانتفاع بالمال أو الدنيا ويقوي توجيه
المتكلم نحو نتيجة واحدة يقبلها ولا يرفضها وهي : لن تنتفع بملذات الدنيا فى الآخرة
والنتيجة نفسها يدعمها تقديم الجار والمجرور الهادف إلى استمالة المخاطب وحثه على
ترك ما لذ وطاب فى الدنيا .

وجاء تقديم الظرف (غدا) على المفعول به (سراييل السلامة) لإقناع من أخذ
بسلاح الملامة من الصوفية والصالحين أن السلامة تكون فى الغد فقط ، أى توجيه السامع
نحو إقناعه بنتيجة واحدة هي: السلامة فى الجنة فقط . كما قصر صبر النفوس على الجوع
وخطورتها على الظلام ، ونظرها على الآخرة وتقصيرها عن الذنوب فقط واقتصارها على
القليل من القوت وقهرها لجيش الهوى . والقصر هنا جاء ردا وقلبا على من يعتقد أن
السلامة تكون فى الدنيا وليست تلك الموجودة غدا (فى الجنة)، ودون العدول إلى التقديم
بالقول (تلبس سراييل السلامة غدا) أو (نظرت إلى الآخرة) تكون النتائج متعددة غامضة ،
بمعنى أن السلامة فى الجنة وفى غيرها ، وأن النظر إلى الآخرة يجوز أن يكون إلى غيرها
(الدنيا) فلا يدري المخاطب النتيجة التى يتوجه إليها .

¹المصدر السابق، ج 8، ص 342 .

²المصدر نفسه، ج 8، ص 355 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

وفي المثال 3 تقدم الضمير المنفصل المكرر ثلاث مرات لتقوية الحكم وتوكيده ، ولأن أسماء الفاعل مدبر وسائس ومتولى تعمل عمل فعلها يصبح التعبير بتقدير الضمير المستتر العائد على الضمير المقدم أنا كما يلي: أنا أدبر (أنا) أمورهم أنا أسوس (أنا) قلوبهم أنا أتولى (أنا) أحوالهم. ومعنى هذا أن أسماء الفاعل / الأفعال أسندت مرتين إلى الضمير أنا، الثاني المستتر تأكيد للأول يقوي توجيه السامع نحو النتيجة غير الله لن يتدبر ولن يتولى أموركم بدلا من تعدد النتائج إذ يكون الله هو المتحكم في عباده ويجوز أن يكون غير الله يتحكم فيه ، فلا يعرف المعنى الذي يرسمه له المتكلم إذا كان التعبير مصوغا عاديا دون تقديم أو تأخير (أدبر أمورهم – أتولى أحوالهم) وفي هذه الحالة يكون الخطاب إخبارا ووصفا لا حجاج فيه .

إذا كان التقديم مفردا أقوى فنيا من العادي ذلك أنه "من شأن التركيب الجيد الملائم للمعنى أن يستميل المتلقي ويفعل فيه أو يساعد الحجة على الفعل فيه فيكون رافدا مهما لها " ¹ فإن أسلوبية تكراره أكثر إقناعا للألباب ، وأسرع استمالة ونفوذاً إلى قلوبهم المشدودة بسحر الجمال ، جمال التعبير .

4- التوازي:

يستعمل في الرياضيات للدلالة على خطين مستقيمين ، المسافة الفاصلة بينهما متساوية وفي الدراسات اللسانية يعرفه جاكبسون بأنه: "تماثل أو تعادل المباني أو المعاني في سطور متطابقة" ². وتوصل إلى أن التوازي نوعان: توازي صوتي وتوازي غير صوتي ينقسم بدوره إلى توازي نحوي خاص ببناء الجمل وتواز دلالي خاص بدلالات الألفاظ ³. وعند ديوجراند de beaugrand ودريسلر dressler هو "إعادة البنية مع ملاءها بعناصر جديدة تشكل التوازي" ⁴، ومثلا له بتراكيب مقتطفة من بيان إعلان استقلال

¹ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ، ص 108.

² الشيخ ، عبد الواحد حسن ، البديع والتوازي ، مكتبة الإشعاع ، القاهرة ، مصر ، ط1، 1999 ، ص 108.

³ ينظر : المرجع نفسه ، ص 21.

⁴ De beaugrand and dressler introduction to texte linguistiq p19 .: نقلا عن

جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر 1989 ، ص

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

أميركا: (سرق بحارنا، خرب سواحلنا، حرق مدننا) فالأفعال متعددة إلا أنها ذات محتوى واحد هو سوء استخدام القوة من أحد الملوك¹.

وتناوله البلاغيون العرب في ضوء دراستهم للمحسنات البديعية والمعنوية كالمقابلة والمزاوجة والتصريح والعكس واتجهت عنايتهم إلى المعنى. وكان من المفروض أن تهتم بالجانب التركيبي لأن المحسنات المعنوية كثيرا ما تصاغ في تراكيب متوازية². ودرسه من المحدثين العرب محمد العبد ومحمد مفتاح معرفا إياه بالقول: " ... تشابه البنيان واختلاف المعاني"³، وقسمه إلى تواز ظاهر وخفي*:

ترى بربرا جونستون johnstone barbara أن التوازي ضرب من التكرار، وخطاب الإقناع العربى تكرارى كله مبني على التوازي تقريبا، فالجذور اللغوية الصرفية تتكرر، وتنتج المتكررات التركيبية عبارات وجملا متوازية تكمن أهميتها الإقناعية في قدرتها على عرض الدعاوى (الأفكار)، وجعلها حاضرة في حقل عاطفة المستمع ليصدقها لذلك يعمد المتكلمون إلى الاستعارات البصرية المؤثرة في أفكارهم بجعل المستمعين ينظرون إليها أو إدعاء سهولة رؤيتها⁴، " فحين تعرض الدعاوى على المتلقي بإستراتيجية التكرير والصياغة المتوازية والتي تسميها (باربرا جونستون) بإستراتيجية العرض، إذا ما عرضت عليه بهذه الصورة، عندئذ يجد نفسه أمام هذه الإمكانيات الصوتية والدلالية، إلى الفكرة أميل، وبها أقنع"⁵. إن الأثر التداولي للتوازي في الخطاب هو الإقناع في حالات عدة يصل إلى حد الإلزام أحيانا⁶. ولذلك فالحاجة إلى الاستحضار تؤثر في شكل الخطاب، وكتاب العربية يعولون عليها من خلال تكرار التوازي بوصفه من

¹ينظر: المرجع السابق، ص 121 .

²ينظر : المرجع نفسه، ص 122 .

³محمد مفتاح، المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1999، ص 161 .

* التوازي الظاهر هو المرئى في فضاء النص ويشمل: التوازي المتطابق المتمائل المتشابه المتشاكل والخفي يعتمد على أعمال الفكر حتى يمكن إثبات النظام والانتظام الكامن وراء بنية معقدة.

محمد مفتاح في كتابه المفاهيم معالم نحو تأويل واقعي، ص 164.

⁴ينظر باربراجو نستون، التوازي في العربية التعديل قالبا للإقناع ضمن كتاب بحوث في تحليل الخطاب الإقناعى، إشراف محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر 2013، ص 50.

⁵أميمة صبحي، حجاجية الخطاب، في إبداعات التوحيدى، ص 110 .

⁶ينظر: باربرا جونستون، التوازي في العربية التعديل قالبا للإقناع ضمن كتاب بحوث في تحليل الخطاب الإقناعى، ص 60 وما بعدها .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

مفاتيح طريقة بناء الخطاب الإقناعى العربى¹. فهل التوازى إذن حجة ؟ وهل يقوم بوظيفته التأثيرية وحده أم تتضافر معه وسائل حجافية أخرى ؟ ذلك ما ستجيب عنه دراسة الأمثلة التالية :

مثال 1: هو المثال رقم 3 المدروس فى التضام فى ص 245 من هذا الفصل "فما فى الوجود طاعة ولا عصيان، ولا ربح ولا خسران ...".

مثال 2: "لما تعجب المتعجب ممن خرج على صورته ، وخالفه فى سريرته ، وفرح بوجوده ، وضحك من شهوده ، وغضب لتولييه ، وتبشيش لتذلييه ، ونسى ظاهره ، فتنفس فأطلق مواخره ، وثبت على ملكه ، وتحكم بالتقدير على ملكه ، فكان ما أراد ، وإلى الله المعاد ، فهذه أرواح مجردة تنتظرها أشباح مسندة ..."².

مثال 3: "ثم قيل له: أنت على ملك وعن ملك زائل وعن بلدك راحل وعن الدنيا منتقل فلا تفرط فى الزاد فإنك ما تأكل إلا ما تحمل معك ، ولا تشرب إلا ما ترفع معك فى مزادتك ، فالطريق معطشة والبلاد مجذبة "³.

مثال 4: "أنا مدبر أمورهم وأنا سايس قلوبهم ، وأنا متولى أحوالهم "⁴.

مثال 5: "إذا ظهرت هذه الخصال فى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فالهرب ... إذا استغنى الرجال بالرجال ... ولم يرحم كبيرهم صغيرهم ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، .. وكان المطر قيظا والولد غيظا وطولوا المناير وفضفضوا المصاحف وزخرفوا المساجد وشيدوا البناء واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا ، وتقطعت الأرحام ، وبيع الحكم ، وأكل الربا ، وصار التسلط فخرا ، والغنى عزا "⁵.

مثال 6: "وأسألهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان؟ محت الألوان وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه ومحت المحاسن وكسرت الفقار وأباننت الأعضاء ومزقت الأشلاء "⁶.

¹ينظر : المرجع السابق، ص 50 وما بعدها .

²ابن عربى ، ج 1 ، ص 152 .

³المصدر نفسه، ج 5، ص 340 .

⁴المصدر نفسه، ج 8، ص 355 .

⁵المصدر نفسه، ج 1 ، ص 339، 340 .

⁶المصدر نفسه، ج 8 ، ص 365 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

مثال7:"استكثر من قراءة يس ... ما قرأها قط جائع إلا شبع، ولا قرأها ظمآن إلا روي ..."
1.

مثال8:"يا علي إن لكل شيء آفة وآفة الحديث الكذب وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الربا، ... وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر، وآية الحياء الضعف"².

مثال9:المثال رقم 1 المدروس في التكرار المعنوي من هذا الفصل ص"إذ كان نعيم الدنيا مشوبا بالبؤس ولذاتها الآلام".

في المثال 1 البنية النحوية والبلاغية التي تتشكل من الواو ولا النافية والطباق تكرارها هو الذي ينتج بنية التوازي، أي أن تماثل التراكيب على نفس الشكل أو البنية ينتج بنية صوتية دلالية تهدف إلى سرعة عرض الأسماء والصفات الإلهية المتضادة، وجعلها حاضرة في أذهان السامعين بأنها صادرة من الذات الإلهية. وسرعة الاستحضار هذه محاولة لإقناع المخاطب بوحدة الوجود القائلة بأن الصفات والذات شيء واحد وأن الموجودات مهما بدت متعددة كثيرة فهي وجود واحد. "فلا وجود في الحقيقة إلا لوجود الله. وأما باقي المظاهر الوجودية فهي أشعة وجوده وظل من ظلاله"³. وهي النتيجة التي يوجه إليها العامل الحجاجي (لا - إلا) المخاطب إليها بصفة مؤكدة. وتعززها بنية التوازي الدلالي من خلال التقابل بين المرئي وغير المرئي، وبين المعروف والغيب.⁴

وفي المثال 2 يشمل التوازي البنية الأولى (خرج على صورته) وعلى أساسها جاءت الجمل الأخرى (خالفه في سريرته) (ففرح بوجوده) (ضحك من شهوده) (غضب لتولييه) مماثلة للأولى متوازية معها توازيا كلياً أو جزئياً. وجلها قصيرة سريعة في عرض الصفات الإلهية هذه المرة على الإنسان المراد إقناعه ضمناً بأن غضبه وفرحه وضحكه ونسيانه إنما هي صفات إلهية متجلية فيه.

¹المصدر السابق، ج 8، ص 322 .

²المصدر نفسه، ج 8، ص 322 .

³قدور رحمانى، بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي، ص 213.

⁴ينظر: المرجع نفسه، ص 213.

وفى المثال 3 يستحضر بجمال بنية التوازى (عن ملكك زائل) (عن بلدك راحل) صورة موت الإنسان وتخليه عن ملكه وماله والذنىأ عامة لىحذره ضمناً من مغبة إتباع شهوات الدنيا ويحثه على الزهد فىها . والنهى فىه فعل غير مباشر يتضمن إنجاز نصح المخاطب إلى الزهد ذاته . كما أن تكرر العامل (لا – إلا) - وقد أشرت فى تقديم الكلام وتأخيره – يوجه القول إلى النتيجة :تنتفع فى الآخرة بالزهد والتقوى فقط ، وفى هذا تأكيد للبعد الحجاجى للتوازى ، أو أن التوازى يعضد الحجة التداولىة (النهى والعامل الحجاجى)

وخطاب المتلقىين فى المثال 4 وهم يستحضرون الله فى تدبىر أمورهم وسىاسة قلوبهم وتولى أحوالهم ينتج عنه أثراً تداولياً يتمثل فى إقناعهم ضمناً بأن غير الله لن يتحكم ويتدبر أمورهم ، وتكرار اسم الفاعل - كما أشرت فى هذا الفصل – يقوى حجاجة التوازى . وهى أمور مدروسة فى هذا الفصل ، وكلها حجج تعضد الطاقة الحجاجية للتوازى . عرض علامات قىام الساعة المستحضرة عبر التوازى فى المثال 5 يجعلها قريبة حاضرة إذا جاز هذا التعبير أمام أنظار السامعىن لغرض تداولى يتمثل فى تنبىه السامعىن وتحذىرهم من الغفلة عنها أو نسيانها . ودون الاعتماد على التوازى يكون المعنى وصفا وإخبارا عن قدوم الساعة لا يؤثر فى السامع ولا ينبهه .

ويؤدى تصور مشاهد ما يتعرض له المىت فى القبر من خلال استحضارها ببنىة التوازى إلى التأثير فى المخاطب وتخوىفه بالقبر ودعوته إلى الاستعداد لما بعد الموت بالعمل الصالح . والاستفهام غير المباشر (ما صنع بها الدىدان) حجة تدفع المخاطب إلى إثبات وإقرار ما يتعرض له الإنسان وهو يوارى التراب . فهو إذا مؤشر على حجاجة التوازى .

وبعرض حالة الجائع الشبعان والعطشان المرتوى والعارى المكتسى وغيرهم أمام المخاطب عبر بنىة التوازى ، يكون الأثر التداولى إلزامياً بالدعوة إلى قراءة يس بل إن صىغة الأمر (استكثر من قراءة يس) فعل غير مباشر أنجز به المتكلم توجيه المخاطب ونصحه للإكثار من قراءة السورة السابقة مؤكداً بذلك الأثر التداولى للتوازى . كما أن

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

تكرار أسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء حجة أخرى بوصفه عاملا حجاجيا يقوى ويؤكد توجيه المتكلم نحو النتيجة : إذن أكثر من قراءة سورة يس .

وفي المثال 8 ينتج التوازي أثرا تداوليا يتضمن التحذير من الآفات المذكورة والدعوة إلى اجتنابها ، علما أن تكرار كلمة "آفة" تسهم في التأثير ذاته ، إذ بمجرد ما تتكرر على أسماع المخاطب يستنتج معنى التحذير والاجتناب .ومن ثم كان تكرارها تكرار حجاجي يتقاطع مع التوازي .

وجاءت مشاهد أهل الجنة حاضرة في ذهن المخاطب وسمعه لغرض إقناعه ضمنيا بالإيمان بوجودها وترغيبه في العمل من أجلها في المثال الأخير .

"سأل إبراهيم الأحميمي ذا النون أن يوصيه بوصية يحفظها عنه قال : وتفعل ؟ قال إبراهيم قلت : نعم إن شاء الله ، فقال : يا إبراهيم احفظ عني خمسا فإن أنت حفظتهن لم تبال ما ذا أصبت بعدهن ، قلت : ما هن رحمك الله ؟ قال : عانق الفقر ، وتوسد الصبر ، وعاد الشهوات ، وخالف الهوى ، وافزع إلى الله في أمورك كلها ، فعند ذلك يورثك الشكر والرضا والخوف والرجاء والصبر ، وتورثك هذه الخمسة خمسة ، العلم والعمل وأداء الفرائض واجتناب المحارم والوفاء بالعهود ، ولن تصل إلى هذه الخمسة إلا بخمس : علم غزير ومعرفة شافية وحكمة بالغة وبصيرة ناقدة ونفس راهبة ، والويل كل الويل لمن يلي بخمس : حرمان وعصيان وخذلان واستحسان النفس بما يسخط الله ، والإزرار على الناس بما يأتي ، وأقبح القبح خمس : قبح الفعال ومساوي الأعمال وثقل الظهور بالأوزار والتجسس على الناس بما لا يحب الله ومبارزة الله بما يكره ، وطوبى ثم طوبى لمن أخلص خمسة : من أخلص علمه وعمله وحبه وبغضه وأخذه وعطاءه وكلامه وصمته وقوله وفعله ، واعلم يا إبراهيم أن وجوه الحلال خمسة : تجارة بالصدق ، وصناعة بالنصح ، وصيد البر والبحر ، وميراث حلال الأصل ، وهدية من موضع ترضاها ، فكل الدنيا فضول إلا خمسة : خبز يشبعك ، وماء يرويك ، وثوب يسترک ، وبيت يکنک ، وعلم تستعمله ، ويحتاج أيضا أن يكون معه خمسة أشياء : الإخلاص والنية والتوفيق وموافقة الحق وطيب المطعم والملبس ، وخمسة أشياء فيها الراحة : ترك قرناء السوء والزهد في الدنيا والصمت وحلاوة الطاعة إذا غبت عن أعين المخلوقين وترك الازدراء على عباد الله حتى لا تزدرى على

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

أحد يعصى الله ، وعندها يسقط عنك خمس : المرء والجدال والرياء والتزين وحب المنزلة ، وخمس فيهن جمع الهم : قطع كل علاقة دون الله ، وترك كل لذة فيها حساب ، والتبرم بالصديق والعدو ، وخفة الحال ، وترك الادخار ، وخمس يا إبراهيم يتوقعهن العالم : نعمة زائلة ، أو بلية نازلة ، أو ميتة قاضية ، أو فتنة قاتلة ، أو تزل قدم بعد ثبوتها ، حسبك يا إبراهيم إن عملت بما علمتك¹ .

فلكى يؤثر ذو النون في إبراهيم الأخمىمي ويقنعه ضمناً بالزهد ، راح يعرض صفاته ومظاهره لتكون حاضرة في عقله وعاطفته معا ، معتمداً على جمل جملها متماثلة متعادلة شكلاً وتركيباً ، قصيرة تساهم في تحقيق سرعة إيصال المعاني المستحضرة للمخاطب ، مصاغة بأساليب بلاغية أنيقة من خلال الاستعارات المكنية (عائق الفقر – توسد الصبر – عاد الشهوات) والطباق (حبه – بغضه) (أخذه – عطاءه) (كلامه – صمته) ، وتكرار إسم الفاعل (شافية – بالغة – نافذة – راهبة) وأيضا (زائلة – نازلة – قاضية – قاتلة) في نهاية الخطاب . وكلها أساليب مؤثرة وحجج *فعالة ارتكز عليها التوازي لتقويم سلوك المخاطب وأخلاقه بصفات السالك الصوفي الزاهد العالم العابد المجرب الحكيم ، خصوصا أن صيغة (اعلم أن) حجة / فعل كلامي يتضمن توجيه المخاطب وحمله على التمسك بالقيم والأخلاق السابقة . وبالتالي فالتوازي يكون أقوى إقناعا إذا كان تعبيراً فنياً جميلاً ، و تسانده حجج أخرى .

إذا كانت باربرا جونستون تقول أن حجاجية التوازي تقوم على إستراتيجية عرض الدعاوى واستحضارها ، وأنه يؤثر في السامع إلى حد الإلزام أحيانا ، فإن الأمثلة المدروسة في هذا السياق تبين أن التوازي لا يقوم بوظيفته الحجاجية إلا إذا اتكأ على وسائل بلاغية كالطباق والمقابلة والسجع والجناس والصور البيانية أو حجاجية كالأفعال الكلامية والعوامل الحجاجية ، بالإضافة إلى شعرية اللغة المتميزة بالعبارات الموجزة المنزاحة عن التعبير العادي المبتذل إلى تعبير فني قادر على رقد الحجة بمعنى " اقتران الجمال بالإقناع

¹ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج8 ، ص ص 338 ، 339 .

*الاستعارة ليست أسلوباً جميلاً فقط وإنما هي حجة تأتي دراستها في نهاية هذا الفصل .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

، واستحالة الفصل بينهما فالمعنى يكون مقنعا ولكنه يحتاج إلى جمال يوشيه ويحفظ له رونقه ، ويدعم فعله والمعنى يكون جميلا فتزداد قدرته على الفعل فى المتلقى متى كان مقنعا"¹.

5- الصور البيانية

5-1 التشبيه

هو بإيجاز " إلحاق أمر المشبه بالمشبه به فى معنى مشترك وجه الشبه بأداة الكاف وكأن وما فى معناها لغرض فائدة"² لا تكمن فى البعد الفنى الجمالى فقط، وإنما فى تقريب المعنى وتوضيحه "ألا ترى أنك إذا قلت على كالأسد كان الغرض أن تبين حال على وأنه متصف بقوة البطش وشدة المراس وعظيم الشجاعة وما إلى ذلك من أوصاف الأسد البادية للعيون "³ أو للرؤية. والرؤية تثبت الدعوى وتدل عليها فتؤدى إلى التأثير أو زيادته . يقول: عبد القاهر الجرجانى " فأنت إذن مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى فى نفسك غير ممثل ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب ثم يكشف عنه الحجاب ويقول : ها هو ذا فأبصره ، تجده على ما وصفت "⁴.

يقوم تشبيه الصفات المعنوية بالحسية على " تجسيد المعانى وجعلها مرئية مشاهدة وجعل حضورها فى ذهن السامع أقوى ، ووقعها عليه أشد ، وأثرها فيه أعمق " ⁵ فهو أى التشبيه عدول من المعنوي إلى الحسى كما فى قولنا : هو ثعلب أو هو بحر أو حمار ، حيث تم العدول من هو مكر ، هو كريم ، هو بليد إلى ثعلب وبحر وحمار ، وهى صور أو معان مستقرة فى العقل الجمعى مسلم بها ⁶ مشتركة بين المتخاطبين متداولة عندهم بمعنى أن " الصورة مأخوذة من عالم خطاب المتلقين ومألوفة لديهم ومرتبطة عندهم بدلالة معينة مثل ارتباط الأسد بالشجاع والحمار بالبليد"⁷ والثعلب بالمكر. وعلى هذا الأساس كان الإدعاء بأن شخصا ما ثعلب هو عدول من مكر إلى ثعلب تثبيتا لدعوى المكر فيه إذ يمكن

¹ سامية الدريدى ، الحجاج فى الشعر العربى القديم من الجاهلية إلى القرن الثانى للهجرة بنيته وأساليبه ، ص 113 .

² أحمد مصطفى المراغى ، فى علوم البلاغة ، ص 194 .

³ المرجع نفسه ، ص 195 .

⁴ عبد القاهر الجرجانى ، أسرار البلاغة ، تحقيق محمد خفاجى وعبد العزيز شرف ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، ط1

، 1991 ، ص 126 .

⁵ عبد الله صولة ، الحجاج فى القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 492 .

⁶ على محمد على سلمان ، كتابة الجاحظ فى ضوء نظريات الحجاج رسائله أنموذجا ، المؤسسة العربية للدراسات ، ط1 ،

2010 ، ص 244 .

⁷ عبد الله صولة ، الحجاج فى القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 557 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

الاعتراض على الحكم في كون شخص ما كرا أو بليدا لأنه لا يتصف بهذه الأوصاف ، ولا يمكن الاعتراض على عدم اتصاف الثعلب وغيره بهذه الصفات .¹ وباعتراضنا أن يكون شخصا ما ثعلبا أو حمارا أو بحرا سنرفض اتصافه بالمكر أو البلادة . يمثل فليب بروطون لهذه الفكرة قائلا : " كن خبيرا بالخطط الحربية مثل ما كان نابليون"² ويوضح حاجية التشبيه في أننا " برفضنا لأن نكون نابليون سنرفض أن نكون خبراء بالخطط الحربية ، وهو الأمر الذي كنا مع ذلك مدعويين له من أجل إنجازه أو الاقتناع به "³

يشترط في العدول من المشبه إلى المشبه به لإثبات دعوى ما أن يكون المشبه والمشبه به متباعدين معلومين متداولين في استعمالات الناس وتواصلهم " التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة، أم خاصة مقصورة على قائل دون قائل... لا يكون لها موقع من السامعين ولا تهز ولا تحرك ، حتى يكون الشبه مقورا بين شيئين مختلفين في الجنس ، فتشبيه العين بالرجس ، عامي مشترك معروف في أجيال الناس جار في جميع العادات ، وأنت تنظر إلى أبعد ما بين العينين وبينه من حيث الجنس"⁴.

ورغم تباعد الطرفين إلا أن وجه الشبه بينهما يكون صورة واحدة " ترى بها الشيين مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين وترى الصورة الواحدة في السماء والأرض وفي خلقة الإنسان وخلال الروض "⁵ بمعنى اندماج المشبه مع المشبه به وتطابقهما حتى يصيرا شيئا أو صورة واحدة " التشبيه ... يفترض تطابقا بين المشبه والمشبه به "⁶، علما أن وجه الشبه يكون واضحا قويا متجليا في المشبه به غير مصرح به لأن التشبيه صورة و" الصورة كلام نصفه وهو المصرح به من صنع النص أو المتكلم ، ونصفه وهو الضمني من صنع المتلقي . وهذا الوضع هو الذي يكفل للصورة قدرتها الحجاجية "⁷، والذي يصنعه المتلقي أو يقوم به هو إكمال ما كان محذوفا باعتباره عنصرا شاغرا في بنية النص (بمفهوم الأستاذ عبد الله صولة) ، وبالتالي فإن " المحل الشاغر هو بؤرة الحجاج طيه وإبقاؤه

¹ علي محمد علي سلمان ، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج ، رسائله أنموذجا ، ص 244 .

² فليب بروطون ، الحجاج في التواصل ، تر محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي ، ص 119 .

³ المرجع نفسه ، ص 120 .

⁴ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تح محمد خفاجي وعبد العزيز شرف ، ص 132 .

⁵ المرجع نفسه ، ص 133 .

⁶ فليب بروطون ، الحجاج في التواصل ، تر محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي ، ص 120 .

⁷ عبد الله صولة ، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ، ص 562 ، 563 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

ضمناً مخفياً يدعى المتلقي إلى إمطة اللثام عنه ¹ ، لأن عدم ذكره يؤدي بالمتلقي إلى أعمال كفايته الثقافية والمنطقية لتبين المسار الحجاجي المنتهج في التشبيه . وأكثر ما ينطبق هذا الأمر على التشبيه المجمل بصفة عامة والبالغ بصفة خاصة لخلوهما من وجه الشبه ² . والمقصود بالمسار الحجاجي هنا هو الوجهة التي يتجه إليها التشبيه ، أو يرسمها من خلال وجه الشبه غير المصرح به ، فهمه وتحديدده من طرف المتلقي بناء على وضوحه في المشبه به المحسوس المأخوذ من منظومة القيم المتعارف عليها ، المستعمل في سياق تواصلى تداولي ، الهادف إلى التأثير والإقناع .

إذا جننا إلى الفتوحات المكية فإن التشبيه جاء عفويا أي أن المتكلم لم يسرف في استعماله لتجميل الأسلوب ، وإنما جعله وسيلة حجاجية يستعين بها للتأثير في المخاطبين أو زيادة إقناعهم . يقول ابن عربي " فصدر عن نفس الرحمان وهو العماء الذي كان فيه ربنا قبل أن يخلق الخلق ، فكان العماء كالنفس الإنسانية " ³ . إن عدم الظهور هو وجه الشبه المحذوف المرئي في المشبه به (النفس الإنسانية) من أجل إقناع المخاطب على وجود الله ، ورفضه يرفض مرتبة العماء التي كان فيها الله .

ولإقناع المخاطب بالعمل الصالح للأخرة ، شبه القبر بخزانة الأعمال أو الصندوق " فاجعل عمالك صالحا فتأنس به وتسر واجعله لك لا عليك ، واعلم أن القبر خزانة أعمالك فلا تخزن فيه إلا ما إذا دخلت إليه يسرك ما تراه يقول بعضهم " ⁴ من مجزوء الرجز :

يا من بدنياه اشتغل و غره طول الأمل

ولم يزل في غفلة حتى دنا منه الأجل

الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل ⁵

و المخاطب إذ يكمل وجه الشبه المرئي البارز بقوة في المشبه به ، يدرك أنه يمكن له أن يعمل في الدنيا العمل الصالح الذي يجده في القبر كما يحفظ الأشياء الثمينة في الصندوق أو الخزانة لوقت الحاجة . وإذا رفض أن تكون الخزانة والصندوق لحفظ ما كان

¹ المرجع السابق ، ص 555 .

² ينظر : المرجع نفسه، ص 545 .

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج 4 ، ص 36 .

⁴ المصدر نفسه ، ج 8 ، ص 301 .

⁵ علي بن أبي طالب ، الديوان ، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ، ط1، 1988، ص82.

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

ثمينا ، فإنه يرفض أن يكون القبر حافظا لأعماله الصالحة في الدنيا والذي يؤكد حاجية التشبيه هنا أن صيغتي الأمر (اجعل - اعلم) والنهي (فلا تخزن) أفعال كلامية غير مباشرة أنجز بهما المتكلم نصح وتوجيه المخاطب إلى العمل الصالح .

ويقل من قيمة الدنيا ويبالغ في تشبيهها بالمزبلة قائلا : " رويانا عن الشبلى أنه قال في وصيته : أن أردت أن تنظر إلى الدنيا بحذافيرها فانظر إلى مزبلة فهي الدنيا " ¹. يستنتج المخاطب أن القذارة إلى حد الكراهية هي وجه الشبه المحذوف ، وأنها واضحة محسوسة في المشبه به (المزبلة) . وعلى ضوء ذلك يدرك أن المتكلم يقنعه أنه يمكن له أن يكره الدنيا ويبتعد عنها كما يبتعد عن المزبلة ، بمعنى انه إذا رفض النظر إليها يرفض النظر إلى الدنيا

ظل ابن عربى يدعو إلى الإعراض عن الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الناس من مال وجاه وملك مشبها الدنيا بجسر هو معبر إلى الآخرة آيل للسقوط والزوال في يوم ما ، والناس راحلون عنه لا محالة يقول : "رؤوا الدنيا جسرا منصوبا من خشب على نهر عظيم وهم عابرون فيه راحلون عنه ، فهل رأيتم أحدا بنى منزلا على جسر من خشب ؟ فكل من بنى على جسر فإنما يعرض به التلف ، فلو أن عمار الدنيا يكشف الله عن بصيرتهم حتى يروها جسرا ويروا النهر الذي بنيت عليه أنه خطر قوي ما بنوا الذي بنوا عليه من القصور المشيدة ثم تاب الله عليهم في حال سماعهم من الرسول صلى الله عليه وسلم حين قال "إن الدنيا قنطرة وأشباه ذلك فلا تشغلوا نفوسكم بعمارتها وانهضوا" ²

إن وجه الشبه المحذوف هو الزوال مع مرور الوقت ، وهو حسي متداول في ثقافة المتلقين ، منغرس في واقعهم ، أكثر وضوحا في المشبه به (جسر من خشب) . وإدراكه من طرف المخاطب يقنعه بأنه يستطيع أن يتجنب العمل الدنيوي كما يتجنب البناء على جسر وفي هذه الحالة يكون كمن يقنع نفسه بنفسه بأن الدنيا مؤقتة فانية فما جدوى الحرص إذا على شيء لا يدوم ولا ينفع ؟. وبعبارة أخرى إذا رفض البناء على الجسر ذاته سيرفض خسارة العمل الدنيوي ، خصوصا أن النهي (لا تشغلوا) والأمر (انهضوا) في

¹ ابن عربى ، الفتوحات المكية ، ج 8 ، ص 377 .

² المصدر نفسه ، ج 1 ، ص 322 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

الحديث النبوى الشريف بوصفه شاهدا حجاجيا ذو قيمة دينية يتضمنان نصح المخاطب وإرشاده إلى عدم الانشغال بالدنيا على حساب الآخرة ، علما أن الاستفهام فى قول ابن عربى " فهل رأيتم أحدا بنى منزلا على جسر من خشب ؟ " غير حقيقى أى أنه فعل كلامى غير مباشر أراد به دفع المخاطب إلى الإقرار بنفى بقاء الدنيا لأحد "لأن طرح الأسئلة فى الخطاب... وسيلة هامة من وسائل الإثارة ودفع الغير إلى إعلان موقفه إزاء مشكل مطروح . هذا الموقف يحدده المتكلم بقرائن ومواد اختبارية تحضر فى السياق وتقود عملية الاستنتاج المتصلة بالسؤال المطروح " ¹ . والموقف الذى يعلنه المخاطب هو موافقة المتكلم فى نفي البناء على جسر / العمل للدنيا فقط .

ويوجه نقدا لاذعا للفقهاء وعلماء الدين بوصفهم خصوما للصوفية ، واصفا إياهم بالفراغة مرة وبالذاجلة مرة أخرى ، وبالمقابل يدافع عن الأولياء والصالحين لأن الله ألهمهم العلم بالأسرار الإلهية والمعارف الربانية وجعلها فى قلوبهم مباشرة من غير تحصيل أو تعلم ، " ليس الإطلاع على غوامض العلوم الإلهية من خصائص نبوة التشريع بل هى سارية فى عباد الله من رسول وولي وتابع ومتبوع ... أليس هذا موجودا فى الفقهاء وأصحاب الأفكار الذين هم فراغة الأولياء وذاجلة عباد الله الصالحين " ² .

وجه الشبه دائما محذوف منغرس فى ثقافة المخاطبين ، أكثر وضوحا فى المشبه به وهو قوة التسلط فى الأول ، وفى الثانى الجهل وقلة المعرفة . وهو شاهد جىء به لإثبات المعنى المدعى فى المشبه ، أو حمل المخاطب على الاعتقاد أن الفقهاء وعلماء النظر الفكرى على خطأ وأن المتصوفة على صواب . وإذا رفض وجود الفراغة والذاجلة فإنه سيرفض حتما وجود علماء أخطئوا فى حق الناس .

¹ سامية الدريدى ، الحجاج فى الشعر العربى القديم من الجاهلية إلى القرن الثانى للهجرة بنيتة وأساليبه ، ص 141 .
² ابن عربى ، الفتوحات المكية ، ج 1 ، ص 304 .

5-2 التمثيل

إن " الاستدلال بواسطة التمثيل يعنى تشكيل بنية واقعية تسمح بإيجاد أو إثبات حقيقة عن طريق تشابه في العلاقات " ¹ أو إيجاد " تماثل بين منطقتين متباعدين من الواقع يسمح بنقل خصائص إحداها المعروفة إلى الأخرى " ². لذلك يشترط " لأجل أن تعمل الحجة ، ينبغي أن يكون الطرف الخارجى المقترح لتكوين التماثل مقبولا مسبقا من المتلقى ، وأن يكون حوله اتفاق مسبق " ³. وعلى هذا الأساس فالتمثيل لا يقيم تشابها بين عنصرين اثنين كما في التشبيه ، بل بين بنيتين ، فهو لا يقوم على علاقة تشابه وإنما هو قائم على تشابه في العلاقة ، أي أن التشابه بين علاقتين : علاقة (أ) ب (ب) من ناحية وعلاقة (ج) ب (د) من ناحية أخرى . ويسميه البلاغيون التشبيه التمثيلي كما جاء في قوله تعالى: (مَثَلُ

الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ

لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ) ⁴ وعناصره هي :

أ - المشركون

ب- أولياؤهم (الأصنام)

ج- العنكبوت

د- بيتها

إن العلاقة (أ) ب (ب) هي علاقة المشركين بأوليائهم يعبدونهم ويعتصمون بهم تشبه علاقة (ج) ب (د) أي علاقة العنكبوت ببيتها تبنيه وتعتصم به إذا تعرضت إلى الاعتداء ⁵. والمحل الشاغر الضعف وجه الشبه أكثر وضوحا وبروزا في العلاقة الثانية

¹ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه ، ص 252 .

² فليب بروطون ، الحجاج في التواصل ، تر محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي ، ص 119 .

³ المرجع السابق ، ص 119 .

⁴ سورة العنكبوت ، الآية 41 .

⁵ ينظر : عبد الله صولة ، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات ، ص 57 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

المحسوسة البادية للعيان ، لأنها دليل شاهد جىء به لإثبات المعنى المدعى فى العلاقة الأولى ، وإقناع المخاطب بصحتها .

يشرح عبد القاهر الجرجانى حصول التأثير بحجة التمثيل ويمثل له قائلا : " لو أن رجلا أراد أن يضرب لك مثلا فى تنافى الشئيين فقال : هذا وذاك هل يجتمعان ؟ وأشار إلى ماء ونار حاضرين وجدت لتمثيله من التأثير ما لا تجده إذا أخبرك بالقول فقال : هل يجتمع الماء والنار ؟ وذلك الذى تفعل المشاهدة من التحريك للنفس ، والذى يجب بها من تمكن المعنى فى القلب إذا كانت مستفادة من العيان ومتصرفة حيث تتصرف العيان" ¹ والجرجانى هنا يؤكد كما فى الأقوال السابقة على "التقديم الحسى للمعنى ... الذى من شأنه استمالة المخاطب وتغيير أفق انتظاره إزاء الموقف المعروض عليه بالإقرار ، أو التعديل أو النفي" ² . وبالرجوع إلى المدونة فإن الحجاج بالتمثيل هو احدى الآليات الحجاجية التى استعان بها ابن عربى لتحقيق التأثير فى المخاطبين كما فى قوله : " ولذلك اختلفت صور العالم وإن كان واحدا كما اختلفت صورة الإنسان فى نفسه وإن كان الإنسان واحدا" ³ .

يستنتج المخاطب أن وجه الشبه المحذوف (الكثرة و الوحدة) جاء متعددا حسيا فى العلاقة الثانية ، وهو شاهد إثبات للعلاقة الأولى يتضمن إقناعه بوحدة الوجود القائلة بأن الصور (الصفات أو الموجودات المتجلية فى الكون) والذات الإلهية شىء واحد . وفى حالة ما إذا رفض أن يكون الإنسان واحدا فى جسمه متعددا فى صورته (القدرة - التفكير المنع - العطاء) فإنه يرفض أن تكون الذات الإلهية واحدة وأسامؤها متعددة كثيرة . وهو الأمر الذى يرفضه المخاطب .

والوحدة نفسها يؤكد عليها بالتمثيل لها " وجعل أصناف العالم له كالأعضاء من الجسم للروح المدبر له ، فلو فارق العالم هذا الإنسان مات العالم" ⁴ ، فالتعدد والوحدة أقوى وأوضح فى العلاقة الثانية لإثبات الأولى وإقناع المخاطب ضمنا بنظرية وحدة الوجود والإنسان احدى تجلياتها إذ وجد العالم من أجله . فإذا بقي العنصر البشرى يستمر العالم ،

¹ أسرار البلاغة ، تح محمد خفاجى وعبد العزيز شرف ، ص 129 .

² عبد القادر بقشى ، البعد الحجاجى فى الشعر الحوارى ، مجلة البلاغة وتحليل الخطاب ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار

البيضاء ، المغرب ، عدد 1 ، 2012 ، ص 156 .

³ ابن عربى ، الفتوحات المكية ، ج3، ص 227 .

⁴ المصدر نفسه ، ج، ص 75 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

وإذا فني يزول العالم ويندثر فلا معنى لوجوده إلا بالإنسان يقول ابن عربي مرة أخرى " وكمال العالم بالإنسان مثل كمال الجسد بالروح ، والإنسان منفوخ في جسم العالم فهو المقصود من العالم "1. فالمخاطب يستنتج أن وجه الشبه تلازم ثنائية (الذات وصفاتها) البارزتين في العلاقة الثانية (الجسد والروح) جاءت شاهد إثبات للعلاقة الأولى تتضمن إقناعه بأن العالم لا وجود له من دون الإنسان فهو جوهره أو روحه التي يستمر بها باعتباره الإنسان الكامل المخلوق على الصورة الإلهية أي أنه الوحيد الذي تجلت فيه الصفات الإلهية. فإذا انعدم الإنسان انعدمت الصفة الإلهية والعالم معها .

وبحجة التمثيل يدعو إلى عدم الإقبال على الدنيا عندما قال : " ورد في الإلهيات عن كعب الأحبار أن الله تعالى يقول : يا ابن آدم ... إن لم ترض بما قسمت لك سلطت عليك الدنيا حتى تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم وعزتي وجلالي لا تنال منها إلا ما قدرت لك "2.

يستنتج المخاطب من خلال السياق أن وجه الشبه المتروك له لاستكمال حسي مائل للعيان في العلاقة الثانية التي جاء بها المتكلم لتكون دليلاً على العلاقة الأولى يتضمن أي وجه الشبه إقناعه بعدم الجري وسرعة الإقبال على الدنيا والاندفاع نحوها ، لأنه برفضه أن يركض ركض الوحش في البرية سيرفض الجري وراء الدنيا وهو الأمر الذي كان مدعواً إلى الاقتناع به من خلال التمثيل السابق .

وبالتمثيل يثبت أن النكاح القائم على الخلق والإيجاد ظاهرة عامة تشمل الوجود كله " المعاني تنكح الأجسام نكاحاً غيبياً معنوياً فيتولد بينهما أحكامهما ، وذلك حجاب على اليد الإلهية الغيبية التي من شأنها أن تدرك ، ومن ذلك جميع الصور الظاهرة في الهباء ، الهباء لها كالمرأة والصور لها كالبعل ولا يوجد عنهما إلا أعيانها "3. يدرك المخاطب من خلال السياق أن التوالد والتكاثر هو وجه الشبه البارز الحسي في العلاقة الثانية لإثبات الأولى

¹المصدر السابق، ج3، ص 102 .

²المصدر نفسه، ج 8 ، ص 351.

³المصدر نفسه، ج 4 ، ص 427 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

(الهباء والصور) . وعلى ضوءه يقتنع بفكرة أن الظواهر الموجودة في الكون مادية كانت أو معنوية تقوم على النكاح وبه تستمر .

يوضح ابن عربي في سياق آخر النكاح الحاصل بين أعيان الموجودات جميعها قائلا : " إن المرأة من الرجل بمنزلة الطبيعة من الأمر الإلهي لأن المرأة محل وجود أعيان الأبناء ، كما أن الطبيعة للأمر الإلهي محل ظهور أعيان الأجسام فيها تكونت وعنها ظهرت ¹ . مؤكدا بذلك أن "المسألة الجنسية تغطي جميع مناحي الكون وتشمل كل صور الوجود العملية القائمة بين الرجل والمرأة صورة مصغرة للنكاح الإلهي الذي يتحقق بين الأمر الإلهي والطبيعة . العملية بين الذكر والأنثى جزء من النكاح الشامل للوجود بأكمله " ² ، و حتى الكتابة ولغة التخاطب بين الناس نكاح ، إذ جعل المتكلم أبا والسامع أما ، والكلام نكاحا ، وما تولد من فهم السامع جعله ولدا ³ .

ويعتمد على حجة التمثيل في سياق الحديث عن موت أهل الجنة " ... فأما المؤمنون الذين يخرجون إلى الجنة بعد هذا فيميتهم الله فيها إماتة كرامة للجوارح حيث كانت مجبورة فيما قادها إلى فعله فلا تحس بالألم وتعذب النفس وحدها في تلك الموتة ، كما يعذب النائم فيما يراه في نومه وجسده في سريره وفرشه على أحسن الحالات " ⁴ يتمثل وجه الشبه في الشعور بالألم النفسي دون الحسي أو الجسمي ، وهو أكثر وضوحا في العلاقة الثانية (النائم في الحلم لا يتعذب جسمه وإنما يتخيل نفسيا أو شعوريا) لإثبات عدم إحساس أهل الجنة بالألم عند الموت ، والحجة نفسها ل " أهل النار الذين قيل فيهم لا يموتون ولا يحيون ... فأنفسهم لا تموت في النار لتذوق العذاب ، ولا يحيون ، وأجسامهم لا تحي في النار حتى لا تذوق العذاب ، فعذابهم نفسي في صورة حسية من تبديل الجلود ، وما وصف الله من عذابهم كل ذلك تقاسيه أنفسهم فإنه قد زالت الحياة من جوارحهم فهم ينضجون كما ينضج اللحم في القدر ، أترأه يحس بذلك ؟ " ⁵ .الضمير هنا يعود على اللحم ، وبالتالي الإجابة تكون : لا يحس اللحم بالنار ولو بقي فيها كثيرا . إن توجيه المخاطب من طرف

¹ المصدر السابق ، ج5 ، ص 132 .

² قدور رحمانى ، بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي ، ص 122 .

³ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج7 ، ص 213 .

⁴ المصدر نفسه ، ج 5 ، ص 5 .

⁵ المصدر نفسه ، ج5 ، ص 5 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

المتكلم ودفعه إلى ملاء الفراغ المتروك له بجواب غير مباشر يتضمن نفي إحساس جسم من يدخل النار بالألم الجسماني هو وجه الشبه الحسي البارز في العلاقة الثانية لإثبات الأولى وإقناع المخاطب بها . علما أن نفي العذاب في التمثيلين كليهما أساسه فلسفة وحدة الوجود عند ابن عربي القائلة بأن " الجنة والنار شكلان لمحتوى واحد ، لأن الخلق جميعهم ستطالهم الرحمة الإلهية"¹

وبحجة التمثيل يرغب الناس ويحثهم على الآخرة بالعمل الصالح قائلا : " قال عيسى عليه السلام :يا بني إسرائيل اعلموا أن مثل دنياكم مع آخرتكم كمثل مشرقكم مع مغربكم كلما أقبلتم إلى المشرق بعدتم من المغرب ، وكلما أقبلتم إلى المغرب ازددتم من المشرق بعدا ، وصاهم بهذا المثل أن يقربوا من الآخرة بالأعمال الصالحة"² . فرغم التصريح بوجه الشبه (الاختلاف والتباعد) إلا أنه جاء لتأكيد العلاقة الأولى وإقناع المخاطب بالابتعاد عن متاع الدنيا والاقتراب من نعيم الآخرة.

ويتخيل بالتمثيل مستحضرا صورة خلق آدم وحواء قائلا : "فكان نشأ جسم آدم كنشأ الفاخوري فيما ينشئه من الطين والطبخ ، وكان نشأ جسم حواء نشأ النجار فيما ينحته من الصور في الخشب "³ . لا أحد إذا رأى كيف أنشأ الله جسم آدم، ولتوضيح ذلك وإثباته عمد ابن عربي إلى تمثيله بصانع الفخار وهو يبني ما يشاء من الأشكال بالطين . ووجه الشبه المقدر هنا هو إيجاد الشيء من العدم لأول مرة، وهو واضح مرئي في العلاقة الثانية (صانع الفخار) كشاهد إثبات يدل على قدرة الله وحده على خلق تلك الصورة البشرية ، وبالمقابل كان وجه الشبه في نشأة حواء هو إكمال أو إضافة شيء لشيء موجود شاهدا مرئيا متجليا في العلاقة الثانية (النجار وهو ينحت من الخشب صورة) ، لإثبات وتأكيد أن حواء خلقت من ضلع آدم الموجود من قبل .

3-5التشبيه الضمني

إذا كان الأستاذ صولة في بحثه القيم الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية ذهب إلى أن التمثيل والتشبيه البليغ في البلاغة العربية يضطلعان بدور حجاجي

¹قدور رحمانى ، بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي ، ص 130 .

² ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج8 ، ص 327 .

³ المصدر نفسه ، ج1 ، ص 192 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

هام ، وأن حجاجيتهما تكمن في عدم التصريح بوجه الشبه بوصفه الفراغ الذي يملؤه ويستكملة المخاطب أو هو المعنى الحجاجى المسكوت عنه تداوليا . وهو أيضا المعنى الحسى البارز في المشبه به في العلاقة الثانية لإثبات الأولى كما عند عبد القاهر الجرجاني . فإنني أكاد أجزم القول أن التشبيه الضمني هو الآخر لا يقل شأنًا حجاجيا عنهما علما أن تسميته بالضمنى آتية من عدم التصريح بأركانه (المشبه – المشبه به – وجه الشبه) . وهو ما يفتح المجال لإشراك المخاطب في إدراك المعنى الضمني من خلال سياق استعماله ، والضمنى كما لا يخفى أقوى حجاجيا من المصرح به . ومن هذه الناحية قال البلاغيون أن التشبيه الضمني من أقوى أنواع التشبيه في توضيح المعنى وتوكيده . وأي معنى يوضحه ويقويه إن لم يكن المعنى الحجاجى . وقديما قال أبو فراس الحمداني

سيدكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفقد البدر

تاركا الخطاب مفتوحا أمام المتلقي ليدرك ضمنيا أن الشاعر يدافع مفتخرا بعلو مكانته وحاجة قومه إليه ، وهو يشبه نفسه بالقمر دون أن يصرح بذلك .

ومن المدونة قول ابن عربي : " وكان الشيخ أبو مدين رحمه الله إذا قيل له : قال فلان عن فلان عن فلان يقول : ما نريد نأكل قديدا هاتوا انتوني بلحم طري يرفع هم أصحابه " ¹ .

يستنتج المخاطب انطلاقا من السياق أن المتكلم عارف صوفي خصم لعلماء الرسوم ، معارض للعلوم القائمة على الفكر والعقل وعلى ضوء ذلك يدرك أنه يشبه ضمنيا هذه العلوم بالقديم أو اللحم القديم الجاف الذي يستمر الناس في استهلاكه على مر الأيام ، كما يفهم ضمنيا أن الدعوة إلى هجر هذا النوع من العلم والزهد فيه لأنه لا يجدي نفعًا في الوصول إلى إدراك ظاهر الألوهية وباطنها هو المعنى الضمني الذي يريد المتكلم إيصاله إلى المخاطب دون التصريح به .

وبالمقابل فإن اللحم الطري لا يرفع شأن آكله ، إنما الذي يرفعهم هو العلم . والمخاطب يدرك أن المتكلم يشبه ضمنيا العلم اللدني الطارئ على قلوب العارفين الصوفيين باللحم الطري الجديد ، لإقناعه ضمنيا أيضا بفائدة هذا العلم وأهميته في إدراك الحقائق المتعلقة بالله والإنسان والوجود . وأشار إلى أن المثال المدروس في هذا السياق سبق

¹المصدر السابق، ج 1 ، ص 423 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

وأن درسته فى الحجة بالمثال فى الفصل الأول من هذا البحث وإن دل هذا على شىء إنما يدل على تداخل تصنيف الحجج وتعدد قراءتها وتأويلها .

ويقول أيضا : " كان شاب يحضر مجلس ذى النون المصرى مدة ثم انقطع عنه زمانا ثم حضر عنده وقد اصفر لونه ونحل جسمه وظهرت آثار العبادة عليه والاجتهاد فقال له ذو النون : يا فتى ما الذى أكسبك خدمة مولاك واجتهادك من المواهب التى منحك بها ووهبها لك واختصك بها ؟ فقال الفتى : يا أستاذ وهل رأيت عبدا اصطنعه مولاة من بين عبيده واصطفاه وأعطاه مفاتيح الخزائن ثم اسر إليه سرا أحسن أن يفشى ذلك السر ؟ "1 .

يفهم الأستاذ أن الفتى يريد أن يقنعه بأن ذله وخضوعه لله عزوجل وهو يشبه نفسه ضمنا بالعبيد الذى اختاره مولاة ، هو الذى جعله لا يبوح بالأحوال والمعارف الصوفية المودعة فى قلبه . والاستفهام الذى يتضمنه الضمنى هنا فعل غير مباشر أنجز به الفتى نفي إفشاء ما أودعه الله فى قلبه ، مؤكدا بذلك حجاجية التشبيه الضمنى .

ويواصل استمالة السامعين والتأثير فىهم بالتشبيه الضمنى عندما يقول : " فإن الأنبياء عليهم السلام يصدقون فيما كل يخبرون به من أحوالهم منزهون أن يلبسوا ثوبى زور فقال موسى عليه السلام : (فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ) 2 فانتج له ذلك الفرار الحكم الذى هو

الإمامة والخلافة والرسالة مع كون السبب الموجب الذى ذكره وما ذكر إلى أين فر ، فإذا فر الفار إلى الله وعين من فر إليه وأبهم ما فر منه فما ترون تكون جائزته ؟ فإن جائزة موسى جائزة منقطعة فإن الخلافة هنا تترك والرسالة كذلك ينقطع الأمران بالموت والانقلاب إلى الدار الآخرة "3 .

يستنتج المخاطب أن المتكلم يريد أن يوصل إليهم معنى النجاة ، وهو يشبه ضمنا جزاء الفار إلى الله بجائزة النبي موسى عليه السلام . والآية القرآنية واختيار اسم النبي موسى عليه السلام اختيار حجاجي أت من سلطتهما المقدسة التى تحول دون اعتراض المخاطب عليهما

¹المصدر السابق ، ج3 ، ص 522 .

²سورة الشعراء ، الآية 21 .

³ابن عربى ، الفتوحات المكية ، ج3 ، ص 233 ، 234 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

بحيث لا يملك إلا خيار الاقتناع والخضوع . وفي هذا تأكيد لطاقة التشبيه الضمني أو أنه يقوي حجة السلطة الدينية في هذا السياق .

5-4 الاستعارة

يقول فليب بروطون مميزا بين الاستعارة الحجاجية والأدبية " ما تمثله الشيخوخة بالنسبة إلى الحياة هو ما يمثله المساء بالنسبة إلى النهار ، هي صيغة جميلة جدا وليست حجة . فنحن كلنا متفقون بالفعل على أن الشيخوخة هي نهاية الحياة ، أو أن المساء هو آخر النهار . فهذا التماثل المكثف يمنحنا الحديث عن الشيخوخة ، الاستعارة الآتية : " مساء الحياة " ، ولكن مازلنا هنا داخل الأدب أو داخل الشعر ، وليس داخل حقل الحجاج ، حيث نتساءل باستمرار : ما هو غرض الإقناع ؟

إن الاستعارة ، وهي إضمار للتماثل ، يمكنها أن تكون حجة ، عندما تخدم الإقناع . هكذا ، عندما نقول لشخص ما " يا له من حمار " يفترض تماثلا بين السلوك المستهدف للحمار (وهو ما يمكن أن يلاحظه الجميع) وسلوك شخص لا يتسم بالذكاء أو الانفتاح " ¹ ، أي أن الاستعارة الحجاجية هي التي تحدث تغييرا في الموقف العاطفي والفكري للمتلقى ² .

ويؤكد أوليفي روبل أن الاستعارة أقوى حجاجية من التمثيل " الاستعارة أكثر إقناعا من القياس (التمثيل) وذلك تحديدا بفضل المزج الذي تحدثه بين المستعار والمستعار له جاعلة بذلك توحد العناصر المنتمية إلى أنظمة مختلفة أمرا مدركا " ³ .

وفي البلاغة العربية يبين الجرجاني وظيفتها الحجاجية بقوله : " الاستعارة إنما هي إدعاء معنى الاسم للشيء لا نقل الاسم عن الشيء " ⁴ . ومعنى الادعاء أن تقيم شيئا مكان آخر أو تستبدله " لأنك تفيد بقولك رأيت أسدا " أنك رأيت شجاعا شبيها بالأسد وأن شبهه به في الشجاعة على أتم ما يكون وأبلغه حتى إنه لا ينقص عن الأسد فيها " ⁵ . فالإدعاء إذا جعل المخاطب (بكسر الطاء) يتوهم شيئا واحدا بدلا من شيئين . " وذلك أن المتشابهين

¹ فليب بروطون ، الحجاج في التواصل ، تر محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي ، ص 122 .

² عمر أوكان ، اللغة والخطاب ، ص 133 .

³ سامية الدريدي ، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيتة وأساليبه ، ص 254 .

⁴ دلالات الإعجاز ، موقف للنشر ، الجزائر ، 1991 ، ص 391 .

⁵ عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تح محمد خفاجي وعبد العزيز شرف ، ص 225 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبي

التشابه التام لما كان يحسب أحدهما الآخر ويتوهم الرائي لهما في حالتين انه رأى شيئاً واحدا صاروا إذا حققوا التشبيه بين الشئيين يقولون هو هو " ¹. وتوهم الشيء الواحد أو ادعاء رؤيته ، أساسه حذف أداة التشبيه ووجه الشبه وأحد طرفي التشبيه ؛ المشبه إذا كانت الاستعارة تصريحية والمشبه به في المكنية ، ولم يبق إلا شيئاً واحداً. في حين أن عنصرين على الأقل من العناصر الأربعة موجودة أو مذكورة في التشبيه والتمثيل ولذلك فهما أقل حاجية وتأثيراً مقارنة بالاستعارة " في التشبيه أنت تصنع نوعاً من القياس يقوم على المماثلة والمشابهة ، ولكنك في الاستعارة تتجاوز تلك المماثلة والمشابهة بعد أن تضم طرفي الاستعارة معا وتستبدل ثانيهما بأولهما ، في التشبيه يظل هذا غير ذلك وإن كان يشبهه ، وفي التمثيل تظل هذه الحالة شبيهة بتلك وإن كانت غيرها أما في الاستعارة فأنت تحاول إلغاء هذه المغايرة والمخالفة وتدعي أن هذا أصبح عين ذلك ، ومن ثم تقيمه مقامه " ² . ولذلك كانت الاستعارة صيغة من صيغ الاستبدال المعتمد في الخطاب للتأثير في المتلقين ³.

إن إقامة شيء أو استبداله بآخر في الحقيقة هو تطابق أو إدعاء " بوضع المستعار مكان المستعار له والأصل في الإبدال الاستعاري هو قياس (...) إلا أنه قياس مختزل أي قياس حذفته مقدمته واكتفي فيه بالنتيجة " ⁴ ، فالقول السابق (يا له من حمار) يمكن أن نصوغ منه القياس التالي :

المقدمة الأولى : فلان لا يتسم بالذكاء

المقدمة الثانية : كل من لم يتسم بالذكاء فهو حمار

النتيجة الاستعارية (فلان) يا له من حمار .

ومن المدونة قول ابن عربي : " فالنصر أخو الصدق حيث كان يتبعه ، ولو كان خلاف هذا ما انهزم المسلمون قط كما أنه لم ينهزم نبي قط ، وأنت تشاهد غلبة الكفار

¹ المصدر السابق، ص 234 .

² جابر عصفور ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1992 ، ص 229 .

³ ينظر : علي محمد علي سلمان ، كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج رسائله أنموذجاً ، ص 283 .

⁴ شوقي المصطفى ، المجاز والحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة والصورة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 2005 ، ص ص 23، 24 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

ونصرتهم فى وقت وغلبة المسلمين ونصرتهم فى وقت ، والصادق من الفريقين لا يهزم جملة واحدة " 1

إن التتابع الحاصل أو التماثل ادعاء بأن المستعار (عدم استغناء الأخ عن أخيه) حل محل المستعار له (النصر أخو الصدق) لإثبات أطروحة عدم استغناء النصر عن الصدق . والمثال الذى ضربه المتكلم عن انتصار المسلمين وحتى الكفار – وهو أقوى حجة فى السلم الحجاجى – حجة ثانية تؤكد تقوى الرأى الذى أثبتته ابن عربى من خلال الاستعارة المكنية السابقة التى يمكن تمثيلها قياسيا كما يلى :

المقدمة 1: النصر هدف كل إنسان

المقدمة 2: الإنسان لا يستغنى عن الصدق

النتيجة : النصر أخ للصدق (لا يستغنى عنه)

ويثبت الأحوال والمقامات التى قطعها حملة القرآن " تسربلوا الخوف والأحزان ... كحلوا أبصارهم بالسهل ... صحبوا القرآن بأبدان ناعلة " 2 مدعىا - بلغة الجرجانى – أن المستعار ملازمة اللباس ملازمة للخوف والحزن، مدافعا بهذا الاستبدال عن أطروحة الشعور بالخوف والحزن وعدم الاستغناء عنهما لسالك الطريق الصوفى ، وملازمة القرآن أيضا . وجميعها يكون تمثيلها عن طريق القياس كما يلى :

الأولى :

1: حملة القرآن يخافون من الله .

2: لا يستغنى الخائف من الله عن خوفه كما لا يستغنى عن لباسه

ن : حملة القرآن لبسوا (تسربلوا الخوف والأحزان) .

والثانية :

1 : حملة القرآن لهم أصحاب .

2 : كل صاحب قرآن كمن يلازم صاحبه.

ن : حملة القرآن صحبوه بأبدانهم (ملازمون له) .

¹ ابن عربى ، الفتوحات المكية ، ج6 ، ص 54 .

² المصدر نفسه، ج3، ص 518 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبي

وفي الدعوة إلى الزهد كانت الاستعارة أقوى الوسيلة الحجاجية المؤثرة في المخاطبين

" عانق الفقر ، توسد الصبر ، عاد الشهوات خالف الهوى " ¹ . فالمخاطب عندما يستنتج التطابق أو التماثل بين المحبوب والفقر رغم تباعدهما وبين الصبر والفراش ، فإنه يدرك أن المتكلم يقنعه ضمناً بحب الفقر والتعلق به ، واستمرار ملازمة الصبر ، وقطع الشهوات عن النفس وكراهيتها من خلال الاندماج بين الإنسان العدو والشهوات ، والابتعاد عن الهوى واجتنابه عندما ادعى أن الهوى خطر .

إن تتابع هذه الاستعارات خاصة أسلوبية جمعت بين جمال التعبير والحجة للدفاع عن فلسفة ابن عربي الصوفية القائمة على الزهد والصبر على الطاعات والعبادات ، وحمل المخاطب على الإذعان لها بدليل أن صيغ الأمر فيها (عانق - توسد ...) أفعال كلامية إنجازية تهدف إلى تغيير اعتقاد المخاطب ، وتقوي الطاقة التأثيرية للاستعارات السابقة .

التي يمكن تمثيلها عن طريق القياس التالي :

الاستعارة الأولى : 1 : يعانق الناس المحبوب .

2 : المحبوب كالفقير .

ن : عانق الفقر .

الثانية : 1 : الصبر كالفراش .

2 : الفراش يتوسد .

ن : يتوسد الصبر .

الثالثة : 1 : الشهوات عدو .

2 : العدو يعادي .

ن : عاد الشهوات .

الرابعة : 1 : الهوى خطر .

2 : الخطر يخالف .

ن : خالف الهوى .

¹ المصدر السابق ، ج8، ص 338 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

ويصرح في خطابات أخرى بالمشبه به ويحذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية قائلاً : " واعلم أن المشي في الظلمة بغير سراج وضوء في طريق كثيرة المهالك والحفر والأوحال والمهاوي والحشرات المؤذية التي لا يتقي شيء من هذا كله إلا أن يكون الماشي فيها بضوء يرى به بحيث يجعل قدمه ويجتنب به ما ينبغي أن يجتنب مما يضره من مهواة يهوي فيها أو مهلك يحصل فيه أو حية تلدغه " ¹. فالمشبه محذوف وهو العلم اللدني أو المعرفة الإشراقية ، والمشبه به هو السراج . والمخاطب الذي يدرك التطابق الحاصل بينهما بإحلال الأول في الثاني يستنتج أن المتكلم يدافع عن أطروحة سمو العلم اللدني الإشراقي وبالمقابل يدرك أن المشبه محذوف في الاستعارة الثانية وهو الجهل ، والمشبه به المذكور وهو الظلام . وفي الثالثة المشبه المحذوف هو أعداء الصوفية ، والمشبه به المصرح هو الحشرات مرة والحية اللادغة مرة أخرى ، وإحلال المشبه به مكان المشبه المحذوف جاء لإثبات دعوى انتشار الجهل وكثرة المعاديين من علماء الرسوم لإشراقه العلم الكشفي التي أنار بها الله قلوب العارفين من الصوفية . وباعتماد القياس يكون تمثيل هذه الاستعارات على النحو التالي :

الاستعارة الأولى : 1 : العلم اللدني نور إلهي .

2 : النور الإلهي كسراج منير .

ن : العلم اللدني سراج .

الثانية : 1 : الظلام طريق يؤدي إلى الهلاك .

2 : الهلاك نتيجة للجهل .

ن : الجهل ظلام .

الثالثة : 1 : أعداء الصوفية يؤذون .

2 : من يؤذي فهو حشرة أو حية .

ن : عدو الصوفية حشرة أو حية .

والاستعارة من مثل " فالعارف يأكل الحلوى والعسل والمحقق الكبير يأكل الحنظل " ²

¹المصدر السابق ، ج4، ص ص 472، 473 .

² المصدر نفسه، ج1، ص 322 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

حجاجيتها آتية من دفاع المتكلم عن أطروحة شعور العارف الصوفى بنعمة الفرح واللذة الروحية ، علما أن المشبه به العسل أقوى حجة من المشبه به الحلوى في السلم الحجاجى الذى يقوى حجاجية الاستعارة ويؤكد عليها . وبالمقابل يثبت مرارة الشعور لدى غيره .

6-البديع

يقوم البديع فى البلاغة العربية القديمة بوظيفة شكلية تتمثل فى التحسين اللفظى والمعنوى . وبظهور اللسانيات النصية تحولت وظيفته من الأفق القديم (التحسين) إلى الأفق الجديد¹ ، وأضحت الأشكال البديعية تؤدي دورا حجاجيا إقناعيا قبل تجميل اللغة أو تحسينها² . فا " لمقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين والبديع وإنما هى أصلا ، أساليب للإبلاغ والتبليغ "³ بإمكانها أن تدعم طاقة القول الحجاجية والإقناعية ، وتسهم فى التأثير والاستمالة ، إن لم تكن إحدى الآليات البلاغية الهامة التى يتوسل بها الخطاب الحجاجى فى الإقناع .

6-1السجع

يأتى الكلام فى العربية حرا خاليا من قيود الوزن والتقفية فى غالب الأحيان ، إلا إذا تعدد المبدعون تحليلته بشيء من الأصباغ السجعية الإيقاعية المؤثرة فى الأسماع⁴ و " إذا أحكم توظيفه فى النصوص خرج (...) من باب المحسنات اللفظية إلى باب المقومات الفنية وأصبح فى كثير من الحالات عنصرا فاعلا فى المعنى قدر فعله فى المبنى ... "⁵ ، وفاعليته المعنوية تجعله " عنصرا مدمجا فى مسعى الكاتب إلى الإقناع وتسهيل التلقى كما هو الحال فى الخطب "⁶ ، التى يجيء فيها السجع عفويا يوضح المعنى و يؤكد قبل تجميل الأسلوب وينفذ إلى عقول وقلوب السامعين ، إذ يغير سلوكهم واعتقادهم ويحملهم على الإذعان لما يدعو إليه المتكلم من أفكار وما يطرحة من رؤى .

¹ ينظر : جميل عبد المجيد ، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، ص 75 .

² ينظر : عبد الهادى بن ظافر الشهري ، استراتيجيات الخطاب ، ص ص 497 ، 498 .

³ طه عبد الرحمان ، مراتب الحجاج وقياس التمثيل ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، المغرب ، عدد 9 ، 1987 ، ص 18 .

⁴ ينظر : عيسى بن سديرة ، الخصائص الأسلوبية للمكي والمدني من القرآن الكريم ، رسالة دكتوراه مخطوطة بجامعة سطيف ، 2002 ، 2003 ، ص ص 145 ، 146 .

⁵ محمد الهادى الطرابلسي ، تحاليل أسلوبية ، عالم الكتب ، تونس ، 2006 ، ص 133 .

⁶ خالد بلقاسم ، الكتابة والتصوف عند ابن عربي ، ص 197 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

ومن السجع المؤثر فى المدونة قول ابن عربى " ومن وصايا ذى النون بعض الفتيان : يافتى خذ لنفسك بسلاح الملامة ، واقمعها برد الظلامة ، تلبس غدا سراويل السلامة ، واقصرها فى روضة الأمان ، وذوقها مضض فرائض الإيمان ، تظفر بنعيم الجنان ، وجرعها كأس الصبر ، ووطنها على الفقر ، حتى تكون تام الأمر "1. فالفواصل (الكلمات) فى نهاية الجملة متماثلة متوازية ، تنتهى بنفس الحرف التاء فى (الملامة - الظلامة) والراء (الصبر - الفقر - الأمر) . وتكراره فى أواخر الكلمات المسجوعة بالإضافة إلى الإيقاع الموسيقى الناجم عنه والنافذ إلى قلوب السامعين ، فإنه يعبر عن تكرار محاولات المتكلم وإصراره على إقناع المخاطب بالزهد وما يتضمنه من صبر وفقر . مع العلم أن السجع يتقاطع مع الجناس أحيانا كما فى (الأمان - الإيمان) . وصوت النون هنا رقيق قادر على استعطاف المخاطب واستمالته ليتلذذ بالأمان والإيمان ذوقا بقلبه .

ويجيب أحد السواح متوسلا السجع لإقناعه بالزهد دائما عندما يقول : " قال بعض السياح : كنت جائزا فى بعض سياحتى فى أرض الشام إذ مررت بنهر ... فرأيت صومعة فيها راهب ... فقلت له عظة أو وصية أنتفع بها ، فقال لي : أو تركت الدنيا ؟ فقلت : نعم فقال لي : كل القوت والزم السكوت وعلل النفس فإنك تموت "2. فالكلمات المسجوعة ثلاثة تنتهى بالتاء . والتاء صوت مهموس يهمس فى أذن السامع ليذيع فيه سرا من أسرار الصوفية . ثم إن الكلمات المسجوعة وردت فى جملة قصيرة سريعة النفوذ إلى وجدان المتكلم وعقله .

وببنية السجع يدافع عن الأحوال الصوفية الطارئة على حفظة القرآن ، مع الدعوة ضمنا إلى اقتفاء آثارهم قائلا : " سئل ذو النون عن حملة القرآن من هم ؟ فقال : هم الذين أمطرت عليهم سحب الأشجان ، وانصبوا الركب والأبدان ، وتسربلوا الخوف والأحزان ... صحبوا القرآن بأبدان ناحلة وشفاه ذابلة ، ودموع زائلة ، وزفرات قاتلة "3 . إن الكلمات المسجوعة (الأشجان - الأبدان - الأحزان) إيقاعها السلس الناجم عن تكرار صوت النون قادر على هز قلوب السامعين واستمالتها لتخاف أو تشعر بما يشعر به حفظة القرآن .

¹ ابن عربى ، الفتوحات المكية ، ج8 ، ص 342 .

² المصدر نفسه ، ج8 ، ص 343 .

³ المصدر نفسه ، ج3 ، ص 518 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

ويجب الإشارة إلى أن أفعال الأمر فى المثالين الأوليين واسم الفاعل فى المثال الأخير والاستعارات المتكررة وقد سبق الإشارة إليها سابقا ، وأناقة التعبير الجميل كلها تؤكد حاجية السجع أو أن السجع هنا مقصود حجاجيا لدعم الطاقة التأثيرية لتلك الحجج ومعنى هذا أن السجع وحده لا يكون حجة إلا إذا اتكأ على حجج أخرى .

6-2 الطباق

إذا جننا إلى الطباق بوصفه بنية تأتي فى شكل ثنائيات من الكلمات المتضادة ، فإنه ذو أهمية حجاجية لا تقل عن السجع فى استمالة المخاطب للفكرة، أو الدعوة التى يريد المتكلم إثباتها أو الدفاع عنها إذا كان مناسباً لطبيعة الخطاب الذى يريد المتكلم إيصاله للسامع. يقول ابن عربى " يستحيل أن توجد نسب هذه الحقائق فى غير حى ، كما يستحيل أن تقوم الصفات بغير ذات موصوفة بها ، فما فى الوجود طاعة ولا عصيان ، ولا ربح ولا خسران ... ولا برد ولا حر ، ولا حياة ولا موت ... ولا نهار ولا ليل ، ولا صحة ولا مرض ولا فرح ولا قرح ، ... ولا شيء من هذه النسب المتضادات منها والمختلفات والمتماثلات إلا وهو مراد للحق تعالى " ¹.

إذا كانت الذات الإلهية واحدة فى جوهرها كثيرة بظهورها من خلال أسمائها وصفاتها القائمة على الاختلاف والتضاد ، فإنه لا يمكن الفصل بين الله والموجودات ، فى إطار وحدة الوجود ، وعليه فإن " التعبير عن الوحدة بأداة بنيتها أصلاً مركبة على التخالف والتضاد " ² لإثبات أن الوجود واحد فى أصله متعدد فى شكله ومظهره القائم على التضاد (الليل – النهار) (الحياة – الموت) (الفرح – الحزن) (الصحة – المرض) وكثافة تكرار الطباق أساسه استمرار خطاب البحث عن إقناع المخاطب بوحدة الوجود .

والمتكلم الذى يدعو إلى الإكثار من قراءة سورة يس اتكأ كثيراً على الطباق . ورغم أن النص مدروس سابقاً فى أكثر من سياق- كما هو الأمر للنصوص الأخرى- إلا أن إعادته أمر ضرورى ها هنا " استكثر من قراءة يس فإن قراءة يس عشر بركات ما قرأها قط جائع إلا شبع ولا قرأها ضمان إلا روي ، ولا عار إلا اكتسى ، ولا مريض إلا برئ ،

¹ المصدر السابق ، ج1 ، ص 63 .

² أمين يوسف عودة ، تجليات الشعر الصوفى فى الأحوال والمقامات ، ص 358 .

الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى

ولا خائف إلا آمن ، ولا مسجون إلا فرج ، ولا أعزب إلا تزوج ، ولا مسافر إلا أعين على سفره ،

ولا قرأها على رأس ميت حضر أجله إلا خفف عليه ، ومن قرأها صباحا كان في آمان حتى يمسي ، ومن قرأها مساء كان في آمان حتى يصبح " ¹ .

ورب سائل يسأل لماذا توصل المتكلم ببنية الطباق دون سائر المحسنات البديعية الأخرى؟السبب في ذلك حاجية الطباق بوصفه الأداة البلاغية المناسبة لإثبات تغير حالة قارئ يس من حالة سيئة سلبية إلى حالة مضادة لها إيجابية . فلا مناص من الطباق في هذه الحالة ، وصيغة الأمر استكثر مؤشر قوي على حاجيته .

وفي سياق الزهد يدعو من يعيش حياة موفورة الأكل والماء واللباس إلى تركها لبلوغ درجة الأنبياء قائلا : " ركب القوم طريقا صعبا لحقوا بدرجة الأنبياء ، أثروا الجوع بعدما أشبعهم الله ، والعري بعدما كساهم ، والعطش بعدما أرواهم ، تركوا ذلك رجاء ما عند الله ، تركوا الحلال مخافة حسابه ... عجبت الملائكة والأنبياء من طاعتهم لربهم ، طوبى لهم طوبى لهم " ² .واضح إذا أن المتكلم يدرك أن التأثير في المخاطب وتغيير اعتقاده بالتحول من حياة الشبع إلى ضده الجوع ، ومن اللباس إلى العري ، ومن الارتواء إلى العطش يمر عبر بنية الطباق .

¹ ابن عربي ، الفتوحات المكية ، ج8 ، ص 322 .
² المصدر نفسه ، ج8 ، ص 337 .

خاتمة

- لقد حاولت هذه الدراسة تطبيق النظريات الحجاجية الحديثة من خلال مدونة الفتوحات المكية ، ونهايتها تمثل جملة من النتائج جاءت على النحو التالي :
- 1- جاء الاعتماد على حجة التناقض في سياق إثبات وحدانية الله ، ووحدة الوجود ، وامتدت لتشمل القيم الخلقية مثل التواضع والصبر...
 - 2- اعتمد المحاجج على حجة التعريف في سياق توجيه الخطاب إلى متلق خاص هو المتلقي الصوفي لإقناعه بالمقامات والأحوال والمصطلحات الصوفية.
 - 3- جاءت حجة التبادلية مناسبة للخطابات التي يدافع عنها المتكلم عن الشعور بالمصائب وتبرئة النفوس من التهم والغيرة على الدين والمحارم .
 - 4- حجة التعدية القائمة على قواعد المنطق والرياضيات ، ولقوتها المنطقية دافع بها ابن عربي عن نظرية وجود العالم والإنسان عبر الحب (حب المعرفة) . وأثبت بها تجلي الله في الموجودات في إطار نظرية وحدة الوجود وكلها موضوعات غيبية تحتاج إلى صرامة علاقة التعدية لإثبات حقيقتها .
 - 5- مخاطبة الإنسان بأنه جزء من الكل أقدر وأنجع على التأثير فيه للقيام بعمل أو الكف عنه ، لذلك اعتمد ابن عربي على حجة علاقة الجزء بالكل في الخطابات القيمية لإقناع المخاطب بالقيم الخلقية السامية مثل فعل الخير والتعاون مع الجماعة والعدل بين الناس .
 - 6- جاءت حجة السببية مناسبة للخطابات التي تتحدث عن سبب خلق الإنسان وأسباب الدخول إلى الجنة أو النار .
 - 7- أما حجة التبذير تناسب أو تنسجم مع خطاب الحث على العبادات والاستمرار فيها تجنباً لخسارة ما تم تحقيقه مثل استمرارية سلوك الطريق الصوفي ، الصمت في الجمعة ، التجرد من الأهواء والشهوات بحجة عدم تضييع ما تم إنجازه .
 - 8- الأمر نفسه بالنسبة لحجة الاتجاه فهي تنسجم مع مقام تحذير المخاطب من العبادات والآداب السيئة لأن ذلك يتجه إلى الإساءة إليه في الدنيا وفي الآخرة .
 - 9- وبحجة التجاوز يخاطب من يعيش المعاناة ، وبها يقنعه بتجاوز المحن وتذليل الصعوبات وتحويلها في الاتجاه الإيجابي .

10- الحجج المندرجة ضمن الشخص وأعماله كثيرة ومتنوعة منها ما هو عام غير معروف كالمسلمين أو مذكور صراحة كما في شخصية عمر والرسول صلى الله عليه وسلم .

11- وكان حضور السلطة الحجاجية قويا متعددا يشمل القرآن ، التوراة ، الأنبياء (محمد ، عيسى ، موسى) وسلطة المريدين والعارفين من مشايخ الصوفية (الجنيد ، أبو مدين الغوث ، البسطامي) وحتى الأولياء والصالحين . وقد يكون مصدر السلطة غير معروف أحيانا ، واختيار هذه السلط وكثافة توظيفها من شأنه تغيير اعتقاد المخاطب ، لأن آراءها لا ترد ، تستمد شرعيتها من المقدس أو من الشخصيات الصوفية التي تحضى بالقبول من طرف المتلقين .

12- الأمثال ونماذج من سلوك وأخلاق الأنبياء وأقطاب الصوفية والحكماء والصالحين الهدف من استحضارها تعميم سمو أخلاقها (العفو – التسامح – الكرم) على المخاطبين تأسيسا لواقع غير موجود أو تكملة لواقع ناقص هو الإنسان الكامل الذي ظل ابن عربي ينشده .

13- تعبر ضمائر المتكلم التي للمفرد عن المكانة الروحية العالية التي وصل إليها ابن عربي أو الحضرة الإلهية التي رفرق إليها عبر المعراج الصوفي . وتعبر الضمائر ذاتها التي للجمع عن المقام الرفيع للمتكلم أحيانا ، وأحيانا أخرى للتضامن مع المخاطب بجعل رتبته مضاهية لرتبة المتكلم . والتضامن نفسه حاصل من خلال العدول من ضمائر المتكلم إلى الخطاب لهدف إشعار المخاطب بأنه شريك للمتكلم مساو له فيما يدعو إليه الخطاب .

14- أما ضمائر الغيبة فقد جاءت معبرة عن علو مقام الذات المتكلمة لبلوغها الحضرة الإلهية . كما جاء ضمير الشأن للإشارة إلى علو شأن الله تارة وتارة أخرى لإعلاء الشخصيات المتحدث عنها . ولولا الاعتماد على هذه الضمائر جميعها لكان الكلام إخبارا لا حجاج فيه .

15- تسهم الإشارات الاجتماعية الشائعة في الفتوحات من مثل (يا أخي – أستاذ ...) في إقناع المخاطب من خلال التضامن معه وإزالة الفوارق بينه وبين المتكلم .

- 16- عدم الالتزام بقوانين الحوار يعني خرق العملية الحوارية والخرق يستلزم أفعالاً إنجازية غير مباشرة وأحياناً أخرى يكون الالتزام بالقوانين . وفي الحالتين مبدأ التعاون حاضر والتأثير والإقناع هو الهدف من وراء ذلك .
- 17- يكمن الافتراض المسبق (المقتضى) باعتباره معلومات موجودة عند المتكلمين في أن السامع يفهم ويكمل جزءاً لم يصرح به المتكلم وتبين الأمثلة المدروسة أن ما هو متروك للسامع يحوم حول إثبات وجود الله .
- 18- اعتمد البحث على تصنيف سيرل فيما يخص الأفعال الكلامية وجميعها حاضر في المدونة خصوصاً الإخبارية عن الحقائق أو الفتوحات التي كلف ابن عربي بتبليغها إلى الناس ، وأيضاً الموجهات (الأمر – النهي – الاستفهام) في الخطابات القيمة الهادفة إلى إقناع المخاطب بالقيم الخلقية السامية كما هو الأمر في الباب الأخير من المدونة التي شملت وصايا متنوعة . ثم تليها المعبرات لإقناع المخاطب بأحوال ومشاعر المتكلم الصوفي .
- 19- تجسدت نظرية السلام الحجاجية بقوانينها الثلاثة في المدونة تأكيداً لتفاوت القوة الحجاجية للأقوال اللغوية .
- 20- تؤكد بعض الروابط اللغوية تراتبية السلم الحجاجي وبعضها الآخر الربط بين الأقوال ، استناداً إلى المواضيع المشتركة بين المتخاطبين لتحقيق الانسجام بين تلك الأقوال ونتائجها ، ولذلك فالروابط تتجلى في سطح النص وتتعلق بالاتساق أما المواضيع فتتعلق بالانسجام ، والانسجام دليل على صحة الحجة التي يقتنع بها المخاطب ، فلا روابط بدون مواضيع ولا مواضيع تعمل من دون روابط ترفدها أو تحملها . وأكثر الروابط شيوعاً : روابط التعارض الحجاجي (لكن – بل) والتساوق الحجاجي (بل – لاسيما) ، ثم تأتي الروابط السببية (لأن – الفاء) وروابط التعليل (لذا – لهذا – لأجل – لام التعليل) .
- 21- ويأتي النفي والاستثناء على صدارة العوامل الشائعة في المدونة لقوته الحجاجية في توجيه المتكلم نحو النتيجة التي يقتنع بها بدلاً من بقاءه تائهاً أمام تعدد النتائج ، ولذلك تكرر استعماله في سياق إثبات وحدة الوجود بدلاً من تعدده .

22- تبين الدراسة أن تكرار الكلمات والمعاني وبعض الصيغ الصرفية (اسم الفاعل ، المبني للمجهول)، وشيوع الحذف والتقديم والتأخير والتوازي والتضام ، كلها ظواهر مقصودة للتأثير في المخاطب ، مصاغة بمستوى عال من الجمال ، وأنها تحتاج إلى حجج أخرى تركز عليها وتمنح لها القوة الحجاجية .

23- تؤكد الدراسة أن التشبيهات التي يحذف فيها وجه الشبه أقدر على الإقناع من غيرها لما تنطوي عليه من معانٍ ضمنية متروكة للسامع استنتاجها تداوليا . وأن التشبيه الضمني أقواها جميعا لأن أركانه الأربعة محذوفة يدركها السامع من خلال السياق . والأمر نفسه بالنسبة للتمثيل فحجاجيته آتية من تعدد وجه الشبه المحذوف المتروك للقارئ إدراكه ، مع الإشارة إلى أن التشبيه يرتكز على حجج أخرى تقوي طاقته مثل الأفعال الكلامية والحديث الشريف أو أنها تؤشر لحجاجيته . في حين أن التمثيل والتشبيه الضمني يستغنيان أو تقل فيهما الحجج الداعمة لهما لقدرتهما على التأثير والإقناع .

24- وجاءت الاستعارة في سياق الخطابات القيمة لإقناع المخاطب بمثالية الأخلاق والسلوك متكئة على غيرها من الحجج لأداء وظيفتها الإقناعية (أفعال الأمر-حجة المثال)

25- وأخيرا فإن البديع ممثلا في السجع والطباق يتكئان على حجج أخرى تقوي طاقتهما التأثيرية خصوصا الأفعال الكلامية ثم إن هذه المحسنات هي التي تشكل بنية التوازي القادرة على التأثير من خلال سرعة الاستحضار عبر جمال بنيتها .

قائمة المصادر

و المراجع

أولاً: القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم بالرسم العثماني .

ثانياً: المصادر

1. ابن جني - الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتابة العربي بيروت لبنان .
2. ابن عربي :-الفتوحات المكية تحقيق أحمد شمس لدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،لبنان ،ط2، 2006.
3. ابن يعيش:- شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، مصر (د.ت).
4. أبو حامد الغزالي المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى ، تحقيق فضلة شحادة ، دار الشروق بيروت لبنان 1971.
5. أحمد ابن فارس - الصحابي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر، 1950.
6. السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، القاهرة (مصر) د.ت
7. عبد القاهر الجرحاني : دلائل الإعجاز، موفم للنشر، الجزائر 1991 .
8. _____ أسرار البلاغة تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرق، دار الحبل ، بيروت، (لبنان) ، ط1 ، 1991 .

ثالثاً:المراجع العربية

1. ابن أبي حجلة : ديوان الصبابة ، تحقيق محمد زغلول ، الإسكندرية ، 1987 .
2. أبو بكر العزاوي:- اللغة والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، 2009.
3. _____ حوار حول الحجاج، الأحمديّة للنشر، ط 1، 2010.

4. أحمد الزمر: - ظواهر أسلوبية في الشعر الحديث في اليمن، صنعاء مركز عبادي 1997.
5. أحمد الصادقي: - حضور الغياب في صوفية ابن عربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط 1، 2009.
6. أحمد مصطفى المراغي: - علوم البلاغة، دار القلم، بيروت (لبنان).
7. أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.
8. آرثور سعديف وتوفيق سلوم: الفلسفة العربية الإسلامية الكلام والمشائية والتصوف، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ط2، 2001.
9. أميمة صبحي: حجاجية الخطاب في إبداعات التوحيدي، دار كنوز المعرفة للنشر و التوزيع عمان، ط 1، 2015.
10. أمين يوسف عودة: - تجليات الشعر الصوفي قراءة في الأحوال والمقامات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2001.
11. جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1992.
12. جميل حمداوي: - من الحجاج إلى البلاغة الجديدة، إفريقيا الشرق، المغرب، 2014.
13. جميل عبد المجيد: - البلاغة والاتصال، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2008.
14. _____ البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1989.
15. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الشافي، ط 4، 2001.
16. حاتم عبيد: - التكرار وفعل الكتابة في الإشارات الإلهية لأبي حيان التوحيدي، التفسير الفني، صفاقص، تونس، ط 1، 2005.

17. حافظ إسماعيل علوي: - الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2010.
18. _____ التداوليات علم استعمال اللغة ، عالم الكتب الحديث إربد ، الأردن، 2011.
19. حسام أحمد قاسم : تحويلات الطلب ومحددات الدلالة ، دار النصر للنشر و التوزيع ، القاهرة ،مصر، 2005
20. حسن المودن: - بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط 1، 2014.
21. خالد بلقاسم: - الكتابة والتصوف عند ابن عربي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2000.
22. خديجة غفيري: - سلطة اللغة بين فعلي التأليف والتلقي، إفريقيا الشرق 2012.
23. رشيد الراضي: - المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2014.
24. رشيد الشرتوني: - مبادئ العربية، دار الشروق ، بيروت ،لبنان ،(د- ت) .
25. ساعد خميسي:- ابن العربي المسافر العائد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010.
26. سامية الدريدي : - الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008.
27. سحر سامي: - شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005.
28. سعيد الأفغاني الموجز في قواعد اللغة العربية ، دار الفكر، ط 1 و ط 2 ، 1970

29. شوقي المصطفى المجاز و الحجاج في درس الفلسفة بين الكلمة و الصورة
دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، ط1،2005.
30. صبحي إبراهيم الفقي: - علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة
تطبيقية على السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2000.
31. حمادي صمود: - أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو
إلى اليوم، كلية الآداب منوبة، تونس (د.ت).
32. صهيب الرومي التصوف الإسلامي ، بيسان للنشر و التوزيع و الإعلام
بيروت لبنان ، ط1، 2007
33. طرفة بن العبد ، الديوان ، تحقيق محمدي محمد نصر الدين ،دار الكتب
العلمية ، ط3، 2002 .
34. طه عبد الرحمن: - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي
العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998.
35. عبد الجليل بن عبد الكريم سالم وحدة الوجود عند ابن عربي مكتبة الثقافة
الدينية القاهرة ،مصر، ط1، 2004.
36. عبد الحميد هيمة الخطاب الصوفي و آليات التأويل قراءة في الشعر
المغاربي المعاصر، موفم للنشر الجزائر 2008
37. عبد الرحمن بدوي: - شطحات الصوفية، وكالة المطبوعات، الكويت،
ط3، 1978.
38. عبد السلام عشير - عندما نتواصل نغير مقاربة تداولية معرفية لآليات
التواصل والحجاج ، إفريقيا الشرق ، المغرب ، 2006 .
39. عبد الله بن عتو :- مظاهر الاتساق في الخطاب الصوفي قراءة في
نصوص مغربية حديثة ، مطبعة الأمنية ،الرباط، 2011
40. _____ : - مقدمة للخطاب
الصوفي المغربي الحديث قضايا في المنهج والرؤية، مطبعة الأمنية، الرباط،
2008.

41. **عبد الله صولة:** - الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
42. _____ في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مسكليا للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2011.
43. **عبد الهادي بن ظافر الشهري:** - إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
44. **عبد الواحد حسن:** - البديع والتوازي، مكتبة الإشعاع، القاهرة، ط1، 1990.
45. **عبد شلبي عبد الجليل،** الخطابة و إعداد الخطيب، دار الشروق، ط1، 1981
46. **عز الدين الناجح:** - العوامل الحجاجية في اللغة العربية، مكتبة علاء الدين، صفاقس تونس، ط1، 2011.
47. **عزت شبل محمد** - علم لغة النص النظرية والتطبيق ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، مصر ، ط2008، 1
48. **علي الشبعان،** الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل ، بحث في الأشكال والإستراتيجيات ، دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت ، لبنان، ط1، 2010 .
49. **علي بن أبي طالب:** الديوان ،جمع وترتيب عبد العزيز الكرم ، ط1، 1988 .
50. **علي محمود الصراف:** - الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.
51. **علي محمد علي سلمان:** - كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج رسائله نموذجا المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
52. **عمارة ناصر:** - الفلسفة والبلاغة مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الجزائر، والدار العربية ناشرون، لبنان، ط1، 2009.

53. **عمر أوكان:** - اللغة والخطاب، أفريقيا الشرق، المغرب، 2001.
54. **عمر بلخير:** - تحليل الخطاب المسرحي في ضوء النظرية التداولية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2003.
55. **العياشي أدراوي:** - الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2011.
56. **غريد الشيخ:** المتقن العملي 90 سؤالاً و جواباً في القواعد الوظيفية معانيها و دلالاتها و وظائفها ، دار الراتب الجامعية، بيروت (لبنان) ط 1، 2007
57. **فتح الله سليمان:** - الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب، القاهرة، 2004.
58. **فهد عاشور:** - التكرار في شعر محمود درويش الفارسي، عمان، 2004.
59. **محمد العبد -** بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة ،مصر، 2013.
60. **محمد العدلوني الإدريسي:** - ابن عربي ومذهبه الصوفي الفلسفي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 4، 2004.
61. **محمد العمري:** - دائرة الحوار ومزالق العنف كشف أساليب الإعانات والمغالطة مساهمة في تخليق الخطاب، أفريقيا الشرق، 2002.
62. **محمد بن الطيب:** - وحدة الوجود في التصوف الإسلامي في ضوء وحدة التصوف وتاريخيته، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط 1، 2008.
63. **محمد سالم محمد الأمين لطلبة:** الحجاج في البلاغة المعاصرة ، بحث في بلاغة النقد المعاصر ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط 1 ، 2008.
64. **محمد طروس:** - النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2005.

65. **محمد طلحة:** - تداولية الخطاب السردي، دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012.
66. **محمد عبد الباسط عيد:** - في حجاج النص الشعري، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013.
67. **محمد فاروق صالح البدري:** فقه الشيخ محي الدين بن عربي في العبادات ومنهجه في كتابه الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
68. **محمد مفتاح:** ابن عربي في أفق ما بعد الحداثة، منشورات كلية الآداب بالرباط، جامعة محمد الخامس، سلسلة ندوات رقم 107، ط3، 2003.
69. **محمود أحمد نحلة:** آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2002، 1، ط2، 2006.
70. **مسعود صحراوي:** التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
71. **النابعة الذبياني:** الديوان، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.
72. **نواري سعودي:** في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والإجراء، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2009.
73. **وضحي يونس:** القضايا النقدية في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2006.
74. **يوسف محمد الكوفحي:** اللغة الإبداعية دراسة أسلوبية لأعمال جبران خليل جبران العربية، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، ط1، 2011.

رابعاً : الكتب المترجمة

1. أمولزوك .زيلتمان وك ، أوريكوني : في التداولية المعاصرة ، ترجمة و تعليق محمد نظيف ، أفريقيا الشرق ،2014 .
2. أرمينكو فرانسواز:- المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986.
3. جورج يول: - التداولية، ترجمة قصي العتابي، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
4. جون أوستين: القول من حيث هو فعل نظرية أفعال الكلام، ترجمة محمد يحياتن ،عالم الكتب الجزائر ،ط2010،2.
5. دومينيك مونغانو: المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2005.
6. ديتير فيهجر قولفجانغ هاينه منه :مدخل إلى علم لغة النص ترجمة سعيد حسن بحيري ، مكتبة الزهراء ،الشرق، مصر، د .ت .
7. رولان بارت: الكتابة في درجة الصفر، تر: محمد نذير خشفة، مركز الإنماء، سوريا، 2009.
- قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، القاهرة ، مصر ،ط1، 2011 .
8. فيليب بروطون: الحجاج في التواصل، ترجمة محمد مشبال وعبد الواحد التهامي العلمي، المركز القومي للترجمة، ط1، 2013.
9. ك. أوريكيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ترجمة محمد نظيف ،أفريقيا الشرق، المغرب، 2007.
10. هنري كوربان:الخيال الخلاق في تصوف ابن عربي، ترجمة فريد الزاهي، منشورات الجمل، كولونيا، ألمانيا، ط2، 2008.

11. **صابر الحباشنة** : لسانيات الخطاب الأسلوبية والتلفظ والتداولية ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، ط 1 ، 2010 .

خامسا: المعاجم:

1. **أنطوان الدحداح**: معجم قواعد اللغة العربية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط9، 1997.
2. **عبد المنعم الحفني**: المعجم الصوفي، دار رشاد، القاهرة، مصر، ط1، 1997.
3. **محمد محمد حسن شراب**: معجم الشوارد النحوية والفوائد اللغوية دار المأمون للتراث ، بيروت، لبنان و دمشق ، سوريا ، ط1، 1999.

سادسا: الرسائل الجامعية

1. **بن عيسى أزابط**: الاستفهام في اللغة العربية دراسة دلالية تداولية رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا مخطوطة بجامعة الدار البيضاء المغرب رقم (7ل/043) ، 2014، 2015.
2. **حسن صوالحية** : بنية الخطاب الصوفي من خلال الفتوحات المكية لمحي الدين ابن عربي ،مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، مخطوطة بجامعة باتنة ، 2010، 2011 .
3. **ساعد خميسي**: الرمزية والتأويل في فلسفة ابن عربي الصوفية ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة ، مخطوطة بجامعة قسنطينة ، 2006/2005 .
4. **سرحان إدريس** : الأمر و النهي كفعلين لغويين إنجازيين في اللغة العربية دراسة دلالية رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا مخطوطة بجامعة الدار البيضاء المغرب ، رقم (6ل/043) ، 2013، 2014
5. **عيسى بن سديرة** : الخصائص التركيبية و الأسلوبية للمكي و المدني من القرآن الكريم رسالة دكتوراه مخطوطة بجامعة سطيف ، 2002 ، 2003

6. **قدور رحماني:** بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي ، أطروحة
معدة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي مخطوطة بجامعة الجزائر ،
2006/2005 .

سابعاً: المجلات و الدوريات

1. **ألفا أوصمان باري:** تحليل الخطاب أسسه النظرية ترجمة لحسن بوتكلاي مجلة
البلاغة و التحليل الخطابي ، العدد 5، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب
، 2014 ،

2. **حبيب أعراب:** الحجاج و الاستدلال الحجاجي ، مجلة عالم الفكر ، العدد 1 ، المجلد
30، يوليو 2001.

3. **رشيد الراضي:** مفهوم الموقع و تطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لانسكومبر و
ديكرو ، مجلة علم الفكر ، العدد 2 المجلد 40، ديسمبر 2011.

4. **طه عبد الرحمان:** مراتب الحجاج وقياس التمثيل ، مجلة كلية الآداب و العلوم
الإنسانية ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، المغرب ، العدد 9، 1987.

5. **عبد الحليم بن عيسى :** المرجعية اللغوية في النظرية التداولية ، مجلة دراسات
أدبية مركز البصرة للبحوث و الاستشارات و الخدمات التعليمية، العدد 1، ماي
2008.

6. **عبد القادر بقشي البعد الحجاجي في الشعر الحواري (دراسة تطبيقية ، مجلة
البلاغة و تحليل الخطاب ، العدد 1 مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء المغرب**

.2012

ثامنا : المراجع الاجنبية

1. Asworld Ducrot : les échelles argumentative : Editions de minuit, paris 1980
2. Chain Perlman et Lucie Olbracht tyteica :Traite de l'argumentation, la nouvelle Rhétorique, éditions de l'université 5eme édition 2000
3. Emile Benveniste : problèmes de linguistiques générale, Gallimard paris 1966
4. J. Du Bois et al : dictionnaire de Linguistique Larousse paris 2001
5. J.c anscombe et Oswald Ducrot : L'argumentation dans la langue, éditions pierre margada Bruxelles 1983

ملحق

ثبت المصطلحات

L'argument par inclusion	إدماج الجزء في الكل
Inférence	استدلال
Inférence Argumentative	استدلال حجاجي
Actes de parole	أفعال الكلام
L'orientation argumentative	الاتجاه الحجاجي
Assertions	الإثباتات
Informatives	الإخباريات
Informativité	الإخبارية
Inférence formelle	الاستدلالات الشكلية
Conversationnel implicative	الاستلزام الحوارية
Style	الأسلوب
Référence	الإشارة
Indexicale	الإشارات
Déclarations	الإعلانات
Conviction	الإقناع
Diviation	الانزياح
Primaire performative	الإنشائيات الأولية
Explicit performative	الإنشائيات الصريحة
Structures Argumentative	البنى الحجاجية
Structurelle formelle	البنوي الصوري
Structurelle	البنوية

Réciprocité	التبادلية
Succession	التتابع
Dialogue	التحاور
Pragmatiques	التداولية
Cohérence argumentative	الترابط الحجائي
harmonie Argumentative	التساوق الحجائي
Enchaînement argumentative	التسلسل الحجائي
Contradiction argumentative	التعارض الحجائي
Transitivité	التعدية
Définition	التعريف
Interaction	التفاعل
Division	التقسيم
Répétition	التكرار
L'énoncé	التلفظ
L'analogie	التمثيل
Contradiction	التناقض
Parallélisme	التوازي
Parallélisme structurel	التوازي البنائي
Parallélisme significative	التوازي المعنوي
Communication	التواصل
Distribution	التوزيع
Manier	الحال

L'argumentation	الحجاج
L'argumentation démonstrative	الحجاج البرهاني
L'argumentation dans la linguistique	الحجاج اللغوي
Argument plus faible	الحجة الأضعف
Argument plus fort	الحجة الأقوى
Argument de Causalité	الحجة السببية
Les argument basés sur la structure du réalité	الحجج المؤسسة على بنية الواقع
Discours	الخطاب
Discours argumentatives	الخطاب الحجاجي
Les connecteurs argumentatifs	الروابط الحجاجية
Echelle argumentative	السلم الحجاجي
Contexte	السياق
formelle	الشكلانية
Explicite	الصريح
Potentialité argumentative	الطاقة الحجاجية
Expressives	المعبرات
Relation	العلاقة
Les opérateurs argumentatifs	العوامل الحجاجية
Acte indirects	الفعل غير المباشر
Acte directe	الفعل المباشر
Force argumentative	القوة الحجاجية

Syllogisme	القياس
Les valeurs	القيم
La valeur informatif	القيمة الاخبارية
La Valeur argumentatif	القيمة الحجاجية
La compétence pragmatique	الكفاءة التداولية
Compétence langagière	الكفاية اللغوية
Compétence logique	الكفاية المنطقية
La quantité	الكم
L'exemple	المثل
Carre argumentative	المربع الحجاجي
Les chemins interprétatifs	المسالك التأويلية
Implicite	المضمر
Les fonctions Argumentatif	الوظائف الخارجية
Le sens argumentative	المعنى الحجاجي
Le sens littéral	المعنى الحرفي
Le sens direct	المعنى المباشر
Le sens indirect	المعنى غير المباشر
Sens invisible	المعنى غير المرئي
Le sens entendu	المفهوم
Le sens entendu sémantique	المفهوم الدلالي
Le sous entendu illocutoire	المفهوم اللاقولي
Présupposition	المقتضى

Comissives	الملزمات
Directives	الموجهات
Le résultat opposé	النتيجة المعاكسة
Ordre	النظام
Qualité	النوع
Les effets	الوقائع
Performative	انجازي
cohérencedu discours	انسجام الخطاب
Négociation	تداول
L'enchainement de discours	تسلسل الخطاب
Argument de division	تقسيم الكل إلى أجزائه
Renforcer de l'orientation	تقوية التوجيه
Enonciation	تلفظ
Argumentative	حجاجي
Argumentatif	حجاجية
Argument	حجة
L'argument de direction	حجة الاتجاه
l'argument de gaspillage	حجة التبذير
Argument de dépassement	حجة التجاوز
Argument de co-existence	حجة التعايش
Argument d'autorité	حجة السلطة
Arguments orientés	حجج متساندة

Arguments anti-orientés	حجة متعاندة
Descriptive	خبرية / وصفية
L'incompatibilité	عدم الاتفاق
Incompatibilité	عدم الاتفاق
L'activation d'un topoi	عمل المواضيع
Acte d'énonciation	فعل التلفظ
Acte de parole	فعل الكلام
Les lois du discours	قوانين الخطاب
Parol implicite	قول مضمرة
Linguistique pragmatique	لسانيات التداولية
Principe de coopération	مبدأ التعاون
Suites des mots	متواليات من الأقوال
Corpus	مدونة
En faveur de la conclusion	مساندة النتيجة
Implicite	مضمرة
Pertinence argumentative	ملاءمة حاجية
Enoncé	ملفوظ
Théorie de l'argumentation linguistique	نظرية الحجاج اللساني
Fonction argumentatif	وظيفة حاجية

التعريف باين عربي

1- التعريف بابن عربي:

هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي، أبوه عبد الله هو أخ عدي بن حاتم من قبيلة طيء مهد النبوغ في الجاهلية والإسلام يكنى أبو بكر¹ ويلقب "بالشيخ الأكبر" و "محي الدين" و "سلطان العارفين" للدلالة على مكانته وطول باعه² كما لقب "بالشيخ الأكبر" و "ماحي الدين" و "مميت الدين" من طرف خصوم وحدة الوجود³.

ولد في يوم الاثنين السابع عشر من رمضان عام خمسمائة وستين هجرية الموافق 28 يوليو سنة ألف ومائة وخمس وستين ميلادية في مدينة "مرسية" بالأندلس⁴. مرض في شبابه ورأى في المنام أن قوى الشر مدججة بالسلاح تريد الفتك به، وإذا بشخص جميل الوجه يمنعها من ذلك، فيسأله محي الدين من أنت؟ فقال له الشخص أنا سورة يس، وعندما استيقظ المريض وجد والده عند رأسه يتلو عليه سورة يس. ولما برئ اطمئن قلبه واستعد للحياة الروحية الصافية مبكرا والتي أظهرت تلك المعرفة الصوفية والفلسفية التي هيمنت عليه وهو في زهرة شبابه.

تعمقت عندما كان في حالة اليقظة إذ رأى العرش الإلهي محمولا على أعمدة من لهب متفجر، ورأى أيضا طائرا بهيا بديع الصنع يحلق فوق العرش ويأمره بالرحيل إلى الشرق وسيكون هو دليله ومرشده السماوي، ويخبره بأن يرافقه شخص من مدينة فاس هو الآخر كلف بالرحيل ذاته بصحبة ابن العربي، وهو ما حدث فعلا حيث اتجه في سنة 1201 إلى مكة فاستقبله شيخ إيراني وقور صاحب عقل وعلم وخلق. وفي هذه الأسرة يلتقي بفتاة تدعى "نظاما" وهي ابنة ذلك الشيخ، رزقت جسما وجمالا روحيا فائقين وقد اتخذ منها فيما بعد رمزا للحكمة الخالدة⁵ في ديوان "ترجمان الأشواق".

وفي إطار هذه الظروف أخذت حياته الصوفية ومواهبه العقلية والروحية ترتقي في معارج القدس، وملكوت الله. فبينما هو في إحدى طوفاته التأملية والبدنية بالكعبة إذ يلتقي

¹ ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص3.

² ينظر: محمد فاروق صالح البدري، فقه الشيخ محي الدين بن عربي في العبادات ومنهجه في كتابه الفتوحات المكية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص21.

³ ينظر: آرثور سعديف وتوفيق سلوم، الفلسفة العربية الإسلام والكلام والمشائية والتصوف، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ط2، 2001، ص316.

⁴ ينظر: ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص3.

⁵ المصدر نفسه، ص ص 3، 4.

من جديد بمرشده السماوي فيأمره هذه المرة بتأليف كتابه الجامع الخالد "الفتوحات المكية"¹.

2- التعريف بالفتوحات المكية:

"الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية والملكية" من أكثر كتب الشيخ استيعابا لفلسفته الصوفية. بدأ تدوينه بمكة سنة 598 وأكمل النسخة الأولى منه بدمشق في سنة 629هـ. أما النسخة الثانية وفيها بعض الإضافات فقد أتمها قبل سنتين من وفاته سنة 636هـ، المخطوطة الكاملة موجودة في متحف الأوقاف الإسلامية في إسطنبول في 37 مجلدا، طبعت عدة مرات، وقد اتبع صاحب الفتوحات طريقة التقسيم إلى فصول ستة، وتحت كل فصل مجموعة من الأبواب، بالإضافة إلى الافتتاحية التي تتضمن الخطبة والمقدمة.

- الفصل الأول: في المعارف ويحتوي على ثلاث وسبعين بابا. 73

- الفصل الثاني: في المعاملات ويحتوي على مائة وعشرة بابا. 110

- الفصل الثالث: في الأحوال ويحتوي تسع وسبعين بابا. 79

- الفصل الرابع: في المنازل ويحتوي مائة وثلاثة عشر بابا. 113

- الفصل الخامس: في المنازل ويضم سبعة وسبعين بابا. 77

- الفصل السادس: في المقامات ويضم تسعة وتسعين بابا. 99².

ويعد الباب الثاني في معرفة أسرار الحروف من أطول أبواب الفتوحات وكذلك الباب ثلاث وسبعون (73) ومائة وثمانية وتسع ون (198).³ ومن ثم فهو موسوعة إسلامية كبيرة تناول فيها موضوعات عقلية علمية، دينية فقهية، فلسفية كلامية. وقد استهل الكثير من الأبواب بأبيات شعرية موازية للنص النثري، والذي يتقاطع أو يتداخل مع نصوص أخرى وخاصة القرآن الكريم ونصوص بعض المتصوفة مثل الحلاج، أبي يزيد البسطامي والجنيد، النفري، الغزال. وكان يصطنع الرموز والإشارات، ويمتطي "اللغة

¹ ينظر: ابن عربي، الفتوحات المكية، ج1، ص4.

² ينظر: نصر حامد أبو زيد هكذا تكلم ابن عربي، ص86.

³ ينظر: عبد الباقي مفتاح، شروط الفهم الصحيح للشيخ محي الدين بن عربي، ضمن كتاب ابن عربي في أفق ما بعد الحدائث، إشراف محمد مفتاح، ص224.

الساحرة المراوغة"¹ . حيث اتبع منهاجا "يفسر لنا سرته العجبية في الكتابة، وخلو مؤلفاته من الترتيب على النسق الموضوعي، وغزارة مادته العلمية، فهو يدخل في قضايا كلامية وفلسفية، وفي روحيات ومجاهدات صوفية، كل هذا مع شعوره الدافق بسمو كتاباته وإغازها الرامز"² وكان الفتوحات ليس مؤلفا عاديا لأن "الشيخ الأكبر يعزو بناء الكتاب وقضايا أبوابه إلى ما يلقي إليه في لحظة يتخلى فيها عن إرادته، ويصبح في حكم الإنصات الكلي"³ . "وبالتالي لم يكن إنتاجه الفكري ... ناتج ا عن أعمال فكر وبذل جهد ، وإنما كان ناتجا عن وهب ووحى وإلهام ، إنه كان يسمع الخطاب ويرى المشاهد بالسر الإلهي ، ثم ينطلق بعد ذلك إلى تقييد ما كان يلقي إليه في وقائعه ومشاهده "⁴

¹ ينظر : زكي سالم ، الإتجاه النقدي عند ابن عربي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 2005، ص 187

² محمد إبراهيم الفيومي ، ابن عربي صاحب الفتوحات المكية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1، 1989، ص 20، 21.

³ خالد بلقاسم ، الكتابة والتصوف عند ابن عربي ، ص 99.

⁴ قدور رحمانى ، بنية الخطاب الشعري في الفتوحات المكية لابن عربي ، ص 325.

فهرس الموضوعات

الموضوع.....	الصفحة.....
المقدمة.....	أ-ح.....
مدخل.....
1-تعريف الخطاب.....	11.....
أولاً: عند الغرب.....	11.....
1-قانون الانفتاح.....	14.....
2-قانون الاستيعاب.....	14.....
3- قانون التفاعل.....	14.....
4- قانون التماور.....	15.....
ثانياً: عند العرب.....	15.....
2-تعريف الحجاج.....	19.....
الفصل الأول : الحجاج المنطقي	
الحجج المنطقية.....	34.....
1-الحجج شبه المنطقية القائمة على البني المنطقية.....	34.....
1-1 التناقض و عدم الإتفاق.....	34.....
2-1 التعريف.....	39.....
3-1 التبادلية.....	45.....
4-1 حجة التعدية.....	49.....
2- الحجج شبه المنطقية التي تعتمد على العلاقات الرياضية.....	54.....
1-2 إدماج الجزء في الكل.....	54.....
2-2 تقسيم الكل إلى أجزائه.....	55.....
3- الحجج المؤسسة على بنية الواقع.....	60.....
1-3 الحجة السببية : التابع.....	60.....
2-3 حجة التبذير.....	62.....

63.....	3-3 حجة الإتجاه
65.....	4-3 حجة التجاوز
67.....	5-3 التعايش
67.....	1-5-3 حجة الشخص وأعماله
69.....	2-5-3 حجة السلطة
80.....	4- الحجج المؤسسة لبنية الواقع
80.....	1-4 المثال
91.....	2-4 النموذج

الفصل الثاني : الحجج التداولي

99.....	1- المؤشرات وأبعادها الحجاجية
100.....	2- الإستراتيجية التضامنية
102.....	1-2 ضمائر الحضور
102.....	1-1-2 ضمائر المتكلم
102.....	أ- ضمير المتكلم المفرد
104.....	ب- ضمائر المتكلم الجمع
106.....	ج- ضمائر المخاطب
108.....	د- ضمائر الغيبة
110.....	2-2 ضمير الشأن
112.....	3- الإشارات الزمانية
114.....	4- الإشارات المكانية
117.....	الإشارات الاجتماعية
120.....	3- قوانين الخطاب
120.....	أ الكم
120.....	ب- النوع
121.....	ج- العلاقة

121	د الحال
121	1-3 قانون الإخبارية
122	2-3 قانون الصدق
123	3-3 الإفادة
123	4-3 قانون الشمول
136	4- متضمنات القول
136	1-4 الافتراض المسبق
139	2-4 الأفعال الكلامية
141	1-2-4 الأفعال المباشرة وغير المباشرة
143	2-2-4 الإخباريات
146	3-2-4 الموجهات
146	أ- الأمر
150	ب- النهي
151	ج- الاستفهام
156	4-2-4 الملزمات
156	أ- الوعد
157	ب- التهديد والوعيد
158	5-2-4 المعبرات
160	6-2-4 الإعلانات
161	أ- إعلانات شهادة
161	ب- إعلانات عفو
162	ج- إعلانات تصريح
162	د- إعلانات حكم
163	هـ إعلانات قرار
164	و- إعلانات تسمية

165	ي-إعلانيات إعلام
الفصل الثالث : الحجاج اللغوي	
169	1- السلم الحجاجي
171	1-1 قوانين السلم الحجاجي
172	أ-قانون النفي
172	ب-قانون القلب
173	ج-قانون الخفض
191	2- الروابط الحجاجية
195	1-2 أقسام الروابط
197	1-1-2 لكن لكن
200	2-1-2 بل
202	3-1-2 لا سيما
205	4-1-2 مع هذا
207	5-1-2 الوابط السببية
207	أ- لأن
208	ب- الفاء
211	6-1-2 روابط التعليل
214	3- العوامل الحجاجية
216	1-3 النفي والاستثناء
220	2-3 إنما
227	3-3 أدوات النفي
232	4-3 ضمير الفصل
233	4- المربع الحجاجي
الفصل الرابع : الحجاج الأسلوبى	
240	خصائص الأسلوب وأهمية الحجاج

240	1- التكرار
242	1-1 تكرار الكلمات المعجمية
242	1-1-1 كلمة حق
243	1-1-2 كلمة اختار
245	1-1-3 كلمة نور
246	1-1-4 كلمة أحب
247	1-1-5 كلمة أعلم
250	2- التكرار المعنوي
251	2- التضام
255	3- تكرار الصيغ الصرفية والتراكيب النحوية
255	3-1 اسم الفاعل
257	3-2 النعت
259	3-3 المبني للمجهول
262	3-4 الحذف
265	3-5 التقديم والتأخير
267	4- التوازي
274	5- الصور البيانية
274	5-1 التشبيه
279	5-2 التمثيل
283	5-3 التشبيه الضمني
286	5-4 الاستعارة
291	6- البديع
291	6-1 السجع
293	6-2 الطباق
296	خاتمة

301	قائمة المصادر والمراجع
	ملحق
314	بثت المصلحات
321	التعريف بابن عربي
	ملخص البحث .

ملخص البحث

موضوع هذا البحث الخطاب الحجاجي في الفتوحات المكية لابن عربي، حيث عرف بإيجاز مصطلحي الخطاب والحجاج مبينا أن الحجاج أصل في كل خطاب أو أن الخطاب يهدف إلى التأثير والإقناع ، مركزا على التعاريف الغربية التي نظرت للحجاج ، مبينا طبيعة الحجج المعتمدة في المدونة لإقناع المتلقي وحمله على الإذعان لفكرة ما . وهي مصنفة إلى حجج منطقية تخاطب بالمنطق عقول المخاطبين وأفكارهم عبر الخطاب المكتوب ، وأخرى تداولية تتمثل في دراسة الإشارات الزمانية والمكانية والأفعال الكلامية وقوانين الحوار الهادفة إلى إيصال معان مباشرة وغير مباشرة للمتلقي . ثم تأتي الحجج اللغوية التي تكمن في بنية اللغة ذاتها أو منطق اللغة من خلال دراسة الروابط والعوامل والسلالم الحجاجية ، وأخيرا الحجج الأسلوبية القائمة على تكرار أساليب التعبير الراقية المخالفة لما هو شائع في استعمال الناس انطلاقا من أن جمال التعبير قادر على النفاذ إلى عقول وقلوب السامعين واستمالتهم ، وأن تكرار الأساليب تكرار للمعنى الحجاجي وأن الحجاج يرفده جمال التعبير والجمال يقوي الحجة .

Résumé

Cette modeste recherche dont le thème est le discours argumentatif de (el foutouhatte el maqqia d'ibn arabi), tente de définir en résumé conceptuel le discours et l'argumentation montrant que l'argumentation est l'origine de tout discours et que le discours n'a pour but que d'influencer et de convaincre. et tout cela en s'appuyant sur les définitions occidentales concernant l'argumentation , tout en montrant la nature des arguments avancés dans le manuscrit . afin de convaincre le destinataire .

Et en fonction de leur nature ;on distingue plusieurs sortes d'arguments ,des arguments d'ordre logique s'adressant aux esprits en s'appuyant sur la logique afin d'influer sur leur pensées a travers le discours écrit ,des arguments d'ordre énumératif (de classement)qui ont pour objet l'études des indicateurs spatio-temporels et des actes langagiers et des lois dialogue qui visent à transmettre des significations directes ou indirectes au destinataire ,des arguments linguistiques s'appuyant sur le système linguistique lui même ,ou sa logique prenant en charge l'étude des relations , des facteurs et des échelles de l'argumentation ,des arguments de style se basant sur la recurrence des styles d'expression soutenus et rare qui s'opposent ce qui est usuel , et affirmant que la beauté de style d'expression fascine les esprits et les cœur de l'auditoire et que la répétition du style est synonyme de la répétition du sens argumentatif .et que enfin l'argumentation et bordée par la beauté de style et la beauté du style renforce l'argument .